



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل المقدمة لندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أوراق العمل المحور الأول

التشريع



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

إدريس كوني

السلفية

مقدمة:

فإنه يقصد بالسلفية الطريق القائم على اتباع سبيل المؤمنين من السلف الصالح، وهم أصحاب محمد - ﷺ - ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهم في كل عصر: الفئة التي قال عنها رسول الله - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك). والمنهج السلفي يعني أن من انتسب إليه، وسلك سبيله ليس بخارجي يستحل دم المسلم بالمعصية، ولا رافضي يكفر الصحابة، ولا محرف متأول بالباطل ممن ينفي صفات الله، وينفي معانيها، وليس مشبهاً لله بخلقه، ولا حلولياً ممن يقول بوحدة الوجود، أو أن الله قد حل في خلقه، أو صوفياً ممن يعبدون القبور، ويقدمون لها النذور، فهو - أي: المنهج السلفي - الطريق والمنهج الذي سار فيه الصحابة والخلفاء الراشدون، وأما المناهج الأخرى فقد ضلت عن هذا الطريق، فأصابت في أشياء وأخطأت في أخرى، وتختلف فيما بينها قرباً وبعداً من منهج السلف.

وعقيدة السلف الصالح تتمثل في الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه رسول الله - ﷺ - ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والإيمان بأن الله خلق كل شيء من أفعال العباد ويراهما، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنوب، ما لم يستحلها، وأن الخلفاء بعد رسول الله - ﷺ - هم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم - ، وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة، فإن جميع مذاهب السلفية تتمسك بهذه العقيدة.

السلفية في اللغة وفي الاصطلاح:

السلفية في اللغة: مَنْ تقدمك من آبائك وذوي قرابتك، الذين فوقك في السن والفضل، يقول رسول الله - ﷺ - لابنته فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - : (فإنه نعم السلف أنا لك).

وعن النبي - ﷺ - قال لابنته زينب - رضي الله عنها - عندما توفيت: (الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون).

فالسلفية: نسبة إلى السلف، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: سلف، السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: السلف: المتقدم، قال الله - تعالى - : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)^(١) أي معتبراً متقدماً، ولفلان سلف كريم: أي آباء متقدمون، جمعه: أسلاف.

قال ابن منظور: (والسلف والسليف والسلفية: الجماعة المتقدمون)^(٢).

وقال أبو السعادات ابن الأثير: (وقيل: سلف الإنسان: من تقدم بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح)^(٣).

١ - سورة الزخرف الآية ٥٦

٢ - أبو منظور، لسان العرب ٦ - ٣٣٠

٣ - أبو السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث.

وقال عبد الكريم السمعاني : (السلفي : بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم)^(١).

وفي الاصطلاح الشرعي العام ، يراد بالسلف : كل من يُقلد مذهبه في الدين ويُتقى أثره فيه ، فهو اتباع منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم من خير القرون ، ومن اقتفى أثرهم من العلماء والأئمة المجتهدين.

ثم أصبح مع التطور التاريخي لظهور الفرق الإسلامية منحصرًا في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي ؛ طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقّوه جيلاً بعد جيل ، وأبرز سماتهم التمسك بمنهج النقل ؛ ولهذا عرفوا في البداية بأنهم "أهل الحديث" ؛ للتمييز بينهم وبين من انسلخ عن هذا المنهج من الشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم ، كما أنهم يعرفون - أيضاً - بأنهم أهل الأثر ، وهذه النسبة إلى الأثر ، تعني : الحديث وطلبه واتباعه^(٢).

ومن هذا الانطلاق لكلمة السلف نخلص إلى أن هذا اللفظ يشمل : الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى ، فأصبح مذهب السلف علماً على ما كان عليه هؤلاء ، ومن تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عينة ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن المبارك ، والبخاري ، ومسلم ، وسائر أصحاب السنن ، الذين اتبعوا الأوائل جيلاً بعد

١ - عبد الكريم السمعاني - الأنساب ص ١٠٤
٢ - متندى مصر والشرعية - مصطلحات وتعريف : المرجع السابق.

جيل ، دون من وصف البدعة كالخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والمعتزلة وغيرهم^(١).

وهو - أيضا - وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة - ﷺ - ،
ويشاركهم فيه غيرهم تبعا واتباعا^(٢).

وفي الاصطلاح الآخر: إذا أُطلقَ السلفُ عندَ علماء الاعتقادِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة ، أو الصحابة والتابعين ، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة ؛ من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل ، واتباع السنة ، والإمامة فيها ، واجتناب البدعة والحذر منها ، ومن اتفقت الأمة على إمامتهم ، وعظيم شأنهم في الدين ، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح^(٣).

ومن جانب آخر هم المتمسكون بسنة النبي - ﷺ - وأصحابه ومن تبعهم ، وسلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل ، والذين استقاموا على الاتباع ، وجانبوا الابتداع ، وهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة فاتباعهم هدى ، وخلافهم ضلال.
وهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده ، ولا يجتمعون على ضلالة أصلاً ، وقد يقع من سواهم فيها.

١ - مصطفى حلمي ، قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي الطبعة الثالثة ص ١٨٧ دار

الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية مصر ٢٠٠٨م

٢ - محب أبو إلياس - السلفية وشرعية الانتساب إليها - الملتقى

٣ - ملتقى أهل الحديث - أصول عقيدة السلف الصالح ، <http://www.ahlalhdeth.com>

وهم - أيضا - القرون المفضلة ، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم سيدنا
 وقدوتنا محمد - ﷺ - وأصحابه الكرام الذين اثني عليهم الله - تعالى -
 بقوله : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم
 ركعا سجدا) ، وأثني عليهم رسول الله - ﷺ - بقوله : (خير الناس قرني ،
 ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) رواه البخاري ومسلم .

ولذا فالصحابه والتابعون ؛ أحق بالاتباع من غيرهم ، وذلك لصدقهم في
 إيمانهم ، وإخلاصهم في عبادتهم ، وهم حراس العقيدة ، وحماة الشريعة ،
 العاملون بها ؛ قولاً وعملاً ، ولذلك اختارهم الله - تعالى - لنشر دينه ،
 وتبليغ سنة نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

وكلمة السلف تعني السلف زمنياً ، والسلف معتقداً ، فإن أريد بالسلف
 معتقداً صح أن نقول لمن هم موجودون الآن على مذهب السلف : إن هؤلاء
 سلف ، وإذا قلنا : إن السلف هم السابقون زمنياً فإنه يختص بالقرون الثلاثة
 المفضلة : الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وكلا الأمرين قد استعمله أهل
 العلم ، فتارة يريدون بالسلف من كان على طريقة السلف وإن كان متأخراً
 زمنياً ، وتارة يريدون بالسلف القرون الثلاثة المفضلة .

ومن جانب آخر يمكن أن نعرف السلف من وجوه متعددة ، من خلال
 صفاتهم وسماتهم ، ومنهجهم ، أي : من خلال تعريفهم هم بأنفسهم ، فأهل
 الدار أدري بما فيها وأهل مكة أدري بشعابها .

ومن هذه الوجوه التي يمكن أن نتعرف بها على السلفين :

أولاً : أنهم هم صحابة رسول الله - ﷺ - ، فهم أهل السنة الذين
 علموها ، ووعوها وعملوا بها ، ونقلوها ، وحملوها ، رواية ودراية ،

ومنهجاً، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة ؛ لسبقهم إلى السنة علماً وعملاً وزمناً.

ثانياً: يليهم كذلك اتباع صحابة رسول الله - ﷺ - ، الذين أخذوا عنهم هذا الدين ، ونقلوه وعلموه وعملوا به ، من التابعين وتابعيهم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فهم أهل سنة رسول الله - ﷺ - الذين تمسكوا بها ، ولم يتدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ثالثاً: والسلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدي رسول الله - ﷺ - ، المتبعون لآثار الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ، المقتدى بهم في الدين ، الذين لم يتدعوا ولم يبدلوا ، ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه.

رابعاً: أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق ، وهم الطائفة الظاهرة والمنصورة إلى قيام الساعة ؛ لأنهم هم الذين ينطبق عليهم قول النبي - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)^(١) ، وفي لفظ : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله...) ^(٢).

خامساً: هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع ، وفسد الزمان ، أخذاً من قوله - ﷺ - : (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ

١ حديث مسلم ص ١٩٢٠ - ١٩٢٣

٢ - حديث مسلم ١٠٣٧

غريباً، فطوبى للغرباء^(١)، وقال - ﷺ - : (طوبى للغرباء، أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر من يطيعهم)^(٢).

وهذا الوصف إنما ينطبق على أهل السنة والجماعة والسلف الصالح. **سادساً:** وهم أصحاب الحديث رواية ودراية علماً وعملاً، لذا نجد أن أئمة السلف فسروا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، بأنهم: (أصحاب الحديث)، فقد روي ذلك عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأحمد بن سنان، وهذا حق، فإن أصحاب الحديث الجديرين بهذا الوصف هم أئمة أهل السنة والسلف الصالح، قال الإمام أحمد في الطائفة المنصورة: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم)؟، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث^(٣).

قلت: وعامة المسلمين الذين على الفطرة والسلامة، ولم يسلكوا مسالك الأهواء والبدع، هم على السنة، وهم تبع لعلمائهم بالاهتداء والافتداء. لماذا سمو بأهل السنة والجماعة؟

سمي السلف الصالح بذلك؛ لأنهم الآخذون بسنة رسول الله - ﷺ - العالمون بها، العاملون بمقتضاها، والممثلون لقول الرسول - ﷺ - : (عليكم بسنتي...) ^(٤).

١ - حديث مسلم ١٤٥

٢ - صحيح الجامع الصغير ٣٨١٦

٣ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ج ٢ - ٢٣٨

٤ - حديث الترمذي ٢٦٧٨

فالسنة هي : ما تلقاه الصحابة عن رسول الله - ﷺ - من الشرع والدين ، والهدى الظاهر والباطن ، وتلقاه عنهم التابعون ، ثم تابعوهم ثم أئمة الهدى العلماء العدول ، المقتدون بهم ، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين^(١).

ومن هنا صار أهل الحق المتبعون للسنة هم أهل السنة ، فهم الجديرون بذلك على الحقيقة.

أما تسميتهم بالجماعة : فلأنهم أخذوا بوصية رسول الله - ﷺ - بالجماعة ، فاجتمعوا على الحق ، وأخذوا به ، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة ، من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ولأنهم أجمعوا على الحق ، وعلى اتباع الجماعة ، أهل السنة والحق ، ولأنهم دائماً - بحمد الله - يجتمعون على أئمتهم ، ويجتمعون على الجهاد ، مع ولاية المسلمين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويجتمعون على السنة والاتباع ، وترك البدع والأهواء والفرق ، فهم الجماعة التي عناها الرسول - ﷺ - ، ووصفها ، وأمر بالأخذ بها.

وأخيراً نصل إلى نتيجة بينة واضحة ، وهي أن : (أهل السنة والجماعة) اسم ووصف استمد مما يلي :

أولاً : من سنة الرسول - ﷺ - ، حينما أمر بالسنة ، وأوصى بها ، فقال : (عليكم بسنتي) ، وحينما أمر بالجماعة ، وأوصى بها ، ونهى عن

خلافها ومفارقتها، والخروج والشذوذ عنها، فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول - ﷺ - ، ووصفهم بذلك.

ثانياً: استمد من آثار الصحابة والسلف في القرون الفاضلة، من قولهم ووصفهم وحالهم، فهو اسم ووصف أجمع عليه أئمة الهدى، وسموا به أهل الحق، ووصفهم به، وتلك آثارهم شاهدة ناطقة في مصنفاتهم في كتب السنن والآثار.

السلف في القرآن الكريم

وردت كلمة سلف في القرآن الكريم مراداً بها معنى واحد، وهو السبق والتقدم في الزمن، وما ورد فيه قوله - تعالى - : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)^(١)، قال الإمام البغوي: (والسلف: من تقدم من الآباء، أي فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون)، وقوله - تعالى - : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُوءُ الْأَوَّلِينَ)^(٢) أي يغفر لهم ما تقدم ومضى من الذنب، وقوله - تعالى - : (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ)^(٣)، وقوله - تعالى - : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)^(٤) أي بما قدمتم في الدنيا.

السلف في السنة النبوية:

يطلق السلف في السنة النبوية ويراد به خمسة معان، وهي:

١ - سورة الزخرف الآية ٥٦.

٢ - سورة الأنفال الآية ٣٨

٣ سورة المائدة الآية ٩٥

٤ - سورة الحاقة ٢٤

الأول: القرض.

الثاني: السلم.

الثالث: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آباءه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من الأمة السلف الصالح.

الرابع: السالفة وهي صفحة العنق، وهما سالفان من جانيه. لما روي أنه مرّ برجل وهو يجر شاة بأذنها، فقال: (دع أذنها، وخذ بسالفتها).

الخامس: السلف من التمر وهو الجراب الضخم، فعن عبد الله بن عامر ابن ربيعة عن أبيه - وكان بدريا - قال: (لقد كان رسول الله - ﷺ - يبعثنا في السرية - يا بني - ما لنا زاد إلا السلف من التمر، فيقسمه قبضة قبضة، حتى يصير إلى ثمرة ثمرة، قال: فقلت له: يا أبت! وما عسى أن تغني الثمرة عنكم؟ قال: لا تقل ذلك يا بني، فبعد أن فقدناها فاختللنا إليها).

فالسلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة زمنية من الفترات، مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني متابعة السلف الصالح في تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيه - ﷺ -، في فهم الدين والعمل به، والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة، مما يعني أن السلفية منهج علمي وعملي شامل ومتكامل تجاه النصوص الشرعية، وليست مجرد موقف علمي، وقد حث الله - تبارك وتعالى - على اتباع السلف الصالح في قوله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

الفوز العظيم^(١)، كما قال عنهم رسول الله - ﷺ - : (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، فهي بذلك منهج قابل للتكرار على اتساع الزمان والمكان).

ارتباط السلفية الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ -
 هناك عدة مجالات يوجد فيها ربط بين السلفية الحقة والإسلام الصحيح،
 ولكن قبل ذكر بعض من هذه المجالات البالغة الأهمية، تجدر الإشارة إلى
 النقاط التالية :

- أن السلفية عقائد، وأخلاق، وآداب، وأعمال، وأقوال، موافقة لما
 كان عليه سلف الأمة، وهي الامتداد الطبيعي للإسلام الخالي من البدع،
 والشبهات والشهوات.

فإن قال قائل : ولماذا لا يكفي اسم الإسلام؟ (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)^(٢)؟، فالجواب : كان يكفي اسم الإسلام لو لم تفترق الأمة إلى ثلاث
 وسبعين فرقة، كما أخبر المعصوم - ﷺ - ، لكن لما افترت الأمة، وظهرت
 فيها البدع التي أخبر عنها النبي - ﷺ - ، كان لا بد لمن تمسك بهدي
 الجماعة الأولى وما كانت عليه أن يتميز باسم ومنهج، كما قيل للإمام
 أحمد: (ألا يسعنا أن نقول: القرآن كلام الله ونسكت؟ فقال: كان هذا يسع
 من قبلنا)، أي: قبل ظهور قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق^(٣).

١ - سورة التوبة: الآية ١٠٠

٢ - سورة الحج الآية ٧٨

٣ - أحمد فريد السلفية هي الفهم الصحيح للإسلام، منتديات العنابي - www.alnabi.com/

- فكان يكفي المسلم أن يقول: القرآن كلام الله، ولكن بعد ظهور البدعة لا يكفي ذلك حتى يقول القرآن كلام الله غير مخلوق.
- فاسم الإسلام كان يكفي عندما كانت الأمة جماعة واحدة، وقبل ظهور البدع.

وإثباتا لما سبق ذكره قول عبد الله بن مسعود: (إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستُحدَّثون ويُحدَّثُ لكم، فإذا رأيتم محدثةً فعليكم بالعهد الأول)^(١).

مجالات ارتباط السلفية بالإسلام الصحيح:

المجال الأول: تقديم الشرع على العقل:

في اتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير، ففي الصفات الإلهية: إثباتها بلا كيف، وفي المسائل الكلامية الأخرى: اتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولا، ثم الاقتداء بالصحابة؛ (لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم، فكانوا أعلم بتأويله من أهل العصور التالية، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين، لم يفترقوا فيه، ولم يظهر فيه البدع والأهواء)^(٢).
ومنها تظهر السمة الغالبة على أصحاب المنهج، فهم أهل الحديث وحفاظه ورواته وعلماءه المتبعون للأثر؛ لأنها سبيل المؤمنين، مستشهدين بقوله - تعالى - : (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساء مصيرا)^(٣).

١ - أحمد فريد السلفية هي الفهم الصحيح للإسلام المرجع السابق.

٢ - مصطفى حلمي - قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي ص ١٧٨ مرجع سابق

٣ - سورة النساء الآية ٥١١.

فيميزون عن المتكلمين بأنهم يبدؤون بالشرع ، هم يخضعون العقل له ، ومن ثم فإنهم يقدمون الرواية على الدراية ، والنظر والعقل ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم بالقول أن العقل يتفق مع الشرع ، وأن الأوائل كانوا أكثر فهما ودراية للشرع عن غيرهم^(١).

والسلفيون يتأدبون مع نصوص الكتاب والسنة عاملين بقوله - تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(٢) ، فهم لا يقدمون قول أحدٍ على الوحي المعصوم وإذا اختلفوا يعالجون هذا الاختلاف باتباع السنة كما وصاهم بذلك النبي - ﷺ - :
(عند الاختلاف) ، فقال : (فعليكم بسنتي) ، لا كما يقول أحد المتأخرين :
(نجتمع فيما اتفقنا فيه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)^(٣).

المجال الثاني :

رفض التأويل الكلامي :

فالتأويل عند المتكلمين بعامة يقتضي اتخاذ العقل أصلا في التفسير مقدما على الشرع ، فإذا ظهر تعارض بينهما فينبغي تأويل النصوص إلى ما يوافق مقتضى العقل ، ولكن السلف على العكس - كما يذكر شيخ الإسلام - :
(احتكموا إلى الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية مكتفين بها ، فطوعوا المفاهيم العقلية لها ؛ لأن العقل في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - هو أمر

١ - مصفى حلمي قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي المرجع السابق ص ١٨٨ .

٢ - سورة الحجرات الآية ١ .

٣ - أحمد فريد ، السلفية قواعد وأصول ، منتدى فرسان السنة / www.forsanelhaq.com/

يقوم بالعقل ، سواء سمي عرضاً أو صفة ، ليس هو عينا قائمة بنفسها كما يعتبره الفلاسفة^(١).

والعقل كما يرى الدكتور الغمراوي يعجز عن إحاطة الحقائق التي أوردتها الدين ؛ (لأن الدين الصادر عن خالق الخلق ، وقد تناول جميع الفطرة : ماضيها ، وحاضرها ومستقبلها بالإجمال فيما اقتضت الحكمة الإلهية إجمالاً ، وبالتفصيل فيما اقتضت تفصيله ، والعقل الذي يمكن أن يحيط بالفطرة لم يخلفه الله بعد^(٢)).

وعلى الضوء السابق ذكره نؤكد بأن السلف المتقدمين والمتأخرين لم يعارض أحد منهم النصوص بمعقوله ، فإن أراد معرفة شيء من الدين نظر فيما قاله الله والرسول ، فمنه يتعلم ، وبه يتكلم ، وفيه ينظر ويتفكر ، وبه يستدل ، وعلى العكس من ذلك المنهج يقف على الطرف الآخر أصحاب المنهج الكلامي الذين اعتمدوا على ما رأوه ، ثم نظروا في الكتاب والسنة ، فإن وجدوا النصوص توافقه أخذوا بها ، وإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً ، أو حرفوها تأويلاً.

المجال الثالث : الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية :

منهج السلف الصالح في الاستدلال هو الاستتار بالكتاب والسنة بفهم السلف ، ولا يميلون عن فهم السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم قيد أنملة ، ولا يقولون برأيهم ولا بتأويلاتهم في مسائل الاعتقاد ، ولا يقدمون

١ - ابن تيمية : فتاوى ج ٩ ص ٢٧٩ .

٢ - مصنفى حلمي قواعد المهج السلفي في الفكر الإسلامي مرجع سابق ص ١٩٢ .

Ô Ô

وخصوصا..، وهو معنى قوله - ﷺ - : (الذين على ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

منهج الاستدلال عند السلف الصالح :

منهج الاستدلال عند السلف الصالح هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند السلف الصالح يقوم على القواعد التالية :

- ١ - حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي).
- ٢ - مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.
- ٣ - يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.
- ٤ - يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردّون ما يخالف ذلك.
- ٥ - يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله - ﷺ -، وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وهم أعلم باللغة

ومقاصد الشرع ، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

قال ابن تيمية : إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه من الله من صفاته وأفعاله ، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات).

٦- ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به ، وما اشتبه عليهم علمه ، أو علم كيفيته (كبعض نصوص الغيبات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله - ﷻ - ، ولا يخوضون فيه.

٧- يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) ؛ لاحتمالها للخطأ والصواب ؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً^(١). وعلى الضوء السابق ذكره نكشف مدى ارتباط السلفية بالإسلام ، وإضافة ذلك ، هناك أيضاً مجال هام آخر يتضح لنا قوة ارتباط السلفية بالإسلام الصحيح ، ألا وهو الجانب العقدي. عقيدة السلف الصالح دليل على إيجاد صلة قوية بين السلفية الحقّة والإسلام الصحيح.

وهذه الحقيقة تعرف عبر وصف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لعقيدة السلف الصالح :

عقيدة السلف الصالح عند الشيخ الألباني

١ - ناصر عبد الكريم العقل ، سلامة و منهج الاستدلال عند السلف وفساد منهج المخالفين

- هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- والإيمان بربوبية الله - تعالى - ، أي بأنه الرب الخالق الملك المدبر لجميع الأمور.

- والإيمان بالوهمية الله - تعالى - ، أي بأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل.

- الإيمان بأسمائه وصفاته ، أي بأنه له الأسماء الحسنی والصفات الكاملة العليا.

- الإيمان بوحديته في ذلك ، أي بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته ، قال الله - تعالى - : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)^(١).

- الإيمان بأنه (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)^(٢).

- الإيمان بأنه (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ❖ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس

١ - سورة مريم الآية ٥٦

٢ - سورة البقرة الآية ٢٥٥

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(١).

- الإيمان بأنَّ له ملك السماوات والأرض (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)^(٢).

- الإيمان بأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّ شَيْءٌ عَلِيمٌ)^(٣).

- الإيمان بأنه (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)^(٤).

- الإيمان بأنه (عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)^(٥).

- الإيمان بأن الله (عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٦).

١ - سورة الحشر الآية ٢٢ - ٢٤

٢ - سورة الشورى الآية ٤٩ - ٥٠

٣ - سورة الشورى الآية ١١ - ١٢

٤ - سورة هود الآية ٩

٥ - سورة الأنعام الآية ٥٩

٦ - سورة لقمان الآية ٣٤

- الإيمان بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
 تَكْلِيمًا)^(١)، (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ)^(٢)، (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ
 جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا)^(٣).
 - الإيمان بأنه (لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
 كَلِمَاتُ رَبِّي)^(٤)، (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ
 مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٥).

- الإيمان بأن كلماته أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام،
 وحسناً في الحديث، قال الله - تعالى - : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا
 وَعَدْلًا)^(٦)، وقال : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)^(٧).
 - الإيمان بأن القرآن الكريم كلام الله - تعالى - تكلم به حقاً، وألقاه إلى
 جبريل، فنزل به جبريل على قلب النبي - ﷺ - : (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
 الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)^(٨).

١ - سورة النساء الآية ١٦٤

٢ - سورة الأعراف ١٤٣

٣ - سورة مريم الآية ٥٢

٤ - سورة الكهف الآية ١٠٩

٥ - سورة لقمان الآية ٢٧

٦ - سورة الأنعام الآية ١١٥

٧ - سورة النساء ٨٧

٨ - سورة النحل الآية ١٠٢

- الإيمان بأنه - تعالى - مع خلقه وهو على عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم، يرزق الفقير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(١).

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم: إنه مع خلقه في الأرض، ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

والسلف الصالح يؤمن بنبوت كل ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله - ﷺ - من الأسماء والصفات، لكننا نتبرأ من محذورين عظيمين هما: التمثيل: أن يقول بقلبه أو لسانه: صفات الله - تعالى - كصفات المخلوقين.

والتكييف: أن يقول بقلبه أو لسانه: كيفية صفات الله - تعالى - كذا وكذا.

- ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله - ﷺ - ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

وختاماً: يرى السلف الصالح أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه، وذلك لأن ما أثبتته الله لنفسه، أو نفاه عنه - سبحانه - فهو خبرٌ أخبر الله به

عن نفسه ، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قِيلاً وأحسن حديثاً ، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبتته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبرٌ أخبر به عنه ، وهو أعلم الناس برّبّه وأنصح الخلق وأصدقهم وأفصحهم^(١).

وكل ما تم ذكره من صفات الله - تعالى - تفصيلاً أو إجمالاً ، إثباتاً أو نفياً ؛ فإن السلف الصالح يعتمدون ذلك على كتاب الله وسُنّة نبيه محمد - ﷺ - ، وعلى ما سار عليه سلف الأُمّة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون. ويرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسُنّة في ذلك على ظاهرها ، وحملها على حقيقتها اللاتقة بالله - ﷻ - .

ويتبرأ من طريق المحرّفين لها الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله.

ومن طريق المعطلين لها الذين عطّلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكيف.

ويعلم السلف علم اليقين أنّ ما جاء في كتاب الله - تعالى - أو سُنّة نبيّه - ﷺ - فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً لقوله - تعالى - : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)^(٢) ، ولأن

١ - محمد بن صالح العثيمين عقيدة أهل السنة والجماعة ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح

العثيمين الخيرية www.ibnothaimeen.com

٢ - سورة النساء الآية ٨٢

التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً ، وهذا محال في خبر الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - .

ومن ادّعى أن في كتاب الله - تعالى - أو في سُنّة رسوله - ﷺ - أو بينهما تناقضاً ، فذلك لسوء قصده وزيف قلبه ؛ فليتب إلى الله - تعالى - ولنزاع عنه.

ومن توهم التناقض في كتاب الله - تعالى - أو في سُنّة رسوله - ﷺ - أو بينهما ، فذلك إمّا لقلة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر ، فليبحث عن العلم ، وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق ، فإن لم يتبين له فليوكل الأمر إلى عالمه ، وليكفّ عن توهمه ، وليقل كما يقول الراسخون في العلم : (أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا)^(١) ، وليعلم أن الكتاب والسُنّة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف^(٢).

حكم الانتساب إلى السلفية :

ضرورة الانتساب إلى السلفية

إن السلفية هي حزب الله حقاً ، وهي التي تمثل الإسلام الصافي الذي كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه ، ومذهب السلف لا يكون إلا حقاً . والسلفية ، هي العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة ، واتباع السلف الصالح في فهمهما ، واجتناب ما جد من الآراء المحدثّة والمذاهب المنكرة.

١ - سورة آل عمران الآية ٧

٢ - محمد بن صالح العثيمين عقيدة أهل السنة والجماعة

ولفظة السلفية أو السلفي لا تطلق عند علماء السنة والجماعة إلا علي سبيل المدح، والدعوة السلفية دعوة عريقة أصيلة واسم لا غبار عليه^(١).
 وسئل الشيخ الألباني عن هذا الموضوع، ونص السؤال: لماذا التسمية بالسلفية؟ أهى دعوة حزبية أم طائفية أم مذهبية، أم هى فرقة جديدة فى الإسلام؟ الجواب: (إن كلمة السلف معروفة فى لغة العرب وفى لغة الشرع، وما يهمنى هو بحثها من الناحية الشرعية، فقد صح عن النبى - ﷺ - أنه قال فى مرض موته للسيدة فاطمة - رضي الله عنها - : (فاتقى الله واصبرى، ونعم السلف أنا لك)^(٢)، ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى.

وهناك من ينكر هذه النسبة، زاعماً أن أصل لها، فيقول: لا يجوز للمسلم أن يقول: أنا سلفي، وكأنه يقول: لا يجوز أن يقول المسلم: أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك، لا شك أن مثل هذا الإنكار لو كان يعنيه، يلزمه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذى كان عليه سلفنا الصالح، وعلي رأسهم النبى - ﷺ -^(٣).

والسلفية رسم شرعى أصيل، يرادف (أهل السنة والجماعة)، و(أهل السنة)، و(أهل الجماعة)، و(أهل الأثر)، و(أهل الحديث)، و(الفرقة الناجية)، و(الطائفة المنصورة)، و(أهل الاتباع)^(٤).

١ - محمد بن ناصر الألباني، سلسلة مفهوم السلفية www.islamway.com

٢ - محمد بن ناصر الألباني، سلسلة مفهوم السلفية

٣ - محمد بن ناصر الألباني، سلسلة مفهوم السلفية مرجع سابق

٤ - محمد بن ناصر الألباني، سلسلة مفهوم السلفية مرجع سابق

فقد كان من نتائج المنهج السلفي : اتحاد كلمة أهل السنة والجماعة بتوحيد ربهم ، واجتماعهم باتباع نبيهم ، واتفاقهم في مسائل الاعتقاد وأبوابه قولاً واحداً لا يختلف مهما تباعدت عنهم الأمكنة ، واختلفت بهم الأزمنة ، ويتعاونون مع غيرهم بالتعاون الشرعي الأخوي المبني على البر والتقوى ، والمنضبط بالكتاب والحكمة^(١).

قال الإمام السفاريني : (المراد بمذهب السلف ، ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رمي ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضي : مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء)^(٢).

حكم الانتساب إلى السلفية

بناء على السالف ذكره فإنه يصبح الانتساب إلى السلفية أمراً قاطعاً ؛ لأن كل خير في اتباع السلف ، وكل شر في ابتداء من خلف ، وذلك استناداً إلى قول العلماء الأفاضل :

يقول الشيخ ابن تيمية في مجموعة الفتاوى : في رده على قول العز بن عبد السلام : ولا عيب على من أظهر مذهب السلف ، وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً ،

١ - منتديات تبسة الإسلامية ، ماهي حقيقة السلفية

٢ - لوامع الأنوار- الملتقى المغربي للقرآن الكريم / www.maroc-quran.com/

فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته، وتوكل سريره إلى الله، فإننا لم نؤمر أن نقب عن قلوب الناس، ولا نشق بطونه^(١).

وسئل الشيخ العلامة ابن باز - رحمه الله - عمن تسمى بالسلفي والأثري هل هي تزكية ؟.

فأجاب إذا كان صادقاً أنه سلفي لا باس، مثلما كان السلف يقول: فلان سلفي، فلان أثري؛ تزكية لا بد منها، تزكية واجبة^(٢).

قال الشيخ محمد الصالح بن عثيمين - رحمه الله - :

السلفية هي اتباع منهج النبي حقيقة السلفية وأصحابه؛ لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفية، وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان، ويضل من خالفه من المسلمين، ولو كانوا على حق: فلا شك أن هذا خلاف السلفية، فالسلف كلهم يدعون إلى الإسلام والالتزام حول سنة الرسول - ﷺ - ، ولا يضللون من خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون من خالفهم فيها فهو ضال.

ولكن بعض من انتهج السلفية في عصرنا هذا صار يضل كل من خالفه، ولو كان الحق معه، واتخذها بعضهم منهجاً حزبياً كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى الإسلام، وهذا هو الذي يُنكر ولا يُمكن إقراره، ويقال:

١ ابن تيمية مجموع الفتاوى

٢ - أبو عبد الله الحديدي، معنى السلفية منتديات الأجرى / www.ajurry.com

انظروا إلى مذهب السلف الصالح، ماذا كانوا يفعلون في طريقتهم وفي سعة صدورهم في الخلاف الذي يسوغ فيه الاجتهاد؟، حتى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، في مسائل عقدية، وفي مسائل علمية، فتجد بعضهم مثلاً - يُنكر أن الرسول - ﷺ - رأى ربه، وبعضهم يقول بذلك، وبعضهم يقول: إن الذي يُوزن يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أن صحائف الأعمال هي التي تُوزن، وتراهم - أيضاً - في مسائل الفقه يختلفون، في النكاح، في الفرائض، في العدد، في البيوع، في غيرها، ومع ذلك لا يُضلل بعضهم بعضاً^(١).

وسئل الشيخ الفوزان - حفظه الله - هل السلفية حزب من الأحزاب؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟

فأجاب: إن السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة ليست حزبا من الأحزاب التي تسمى الآن أحزابا، وإنما هم جماعة على السنة، وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم) وقال - أيضاً - : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه رسول الله - ﷺ - وأصحابه، فهي ليست حزبا من الأحزاب العصرية الآن،

١ - عبد الرحمن الأثري ما هي حقيقة السلفية طريق النور <http://www.alnorway.com>

وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول - ﷺ - متوارثة مستمرة، لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة^(١).

وهناك الكثير من أقوال علماء السنة والجماعة تحت على اتباع المنهاج السليم، ألا وهو منهاج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - .

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

قد أمر الله - تعالى - عباده المؤمنين، وحَثَّهم على الجماعة والائتلاف والتعاون، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف والتناحر، فقال: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)^(٢)، وقال: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)^(٣)، وقال - تعالى - : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)^(٤)، وقال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي: الجماعة).

ما موقف السلفية بين الجماعات الإسلامية ؟

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، لما سئل عن موقف السلفية بين الجماعات الإسلامية المعاصرة.

فأجاب قائلاً: أقول كلمة حق لا يستطيع أي مسلم أن يجادل فيها بعد أن تتبين له الحقيقة: أول ذلك: الدعوة السلفية، نسبة إلى ماذا؟، السلفية نسبة

١ - عبد الرحمن الأثري ما هي حقيقة السلفية طريق النور مرجع سابق

٢ - سورة آل عمران الآية ١٠٣

٣ - سورة آل عمران الآية ١٠٥

٤ - سورة الأنعام الآية ١٥٩

إلى السلف ، فيجب أن نعرف من هم السلف إذا أُطلق عند علماء المسلمين :
السلف ، وبالتالي تُفهم هذه النسبة ، وما وزنها في معناها وفي دلالتها؟ ،
السلف : هم أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخيرية
في الحديث الصحيح المتواتر المخرج في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من
الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : (خير الناس
قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) ، هم القرون الثلاثة الذين شهد
لهم الرسول - ﷺ - بالخيرية ، فالسلفية تنتمي إلى هذا السلف ،
والسلفيون ينتمون إلى هؤلاء السلف ، إذا عرفنا معنى السلف ، فالسلفية
حينئذٍ أقول أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن هذه النسبة ليست نسبة إلى شخص أو أشخاص ، كما
هي نسب جماعات أخرى موجودة اليوم على الأرض الإسلامية ، هذه
ليست نسبة إلى شخص ولا إلى عشرات الأشخاص ، بل هذه النسبة هي نسبة
إلى العصمة ؛ ذلك لأن السلف الصالح يستحيل أن يجمعوا على ضلالة ،
وبخلاف ذلك الخلف ، فالخلف لم يأت في الشرع ثناء عليهم ، بل جاء الذم في
جماهيرهم ، وذلك في تمام الحديث السابق ، حيث قال - ﷺ - : (ثم يأتي
من بعدهم أقوام يشهدون ولا يُستشهدون) إلى آخر الحديث ، كما أشار
الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى ذلك في حديث آخر فيه مدح لطائفة
من المسلمين وذم لجماهيرهم بمفهوم الحديث ، حيث قال - ﷺ - : (لا
تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي
أمر الله) ، أو (حتى تقوم الساعة) ، فهذا الحديث خص المدح في آخر الزمن

بطائفة، والطائفة: هي الجماعة القليلة، فإنها في اللغة: تطلق على الفرد فما فوق.

فإذاً إذا عرفنا هذا المعنى في السلفية، وأنها تنتمي إلى جماعة السلف الصالح، وأنهم العصمة فيما إذا تمسك المسلم بما كان عليه هؤلاء السلف الصالح، حينئذ يأتي الأمر الثاني الذي أشرتُ إليه آنفاً، ألا وهو أن كل مسلم يعرف حينذاك هذه النسبة، وإلامَ ترمي من العصمة^(١).

أهم سمات السلف الصالح:

من سمات السلف الصالح الآتي:

- هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وكما أن لهم منهجاً اعتقادياً فإن لهم - أيضاً - منهجهم وطريقهم الشامل الذي ينتظم فيه كل أمر يحتاجه كل مسلم؛ لأن منهجهم هو الإسلام الشامل الذي أنزله الله - تعالى - على نبينا - ﷺ - .

- وأن جماعة المسلمين يهتمون بكتاب الله حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، والاهتمام بالحديث: معرفة وفهما وتمييزاً لصحيحه من سقيمه؛ (لأنهما مصدر التلقي) مع اتباع العلم بالعمل.

- ومن سماتهم الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

- والاعتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، والمقتدي بهم في العلم والعمل والبدعة من الصحابة، ومن سار على نهجهم، ومجانبة من خالف سبيلهم.

- والتوسط: فهم في الاعتقاد وسط بين فرق الغلو و فرق التفريط، وهم في الأعمال والسلوك وسط بين المفرطين والمفرطين.

- الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم. ومن هنا لا يتميزون عن الأمة في أصول الدين باسم سوى السلفية، أو أهل السنة والجماعة، ولا يوالون، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة^(١).

موقف السلف الصالح من الجماعات والأحزاب:

موقف السلف من الجماعات والأحزاب ينبنى على الأساس التالي:

١- الإنصاف والعدل: فهم يراعون حق الله - تعالى - ، لا حق النفس أو الطائفة، ولهذا لا يغفلون في موالٍ، ولا يجورون على معاد، ولا يغمطون ذا فضل فضله أياً كان، ومع ذلك فهم لا يقدسون الأئمة والرجال على أنهم معصومون، وقاعدتهم في ذلك: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي - ﷺ - ، وأنه لا عصمة إلا للوحي وإجماع السلف.

١ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ط ٥، ج ١ - ص ٤٢ - الناشر دار الندوة العالمية. الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م

٢ - يقبلون فيما بينهم تعدد الاجتهادات في بعض المسائل التي نقل عن السلف الصالح النزاع فيها، دون أن يُضلل المخالف في هذه المسائل، فهم عالمون بآداب الخلاف التي أرشدهم إليها ربهم - جلّ وعلا - ، ونبههم - ﷺ - .

٣ - يرون أن أصحاب البدع متفاوتون قرباً وبعداً عن السنة، فيعامل كلُّ بما يستحق، ومن هنا انقسمت البدع إلى: بدع لا خلاف في عدم تكفير أصحابها مثل المرجئة والشيعة، وبدع هناك خلاف في تكفير أو عدم تكفير أصحابها مثل الخوارج والروافض، وبدع لا خلاف في تكفير أصحابها بإطلاق مثل الجهمية المحضة.

- ولا يجوزون تكفير علماء المسلمين أو تفسيقهم أو حتى تأثيمهم؛ لاجتهاد خاطئ، أو تأويل بعيد، خاصة في المسائل المختلف فيها.

- أنه لا يخرج عن اسم الإسلام مخالف في الرأي، ويقال له: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله - تعالى - ، إن شاء غفر له، وإن شاء عاقبه، ولا يخلد في النار.

- يفرقون في المعاملة بين المستر ببدعته، والمظهر لها، والداعي إليها.

- يقومون بالواجب تجاه أهل البدع ببيان حالهم، والتحذير منهم، وإظهار السنة، وتعريف المسلمين بها، وقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط.

- يصلون الجمع والجماعات والأعياد خلف الإمام مستور الحال،
ما لم يظهر منه بدعة أو فجور، فلا يردون بدعة ببدعة.
ومن أهم سماتهم من حيث التعامل: التوافق في الأفهام، والتشابه في
المواقف، رغم تباعد الأقطار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي
- الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافةً، فهم يأتمون بالكتاب
والسنة، بفهم السلف الصالح في علاقاتهم مع بعضهم أو مع غيرهم.
- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.
- الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكف الأذى عنهم.
- موالاة المؤمن لإيمانه بقدر ما عنده من إيمان ومعاداة الكافر لكفره، ولو
كان أقرب قريب^(١).

١ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عقيدة أهل السنة والجماعة - منتدى صيد الفوائد



مفهوم الوسطية في منظور السلفية

الشيخ / فيصل الجاسم

السلفية

مفهوم الوسطية

قد جاء وصف الله - تعالى - للأمة بأنها وسط في قوله - تعالى - :
 (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ
 عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة ١٤٣].

وفسر النبي - ﷺ - هذا الوسطية بالعدالة ، فقد روى البخاري - في
 صحيحه - عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 «يجيء نوح وأمته فيقول الله - تعالى - هل بلغت؟. فيقول : نعم أي رب ،
 فيقول لأمته : هل بلغكم؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح : من
 يشهد لك؟ فيقول : محمد - ﷺ - وأمته ، فنشهد أنه قد بلغ ، وهو قوله
 جل ذكره (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) والوسط
 العدل».

ورواه الطبري بلفظ : «عدولاً».

وهذا التفسير منقول عن كثير من الصحابة والتابعين.

قال الطبري - في تفسيره - : " وأما الوسط فإنه في كلام العرب
 الخيار ، يقال منه : فلان وسط الحسب في قومه ، أي : متوسط الحسب إذا
 أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، وهو وسط في قومه وواسط ، ... إلى أن قال :
 وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين
 الطرفين ، مثل وسط الدار ، مُحَرَّك الوسط مثقله غير جائز في سينه التخفيف ،
 وأرى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في
 الدين ، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في
 عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب

الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم".

وبالنظر إلى ما جاء في السنّة، وما أثر عن السلف، وما حكاه أهل التفسير، نجد أن «وسطية الأمة» تُفسّر بمعنيين:

الأول: العدالة والخيرية.

الثاني: الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء، وبين التفريط والإفراط.

وهذان المعنيان متداخلان، فإن الأمة الإسلامية هي خير الأمم وأفضلها وأعدلها، وذلك لاعتدالها وتوسطها في عقائدها وشرائعها، ولأجل ذلك استحقوا أن يكونوا شهداء على الأمم، إذ الشهادة مبناها على العدالة، وهم أعدل الناس وأفضلهم.

تحرير معنى «الوسطية»

إن المتأمل في أقوال السلف وكلام أهل العلم واصطلاحاتهم يجد أن مصطلح «الوسطية» بهذا الإطار الذي هو شائع اليوم لم يكن معروفاً بين السلف والعلماء، إذ لا يكاد يوجد له ذكر بهذا الاسم، في حين أننا نجد أن كثيراً من العلماء يستدل بوصف الله - ﷻ - للأمة بكونها وسطاً في أبواب وجوب الاتباع ونبد الابتداع، وفي بيان وجوب التمسك بالسنّة وهدى سلف الأمة، وفي بيان وجوب اتباع الصحابة - ﷺ -، ووصفهم بالعدالة والخيرية الموجبة لاتباعهم والافتداء بهم، والتمسك بآثارهم.

فقد بَوَّب البخاري على ذلك فقال - في صحيحه - : (باب قوله - تعالى - : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) وما أمر النبي - ﷺ - بلزوم الجماعة وهم أهل العلم.

حدثنا إسحق بن منصور حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ - : «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول : نعم يا رب ، فتسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير ، فيقول : من شهودك؟ فيقول : محمد وأمته ، فيجاء بكم فتشهدون ، ثم قرأ رسول الله - ﷺ - : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) " .

وذكر البخاري هذا الحديث - أيضاً في كتابه - «خلق أفعال العباد» ، ثم قال : (قال أبو عبد الله : هم الطائفة التي قال النبي - ﷺ - : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم»).

فتراه يستدل بوسطية الأمة على وجوب لزوم السنّة والجماعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - (فتاوى ٣/٣٧٥) - في تفضيل طريق أهل السنّة والجماعة : (وكذلك في سائر أبواب السنّة هم وسط ، لأنه متمسكون بكتاب الله وسنّة رسوله وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان).

وقال - (الفتاوى ٥/٢٦١) - : "وقد قال -تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ، والسنّة في الاسلام كالإسلام في الملل".

وقال ابن القيم - في سياق الأوجه الدالة على وجوب اتباع الصحابة وعدم الخروج عن أقوالهم (إعلام الموقعين ٤/١٣٢) - : "الوجه التاسع :

قوله -تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا).

ووجه الاستدلال بالآية أنه -تعالى- أخبر أنه جعلهم أمة خياراً عدولاً، هذا حقيقة الوسط، فهم - أي الصحابة - خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسول على أهمهم يوم القيامة، والله -تعالى- يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم لأنه تعالى لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأمر ملائكته أن تصلى عليهم وتدعو لهم وتستغفر لهم".

ومعلوم أن هذه الآية إنما نزلت على الصحابة - ﷺ - ، فهم المخاطبون بها أصالة، ومن سار على طريقهم تبعاً، فدل على أن الوسطية التي وصفت بها الأمة إنما هي اتباع السنة وطريق الصحابة - ﷺ - .

قال ابن حجر الهيتمي - (الصواعق المحرقة ٢/٦٠٤) - : "ومنها قوله -تعالى- : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)، والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله حقيقة، فانظر إلى كونه -تعالى- خلقهم عدولاً وخياراً ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة".

ومما لا شك فيه أن الصحابة - ﷺ - هم أهدي الناس، وهم أعلم الناس بدين الله -تعالى- الموصوف بكونه وسطاً، إذ هم الذين أمر الله بالاعتداء بهم واتباعهم.

قال -تعالى- : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة ١٠٠].

وقال -تعالى- : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) [النساء ١١٥].
قال ابن قدامة في كتابه - «ذم التأويل» في بيان وجوب اتباع الصحابة -

❦ - (ص ٢٨) - : "الباب الثاني: في بيان وجوب اتباعهم والحث على لزوم مذهبهم وسلوك سبيلهم وبيان ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.
وأما الكتاب فقول الله -تعالى- (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).
فتوعد على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متبعهم بالرضوان والجنة فقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ).
فوعد المتبعين لهم بإحسان بما وعدهم به من رضوانه وجنته والفوز العظيم.

ومن السنة قول النبي ﷺ - : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».
فأمر بالتمسك بسنة خلفائه كما أمر بالتمسك بسنته، وأخبر أن المحدثات بدع وضلالة، وهو ما لم يتبع فيه سنة رسول الله ولا سنة أصحابه.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ : «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك. إن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ويزيدون عليها ملة ، وفي رواية وأمتي ثلاثاً وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة. قالوا : يا رسول الله من الواحدة؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي ، وفي رواية : الذي أنا عليه وأصحابي».

فأخبر النبي - ﷺ - أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان عليه هو وأصحابه ، فمتبعهم إذاً يكون من الفرقة الناجية لأنه على ما هم عليه ، ومخالفهم من الاثنتين والسبعين التي في النار".

ثم ذكر - رحمه الله - آثاراً كثيرة في وجوب اتباع طريق السلف والصحابة.

إذا علم هذا ، صار أقرب المصطلحات المرادفة لمصطلح «الوسطية» المعاصر عند السلف والأئمة ، وهو الذي يذكرونه لبيان وجوب الاعتدال والتوسط هو مصطلح «السنة».

ولا يُراد بمصطلح «السنة» هنا المعنى الفقهي أو الأصولي ، وإنما المراد به الطريقة العامة للنبي - ﷺ - في العلم والعمل والدعوة ، وهو الذي يُذكر في باب الاعتقاد والاتباع ، وهو المعنى بقول السلف «فلان على السنة» ، ومنه الكتب المؤلفة في هذا الباب مثل كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد ولابن أبي عاصم وللخلال وللمروزي ، وغيرهم.

ومما يدل على ذلك : أمر النبي - ﷺ - بالتمسك بسنته عند وجود طرفي الوسط كالغلو أو الجفاء.

ومنه ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فانظر كيف قابل غلو هؤلاء وزيادتهم في العبادة على الحد المطلوب، بذكر سنته القائمة على التوسط والاعتدال.

ومنه -أيضاً- ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث العبراض بن سارية - رضي الله عنه - قال: «صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفجر، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلّت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة».

وهذه المحدثات التي حذر منها النبي - صلى الله عليه وسلم - إما أن تكون في الزيادة على المشروع فتكون غلو وإفراطاً، وإما بترك بعض المشروع فيكون جفاءً وتفريطاً، والحق بين هذين، وهو التوسط والاعتدال الذي هو سنة النبي -

ﷺ - صلى الله عليه وسلم وسنة خلفاءه من بعده ، وهم الصحابة -

ﷺ - .

وعلى هذا فالوسطيّ: هو المتمسك بالسنة وآثار السلف ، وهو الأمر الذي صلح عليه أول هذه الأمة ، ولا يصلح آخرها إلا به.

قال ابن مسعود - ﷺ - فيما رواه ابن عبد البر - في الجامع (باب ما تكره فيه المناظرة والمجادلة) - : "من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد - ﷺ - ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

وقال ابن مسعود - ﷺ - أيضاً فيما رواه الدارمي وغيره - : "ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق".

وقال الإمام مالك - كما في «العتبية» («المدخل» لابن الحاج / فصل زيارة سيد الأولين والآخرين) - : "ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها".

وقال - أيضاً في («الشفاء» للقاضي عياض ٧١/٢) - : "ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

فالسنة وهدي السلف هو الطريق الموصل إلى رضوان الله ، وهو الطريق الذي رسمه النبي - ﷺ - لإصلاح الأمة في كل زمان ومكان ، لأنه الطريق الوسط ، فهو أعدل الطرق وأفضلها وأقربها إلى الله ؛ لأنه سلم من الانحراف ، وكان بين الغلو والجفاء ، وبين الإفراط والتفريط ، ولذلك كان

السلف والأئمة يوصون دوماً بالتمسك بالسنة واقتفاء آثار السلف، ويحذرون من مخالفتهم.

والانحراف عن وسطية الأمة واعتدالها لم يظهر إلا لمخالفة طريق السنة وهدي السلف، فظهر الغلو من جانب، والجفاء من جانب، وكلا طرفي الأمر ذميم.

ولذلك قال بعض السلف تلك الكلمة المشهورة وهي: (دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه).

ولما ظهر الانحراف عن الوسطية والاعتدال من أهل الغلو والجفاء، أنكر عليهم السلف، وأمروهم بلزوم السنة وطريق الصحابة الأولين، وقالوا في بيان مخالفتهم للصواب وانحرافهم عن طريق الحق: «هذا خلاف السنة»، أو «هذا خلاف طريق السلف».

فمن ذلك ما ذكره ابن مفلح - في «الآداب الشرعية» - : "قال ابن حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا، يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك، ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه.

فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صواب، هذا خلاف الآثار".

وهكذا كان الأئمة ينكرون على من خرج عن طريق الوسطية والاعتدال بكونه خلاف السنة والآثار السلفية.

وهذا يؤكد بأن مصطلح «السنة» عند الأولين هو أقرب مرادف لمصطلح «الوسطية» المعاصر. وهذا يدلنا على جواب سؤال مهم وهو:
 من يحدد المنهج الوسط؟ وما هو ميزان الوسطية التي توزن به الأقوال والآراء والأفعال؟

قد تباينت الآراء حول «الوسطية» وتحديدتها، واضطرب الناس في الميزان الذي توزن به الآراء والأفعال: أي منها يُعد من «الوسطية»، وأي منها خارج عن «الوسطية».

فلقد خاض كثير من الناس في «الوسطية» واستعملوها بلا ضوابط شرعية، حتى صارت الوسطية تبعاً لآرائهم واختياراتهم من غير ميزان يزنها، ولا ضابط يضبطها، ولا مفهوم يحددها، حتى آل الأمر ببعضهم إلى نبذ مسلمات من الدين باسم «الوسطية».

ومعلوم أن وصف الله - تعالى - هذه الأمة بأنها وسط، هو وصف عام للشرعية، فالوسطية سمة لكل الشريعة بكافة جوانبها: الاعتقادية منها والعملية، فهي وسط في العقيدة، كما أنها وسط في الشريعة.

وإذا كنا قد بينا أن مصطلح «السنة» عند السلف هو أقرب مرادف لمصطلح «الوسطية»، صارت «السنة» وما كان عليه السلف من العلم والعمل هو الميزان الذي توزن به الأمور، ويُعرف به الوسطي من الأقوال والأفعال، مما ليس بوسطي. فما وافق السنة وطريق السلف الصالح من الأقوال والأفعال كان من الوسطية، وما خالفها فليس من الوسطية.

وبهذا نضبط «الوسطية» ونحدد مفهومها تحديداً يُعرف به ما هو منها مما ليس منها.

وعلى هذا فشعار الوسطية الحقّة ينبغي أن يكون :

(ما وسّع السلف من الأقوال والأفعال وسّعنا ، وما لم يسّعهم لم يسّعنا)
قال الأوزاعي : "اصبر نفسك على السنّة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسّعهم ، ولو كان هذا - يعني ما حدث من البدع - خيراً ما خصصتم به دون أسلافكم ، فإنه لم يُدّخر عنهم خيرٌ خُبّيَ لكم دونهم لفضلٍ عندكم ، وهم أصحاب رسول الله - ﷺ - الذي اختارهم الله لصحبة نبيه ، وبعثه فيهم ووصفهم به فقال : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)".
ارواه أبو نعيم في الحلية (١٤٣/٦) واللالكائي (١٥٤/١)

وروى أبو داود أن رجلاً كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر. فكتب إليه : "أما بعد ، أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنّة نبيه - ﷺ - ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته ، وكفوا مؤونته ، فعليك بلزوم السنّة فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنّة إنما سنّها من قد علم ما في خلافتها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصرٍ نافذٍ كفّوا ، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتُم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم من مقصّر ، وما

فوقهم من محسّر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم".

وقوله : (عليك بالاقتصاد في أمره) أي التوسط بين الإفراط والتفريط.
فتأمل وصيتهما بلزوم السنّة، وعدم الخروج عن أقاويل السلف، وترك القول فيما لم يخض فيه السلف، ولزوم طريقتهما فيما وقفوا فيه وفيما كشفوه، وأن المخالف لهم في ذلك مبتدع ضال عن سواء السبيل.
ولنضرب لذلك أمثلة يتضح به المقال :

فمن ذلك أن الصحابة والسلف الكرام قد اتفقت كلمتهم في ما يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته - الواردة في الكتاب والسنّة - من وجوب إقرارها والإيمان بها، كما جاءت من غير تعرّضٍ لها بتعطيل أو تحريف، ولا تكيف ولا تمثيل، لم تختلف كلمتهم في ذلك. وأنكر السلف على من تعرّض لها بشيء من ذلك واشتد نكيرهم على الفرق التي خاضت فيه، وهذا أمرٌ معلوم لمن له أدنى اطلاع على كتب السنّة، مما يعني أن السلف لم يسعهم الخلاف في هذا الباب ولا الخوض فيه بغير طريق الصحابة والسلف، فلا يمكن إذاً أن يسعنا ما لم يسع السلف، ولذلك كان من دعا إلى قبول قول من خاض في مسائل الأسماء والصفات لله - تعالى - بغير ما كان عليه السلف وظن أن قبول مثل هذه الأقوال يعتبر من الوسطية، فهو مخطئ، لأن «الوسطية» لا يمكن أن تخرج عن طريق السلف وهدْيهم، وإلا لاستلزم ذلك: أن السلف لم يكونوا وسطيين، وهذا باطل.

ومما يؤكد هذا أنه لما خاض بعض الخلفاء العباسيين في ذلك وألزم الناس به كما حصل من الفتنة بمسألة خلق القرآن، ومع كون السلف من أكثر الناس

دعوة إلى السمع والطاعة لولادة الأمور، فإنهم لم يقبلوا الخوض في هذا الباب بغير طريق السلف حتى لو كان الذي تبناه هو خليفة المسلمين الذي تلزمنا طاعته، فكيف بغيره.

ومن المسائل التي وسع السلف الخلاف فيها: مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في المعراج، فقد وقع فيها الخلاف بين الصحابة أنفسهم ومن بعدهم من السلف ما بين مثبت لذلك ونافي، وهذا يستلزم أن يسعنا ما وسعهم من الخلاف فيها، فلا يُنكر على من اختار أحد القولين.

وإذا نظرنا إلى المسائل الفقهية، فمنها أيضاً ما وسع السلف الخلاف فيها لما ورد فيها من الأدلة، ومنها ما لم يسعهم الخلاف فيها كالمسائل التي تخالف النصوص، والتي عدّوا من خالف فيها شاذاً لا عبرة بقوله ولا خلافه.

وعلى هذا فلا فرق في هذه القاعدة بين ما يُسمّى بمسائل الأصول ولا غيرها من مسائل الفروع، بل العبرة في ذلك هو قبول السلف للخلاف من عدمه. فما قبله السلف ووسعهم من الأقوال وسعنا، وما لم يقبلوه ولم يسعهم لا يمكن أن يسعنا.

ومسألة قبول السلف - رحمهم الله - وسعة صدرهم للخلاف من عدمه مبني على الدليل، فهم لا يقبلون القول المخالف لنص الكتاب أو السنة أو الإجماع، لأنه من المنكر الذي أمرنا النبي - ﷺ - بإنكاره في قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره» الحديث، وأما ما ليس فيه نص وللاجتهاد فيه مجال فلا إنكار فيه عندهم.

قال ابن القيم - في «إعلام الموقعين ٢٨٨/٣» - : "وقولهم إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول

والفتوى أو العمل ، أما الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً ، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله ، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار ، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقص حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء ، وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً. وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد ، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصواب ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً ؛ مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها ، وليس في قول العالم إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب" ١هـ.

العلم الصحيح الراسخ هو أبرز ما تقوم عليه «الوسطية»

«الوسطية» باعتبار ما تم توضيحه من معناها لا تقوم إلا على علم صحيح راسخ ، إذ مبناها على اتباع الدليل والأثر ، ونبذ التعصب والهوى ، فلا يمكن أن توجد وسطية مع الجهل بالشرع والأدلة والآثار ، لأن الشرع بكل تشريعاته قائم على الاعتدال والتوسط ، وهذا الاعتدال ليس منشأه الآراء المحضة ، ولا

الأهواء المختلفة، وإنما هو موجود في أصل التشريع، فالشريعة إنما شرعها الله عز وجل قائمة على الاعتدال ومراعاة الأحوال والمتغيرات، وهذه الوسطية والاعتدال قد دلت عليها الشريعة في أصولها، وإنما تُعرف هذه الأصول بالعلم الراسخ.

والعلم الراسخ إنما هو: كتابٌ، وسنةٌ، وقول صاحبٍ، واجتهاد العلماء الراسخين فيما لم يرد فيه دليل.

قال ابن القيم:

(العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فلان).

فكل من ادعى الوسطية في رأي معين، أو منهج معين، نظرنا: فإن كان عليه أثارة من علم قبلناه، وإلا نبذناه. إذ الوسطية لا تعني ابتداع منهج جديد، أو تبني رأي محدث، فما لم تدل عليه أصول الشريعة فليس من الوسطية.

ولهذا كان السلف ينكرون على أهل الانحراف عن الوسطية من أهل الغلو أو الجفاء بلزوم السنة واتباع الآثار، ويحذرون من مغبة اتباع الآراء وتبنيها من غير دليل ولا سنة ماضية، وآثارهم في هذا الباب كثيرة.

فمنها ما قاله النبي ﷺ - محذراً من هذا المسلك - فيما رواه أحمد وأهل السنن - : « فإنه من يعيش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة. ».

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "إنا نفتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر" [أخرجه اللالكائي].

وقال - أيضاً - : "عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه أن يذهب أهله، وإنكم ستجدون قوماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم وإياكم والبعد، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق" [أخرجه البيهقي في «المدخل»].

وما من قولٍ أو رأيٍ هو في نفسه حقٌ إلا ولا بد أن يكون عليه أمانة تبينه ودليل يدل عليه، فكيف بأمور الدين والإسلام، فمن ادعى شيئاً من الوسطية مما ليس عليه إثارة من علم فهو مردود غير معدود من الدين.

قال - تعالى - : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنْ تُؤْنِسُوا بِيَكْتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف ٤].

قال الطبري - في تفسيره - : "فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لآلهتكم، أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك، (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في دعواكم لها ما تدعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تغن عن المدعى شيئاً".

وهذا يجعل «الوسطية» ليست بالأهواء المختلفة والآراء المحضة.

وإذا كانت وسطية الإسلام تعني الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء، ومراعاة الأحوال والمتغيرات، فإن هذين الطرفين المذمومين المجانبيين للوسطية منشأهما أحد أمرين، أو كلاهما:

الأمر الأول : الجهل.

الأمر الثاني : الهوى.

والعلم الراسخ الصحيح يُبرئ من هذين الأمرين ؛ لأن الجهل ضد العلم ، والهوى ضد الاتباع والتسليم والإذعان.

والعلم الصحيح الراسخ يشمل أمرين :

الأول : علمٌ بأحكام الله -تعالى- وشرعه ، وهذا يُبرئ من الجهل في الأحكام ، أو قلة الصبر على المأمور ، أو الاستعجال في الثمرات ونحو ذلك من آثار قلة العلم.

الثاني : علمٌ بالله -تعالى- وما له من العظمة والكبرياء والجلال والبهاء الذي يستلزم الاستسلام لأمره ، والإذعان لحكمه ، والرغبة في طاعته ، والرغبة من مخالفته ، وهذا يُبرئ من الهوى الذي منشأ الجهل بالله -تعالى- وبما عنده ، بحيث يؤثر صاحب الهوى ما يهواه على أمر الله -تعالى- .

قال - تعالى - محذراً من اتباع الهوى في مخالفة أمر الله -تعالى- :
 (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ
 يَغْيِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِذَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص ٥٠].

وقال -تعالى- : (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)
 [الجاثية ٢٣].

وجاء في الحديث : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »
 [أخرجه الهروي في « ذم الكلام » وغيره وصححه النووي].

وبَيَّنَّ النبي - ﷺ - أثر الجهل في انتكاس الأحوال، واضطراب الأمور، واختلال الموازين فقال في بيان علامات الساعة: «من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل» [متفق عليه].
وقال - أيضاً - في بيان تلازم الخيرية بالعلم - : «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [متفق عليه].
وهذه الخيرية المرتبطة بالعلم تعم الأفراد والمجتمعات.

سمات «الوسطية»

لوسطية الإسلام واعتداله سمات وخصائص ، فمنها :

أولاً : أنه المنهج الذي ارتضاه الله -تعالى - واختاره لأفضل وأكمل وأشرف رسله - ﷺ - ، وخصَّ الله -تعالى - به أمة - ﷺ - ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ، يشهدون للأنبياء في تبليغهم الرسالة.

قال -تعالى - : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران ١١٠].

فرفع الله عن هذه الأمة الأغلال والآصار التي كانت على من سبقهم من الأمم ، فجعلهم خير الأمم ، معتدلين في شريعتهم ، متوسطين في أمورهم.

قال -تعالى - : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف ١٥٧].

ثانياً : أن فيها مراعاة الأحوال والمتغيرات ، سواء المتعلقة بالأفراد ، أو المجتمعات ، أو الدول ، انطلاقاً من قوله -تعالى - : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) التغابن ١٦.

فالوسطية والسنة لا تكلف العباد ما ليس في وسعهم ومقدورهم ، فهي تراعي اختلاف الأحوال والأزمنة ، ولذلك كانت صالحة لكل زمان ومكان.

ومن ذلك مثلاً تشريع الجهاد : فإن الله -تعالى - شرعه على مراحل تناسب حال الناس والوقت والزمان ، فشُرِعَ الصبر أولاً لما كان المسلمون في حال ضعف وقلة ، كما في قوله -تعالى - : (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) [البقرة ١٠٩].

ثم أذن لهم في القتال من غير إلزام لأنهم مظلومون كما في قوله تعالى
(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج: ٣٩].
ثم أمره الله - ﷻ - بقتال من قاتله والكف عمن كف عنه ، كما في
قوله - تعالى - : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

ثم أمر بقتال الكفار جميعاً وجهاد المشركين مطلقاً وغزوهم في بلادهم
حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، كما في قوله -تعالى- : (فَإِذَا
انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ٥].

وهذه الأحكام يُعمل فيها بحسب الحال والمقام.

فالشريعة قائمة على اعتبار الأحوال والتغيرات ، ولذلك كان من قواعد
الشريعة : أن المشقة تجلب التيسير.

وكما أن المشقة تجلب التيسير ، فقد يمنع الشرع ابتداءً بعض الأمور سداً
للدريعة وصيانة للتوحيد ، فبدأ بالأشد ثم الأخف والأيسر ، ومن ذلك منع
النبي - ﷺ - الانتباز في الأوعية التي يُسرّع إليها الإسكار ، كالحتم والنقير
والمزفت ، كما جاء في الصحيحين من حديث وفد عبد القيس ، وفيه :
«ونهاهم عن أربع : عن الحتم والدباء والنقير والمزقت. وربما قال : المُقِير».

ثم لما استقرت الشريعة وداخل الإيمان بشاشة القلوب نسخ ذلك ، فقال
- ﷺ - : «نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء ، فاشربوا في الأسقية كلها ولا
تشربوا مسكراً» [رواه مسلم].

ثالثاً: أنها تراعي القدرات والإمكانات :

فيختلف التشريع بحسب قدرات الناس وطاقاتهم ، ولذلك فإنه أوجب على الرجل ما لم يوجهه على المرأة ، ويوجب -أيضاً- على العالم ما لا يوجهه على الجاهل ، ويوجب على الحاكم ما لا يوجهه على آحاد الرعية ، وهكذا نجد التشريع يناسب قدرات الناس وإمكاناتهم.

ومن ذلك قول النبي - ﷺ - : «من رأى منكم فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه» [رواه مسلم].

وكما في قوله - ﷺ - : «صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب» [رواه البخاري].

رابعاً: أنها مبنية على التيسير والتخفيف ، ورفع الآصار والأغلال.
قيل لرسول الله - ﷺ - : «أي الأديان أحب إلى الله؟ قال : الحنيفة السمحة» [ت حم].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - ، قال : «إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» [رواه البخاري].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : «ما خيّر رسول الله - ﷺ - بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - ، قال : «لن ينجي أحدٌ منكم عمله ، ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته ، ولكن سدّدوا وقاربوا ، و اغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا» [متفق عليه].

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - ، قال : «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» لرواه أحمد وأبو داود.

و«القصد» المذكور في الحديث وكذا «الاقتصاد» إنما هو الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء.

وهذا التيسير والتخفيف موجود في أصل التشريع ، فإن الله تعالى شرع للمسلمين شريعة سمحة سهلة ليس فيها أغلال ولا آصار. ولذلك جاءت الشريعة بالرخص التي تناسب أحوال الناس ومتغيرات الزمان والأحوال. وهذا يعني أن المراد بالتيسير هو ما جاءت الشريعة لا ما ابتدعه الناس بأهوائهم وآرائهم المحضه ، فإن بعض الناس قد نبذ بعض مسلمات الدين بحجة التيسير ، فأحل ما حرم الله ، وحرم ما أحل الله ، وهذا من الجهل والخطأ.

خامساً : إنها تعصم من الفتن.

إذ أن الفتن إنما تنشأ من المبالغة والمجاوزة ، سواءً كانت في طرف الغلو أو في طرف الجفاء ، فما من فتنة وقعت إلا وسببها الغلو ومجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال الذي هو «السنة».

قال النبي - ﷺ - : «ياكم والغلو ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» لرواه أحمد والنسائي وغيرهما.

وكل الفتن التي ظهرت في الإسلام كان منشأها مخالفة السنة ، والبعد عن الوسطية ، كالحوارج الذين غلو في الوعيد ، وقابلهم المرجئة الذين غلو في الوعد ، ثم الجهمية الذين غلو في التنزيه ، وقابلهم المشبهة الذين غلو في

التشبيه ، وهكذا كلما ظهرت فرقة تغلو في جانب قابلتها أخرى تغلو في الجانب الآخر ، والإسلام وسط بين طرفين وهدى بين ضاللتين .
ولذلك كان النبي - ﷺ - يدعو إلى الاعتدال والتوسط في الأمور ، فقال : «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تُبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» [رواه أحمد والبيهقي].
سادساً : أن منهج التوسط والاعتدال في الأمور يوافق العقل الصحيح والميزان القويم الذي ركزه الله - تعالى - في الفطر ، والذي يميزون به بين الحق والباطل ويعرفون أن هذه الشريعة حقٌ من عند الله - تعالى - .
قال - تعالى - : (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) [الشورى : ١٧].

وقال - تعالى - : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد : ٢٥].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - (الفتاوى ١٩/١٧٦) - : "فإن الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل ، وقد فسروا إنزال ذلك بأنَّ أَلْهَمَ العباد معرفة ذلك".
وقال - أيضاً - (الرد على المنطقيين ص ٣٣٣) - : "والميزان : قال كثير من المفسرين هو العدل ، وقال بعضهم هو ما به توزن الأمور وهو ما به يُعرف العدل ، وكذلك قالوا في قوله : (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ :) الأمثال المضروبة والأقيسة العقلية".

غايات الوسطية

أولاً : تحقيق العبودية لله - تعالى - ، وهي التي خُلق لها الثقلين.

قال -تعالى - : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات : ٥٦].
 فالوسطية قائمة على الاعتدال والتوسط ليتمكن العباد من عبادة ربهم
 على الوجه الأكمل ، بحسب قدراتهم وإمكاناتهم ، في كل زمان ومكان.
 وهذا هو أعظم الغايات وأزكى المقاصد ، وعليه قوام الدين ، وبه ينال
 العبد ما عند الله - ﷻ - من النعيم ، ويظفر بجنة رب العالمين.

ثانياً : دعوة الناس إلى الإسلام ، وإدخالهم فيه. فإن الناس إذا علموا ما في
 الإسلام من الوسطية والاعتدال الذي يوافق العقل الصحيح رغبوا فيه ،
 وآثروه على غيره. وهو الأمر الذي أدخل كثيراً من الكفار في الإسلام.

قال -تعالى - : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء : ١٠٧].
 وقال -تعالى - : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
 حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [التوبة : ١٢٨].

وكان النبي - ﷺ - إذا بعث عماله على الأمصار يوصيهم بالتبشير
 وترك التنفير ، كما روى الشيخان أن أن النبي - ﷺ - بعث معاذاً وأبا
 موسى إلى اليمن ، فقال : "يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا
 تختلفا".

ثالثاً : تحقيق مصالح الناس الدنيوية والتي لا قوام لهم إلا بها. فإن الإسلام
 لم يهمل ما للناس به حاجة من معاشهم ، فأباح لهم ما يتكسبون به ويقتاتون
 على وجه الاعتدال والتوسط.

قال -تعالى - : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)
 [الأعراف : ٣١].

وقال -تعالى- : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) [الفرقان: ٦٧].

وقال: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) [الإسراء: ٢٩].

وأبطل الإسلام الرهبانية.

ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- أنه قال: «ردّ رسول الله -ﷺ- على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لا ختصينا».

وقال النبي -ﷺ-: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)» [رواه أبو داود وغيره].

ورغب النبي -ﷺ- في العمل، فقال: «لأن يحتزم أحدكم حزمةً من حطب، فيحملها على ظهره فيبيعها، خيرٌ له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه» [متفق عليه].

اعتبار التاريخ والنظر في أحداثه وما جرى فيه من الفتن أحد موازين الوسطية.

إذا أردنا أن نتحدث عن «الوسطية» فمن المهم بمكان اعتبار التاريخ واستقراءه، فإن التاريخ مليء بالأحداث الجسيمة والفتن العظيمة، وهذه الفتن لها مبادئ ومقدمات آلت إليها، فكم من أمرٍ يُدّعى أنه من الوسطية هو في حقيقته من أسباب الفتن عند النظر في سنة الله الكونية وتجارب الناس.

فالتاريخ وما فيه من أحداث شاهد لسنة الله الشرعية ، وقد قال -
تعالى - (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) فاطر:
[٤٣].

ومن ذلك مثلاً ما يُعرف اليوم بقبول الآخر ، ويعنون به كل مخالف ،
ويزعمون أن الوسطية تستدعي قبول الآراء والاختلافات ولو كانت في أصول
الدين ، ولو كانت تصادم النصوص الصريحة ، ففتحوا بذلك أبواب البدع
والمحدثات.

ومن تأمل التاريخ علم أن أحد أكبر أسباب الفتن والمحن التي جرت في
بلاد الإسلام كان منشأها هذه الأفكار المبتدعة والأقوال المحدثه ، والتي ولدت
عند أهلها استباحة رفع السيف على الأمة.

ومن أظهر ذلك : بدعة الخوارج والتي كانت أول البدع ظهوراً. فخلاف
الخوارج وخروجهم على علي - عليه السلام - وشقهم لصف المسلمين مشهور ،
وما ترتب على ذلك من استباحة الدماء وتكفير المسلمين حتى استحقوا
الوعيد الشديد على لسان رسول الله - ﷺ - معلوم.

ومثله ما حصل ممن بعدهم من أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشعرية
وغيرهم.

ولذلك لما علم السلف ما يترتب على هذه الآراء المخالفة من الفتن والمحن
واضطراب الأمور وشيوع الفوضى وطمس الحق والسنة حذروا منها ومن
أهلها أشد التحذير ، ونصوصهم في هذا الباب معلومة مشهورة.

وكان السلف أعرف بهذه الأقاويل والآراء المحدثه وما فيها من الشر ممن بعدهم ، فمع كونها تُلبس الحقّ على الناس ، فإنها تنتهي بالسيف متى ما تمكن أهلها.

قال أبو قلابه - رحمه الله - : (ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف) [رواه اللالكائي].

وكان كثير من السلف يطلقون على أهل البدع والآراء المنحرفة عن السنّة وصف «الخوارج» ، بجامع خروجهم عن الشريعة وخروجهم بالسيف على المسلمين.

فمن جهل الشرع وجهل التاريخ -أيضاً- ظن بجهله أن فسح المجال لكل رأي وبدعة ولو خالفت النصوص يُعدُّ من الوسطية ، وهو الأمر الذي يزعمه بعض الناس اليوم ويدّعون إليه ويقررونه في تنظيراتهم ، بل ويسمّون من حدّر من البدع ومنع من إفساح المجال لهم بالرجعية والتطرف والغلو.

قال - تعالى - في أهمية اعتبار التاريخ والنظر في قصص الأمم الماضية والأزمان السالفة - : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١].



الدعوة السلفية : مفهومها وآثارها

إعداد

د. أبو الرضاء محمد نظام الدين الندوي

الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ — بنغلاديش

ورئيس مؤسسة العلامة فضل الله للأعمال الخيرية والبحوث الإسلامية والنشر

شيتاغونغ — بنغلاديش

السلفية

من أعظم منة الله على الأمة الإسلامية أن قبض لها في كل زمان من يعيدها إلي المنبع الصافي والدين الصحيح. كلما أصابتها الانحرافات وأحاطت بها الضلالات قامت طائفة من عباد الله يصلحون منها ما فسد، ويقومون منها ما انعرج.... على حد قول النبي - ﷺ - : "إن الله يبعث لهذه الأمة علي رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها". (١). من أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - .

ففي أواخر القرن السابع الهجري ظهرت دعوة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية كرد فعل على الإصلاحات العقلية التي أدخلها الإمام الأشعري على عقائد أهل الحديث، واعتبر ابن تيمية - الذي كان من فقهاء الحنابلة - أن تلك الإصلاحات خروج عن السنة، فعمل على إحياء عقائد أهل الحديث مستنكراً التأويلات التي قدمها الأشاعرة للأحاديث التي أخذت منها تلك العقائد، وكان يدعو إلى العودة إلى سيرة السلف الصالح والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وانتشرت هذه الدعوة في مصر والشام، فقبلها من قبل، وتصدى للرد عليها طائفة من العلماء والفقهاء وأهل الفرق المختلفة حتى سجن في مصر لسنة ونصف، ثم سجن ثانية في دمشق حيث أدركته المنية عام ٧٢٧هـ، وما لبثت دعوته أن ضعفت وتضاءلت وتعاقت عليها أيام وأعوام... وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهر الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة إصلاحية عظيمة، وعمل على إحياء الدعوة السلفية التي بدأها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية.. وقام يدعو الناس إلي ما كان عليه الرسول - ﷺ - أصحابه والتابعون لهم بإحسان ويقمع البدعات

والخرافات ويفند العقائد الباطلة بما حباه الله من علم وبصيرة. وعرفت دعوته
بالدعوة السلفية.

مفهوم السلفية في نطاقها الواسع:

لفظ (سلف) في اللغة يراد به ما مضي وتقدم، كما قال - تعالى -
 (وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
 وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها
 خالدون)(البقرة: ٢٧٥) كما يراد به القوم المتقدمون، فكل من تقدم من
 الناس فهو سلف لمن جاء بعدهم، قال الله - تعالى - "فجعلناهم سلفا ومثلا
 للآخرين" (الزخرف: ٥٦) وقد وردت مادة(سلف) في القرآن الكريم في ثمانية
 مواضع، كلها دالة على ما تقدم ذكره.

والملاحظ في اللفظ مطلق التقدم الزمني، دون الاختصار على قوم معينين
 أو جماعة محددة من الناس، والسلف بمعنى من سبق، منهم الصالحون ومنهم
 الطالحون، والنسبة إليه سلفي، والسلف الصالح بالنسبة لنا هم أصحاب
 رسول الله - ﷺ - والتابعون لهم بإحسان، والنسبة إليهم لا تعني إلا أن
 المنسوب إليهم سائر على نهجهم وطريقتهم.

وعلى ذلك فالسلفية ليست جماعة من الجماعات، كما أنها ليست فترة
 زمنية من الفترات مرت وانتهت، وإنما السلفية تعني اتباع السلف الصالح في
 تعاملهم مع كتاب ربهم وسنة نبيهم - ﷺ - في فهم الدين والعمل به
 والدعوة إليه، وهم أهل السنة والجماعة.وقد حث الله - ﷻ - على اتباع
 السلف الصالح في قوله: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
 اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها
 الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم"(التوبة: ١٠٠) كما قال عنهم
 رسول الله - ﷺ - "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.(٢)

"وقد وردت وصية رسول الله - ﷺ - باتباع السلف الصالح حيث قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (٣). كما صرح النبي - ﷺ - بأن الطريقة التي سلكها هو وأصحابه هي طريقة الفرقة الناجية، حيث قال: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟، قال: ما أنا عليه وأصحابي" (٤).

فالدعوة السلفية هي الدعوة إلى ما كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه: الفرقة الناجية.

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - عن الفرقة الناجية فقال: "هم السلفيون، وكل من سار على منهج السلف الصالح من أي جماعة كانت" (٥).

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن السلفية في لقاءات الباب المفتوح رقم السؤال ١٣٢٢:

"السلفية هي اتباع منهج النبي - ﷺ - وأصحابه، لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتباعهم هو السلفية. وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق: فلا شك أن هذا خلاف السلفية...." (٦)

السلفية دعوة إصلاحية قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

لقد اتضح لنا مما سبق أن السلفية ليست بدعوة مبتدعة ولا بفكرة محدثة قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هي دعوة إلي التمسك بطريقة الفرقة الناجية ، ودعوة إلى الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة ، ودعوة إلى الإسلام كما كان أول ظهوره من صفاء ونقاء ووضوح بعيداً عن لوثات الفلسفة وأدران الشرك وخرافات التصوف ومحدثات البدع.

يذكر الشيخ الإمام - رحمه الله - حقيقة دعوته في رسالته لعبد الرحمن بن عبد الله السويدي أحد علماء العراق : "أخبرك أنني والله الحمد متبع ، ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلي يوم القيامة ، لكنني بينت للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة ". (٧) ويبين الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - في رسالته التي بعثها إلي أهل الحجاز وعسير واليمن معتقدهم وما يدعون إليه "...وبالجملة فإننا نأمر بما أمر الله به في كتابه وأمر به رسوله ، وننهي عما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله ، ولا نحرم إلا ما حرم الله ، ولا نحل إلا ما حلل الله ، فهذا الذي ندعو إليه." (٨)

آثار الدعوة السلفية

لما كانت الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله - مبنية على كلام الله الذي هو خير الكلام و هدي رسوله الذي هو خير الهدى وعلى نهج سلف هذه الأمة الذين هم خير هذه الأمة...فقد حازت نفوذا وتأثيرا قويا وانتشارا سريعا ، عمت الدعوة وآثارها المباركة بلاد نجد ثم امتدت إلى الحجاز ثم سائر بلاد الجزيرة العربية ، بل تجاوزت تلك البلاد.ويطيب لي هنا أن أنقل أسباب تأثير العقيدة التي ذكرها صاحب كتاب "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي" فقال : " ما من شك أن تأثير العقيدة واستمرارها يتم إذا توفرت لها أسباب هي :

أولاً : وقبل كل شيء ، توفيق الله ومنتته بالفضل والهداية.

ثانياً : صلاح النية وسمو الغاية وحسن القصد بالأعمال الصالحة التي هي من لوازم العقيدة.

ثالثاً : كون العقيدة حقاً ثابتاً في نفس الأمر والواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

رابعاً : علم صاحب العقيدة وبصيرته.

خامساً : سلامة منهج صاحب العقيدة.سادساً : الإمارة الراشدة والسلطان الوازع"(٩).

من فضل الله وكرمه أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية تزودت بجميع هذه الأسباب فتمكنت من تطهير الأرض المقدسة التي اختارها الله لتكون مولد النبي الخاتم - ﷺ - ومهبط الرسالة الأخيرة من رجس البدع والخرافات والعقائد الباطلة التي كادت تقضي على مكانتها ومنزلتها في قلوب

المسلمين ، وتمكنت من إقامة دولة إسلامية على نهج السلف الصالح. وتأثر بهذه الدعوة كثير من الحركات الدعوية والإصلاحية في مختلف البلاد من الكرة المعمورة واتخذها أسوة ونموذجاً لإصلاح المجتمع الإسلامي وتجديد مسيرة حياة المسلمين.

الدعوة السلفية بين شبهات التطرف وحقيقة الوسطية

إن الوسطية من أبرز سمات هذه الأمة وأعظم خصائصها ، كما قال تعالى : "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة: ١٤٣) قال الطبري - رحمه الله - : والذي يمعن النظر في هذه الآية وما يشابهها من النصوص في القرآن والحديث يرى أنها تدل على أن وسطية الإسلام عامة جامعة شاملة للعقيدة والأحكام والعبادات والمعاملات والأخلاق والعادات والعواطف. فقد حافظ السلف من الأمة الإسلامية على هذه الميزة والخصيصة أحسن ما تكون المحافظة مبتعدين عن كل نوع من الإفراط والتفريط في دينهم. فإن الإفراط والتفريط تطرف وطغيان وغلو . فقد نهى الله عن كل ذلك ، حيث جاء في محكم تنزيله : "يا أيها الذين آمنوا لا تغلوا في دينكم" وقال - تعالى - "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا" (هود: ١١٢).

وهذا الإمام ابن تيمية يشرح وسطية الإسلام : "المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى ولم يجفوا كما جفت اليهود" (١٠)

وبهذه الوسطية تمسك أهل السنة والجماعة وأصحاب الدعوة السلفية وقاوموا كل نوع من الغلو في الدين وحاربوا كل نوع من البدع في الإسلام. فإنه إذا انتشر الغلو والابتداع في المجتمع غابت الوسطية والاعتدال والسنن بقدر ما انتشر من تلك البدع . يشهد بذلك واقع الناس ، فالمجتمع الذي

- انتشرت فيه البدع والأهواء والضلالات غابت فيه السنن حتى صار المستن غريبا. وقد دل على هذا المعنى كلام جماعة من السلف - رحمهم الله - :
- قال حسان بن عطية المحاربي : ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة. (١١)
 - قال ابن سيرين : ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة. (١٢)
 - وقال لقمان بن أبي إدريس الخولاني : ما أحدث أمة في دينها بدعة إلا رفع بها عنها سنة. (١٣)

فأهل السنة والجماعة وبتعبير آخر أصحاب الدعوة السلفية هم وسط في باب الأسماء والصفات بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون صفاته وبين أهل التمثيل والتشبيه الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات ، وأما هم فيؤمنون بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله - ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهم وسط في سائر أبواب السنة ووسطيتهم فيها راجعة لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وعلى الرغم من هذه الوسطية في المنهج السلفي يروج المناوئون له بعض المفاهيم الخاطئة عنه ، ويصفونه بالتطرف والغلو والعنف ، وما من أمثالها من تعبيرات وكلمات ، وليس ذلك من الحقيقة في شيء ، إنما هي محاولة تمويه وتشويه لصورة الإسلام الحقيقية التي يتمسك بها وينشرها أهل السنة والجماعة... تحت ستار تعبيرات براقة وكلمات معسولة استوردوها من الغرب.

المصادر والمراجع:

- ١- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، عن أبي هريرة، باب ما يذكر في قرن المائة، حديث رقم: ٤٢٩١، دار الفكر، بيروت.
- ٢- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، وأخرجه عن عمران بن حصين أيضا في باب فضائل أصحاب النبي - ﷺ - ، رقم الحديث: ٣٤٥٠.
- ٣- أخرجه أبو داود في باب لزوم السنة، رقم الحديث: ٤٦٠٩ (ترقيم وزارة الأوقاف المصرية) طبعة دار الكتاب العربي.
- وأخرجه الترمذي في باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث: ٢٧٧٦ (تحقيق / أحمد شاكر).
- ٤- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، عن عبد الله بن عمر، باب ما جاء في افتراق الأمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- محمد بن جميل زينو، مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ج/٣، ط١، الرياض - المملكة العربية السعودية ١٩٩٧م، ص: ٢٨٢.
- ٦- موقع شبكة المنهاج الإسلامية.
- ٧- د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عرض ونقد، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١، الرياض - المملكة العربية السعودية ٢٠٠٦، صفحة: ٢٥ - ٢٦.
- ٨- المصدر السابق، صفحة: ٢٧، بحواله: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٥هـ..
- ٩- د. صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ط١، المجلس العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٠٨هـ، ص ٤٧٤.
- ١٠- موقع طريق القرآن.



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

د. عبد الوهاب الدريويش

السلفية

التمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد..
فهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار المحافظ الجامد، بل والرجعي، في حياتنا الفكرية، وفي جانب الفكر الديني منها على وجه الخصوص.

وهناك من يرون في "السلفية" و"السلفيين": التيار الأكثر تحملاً من خرافات الأفكار والبدع، ومن ثم الأكثر تحملاً واستنارة في مجال الفكر الديني بالذات.

وفي القرآن والحديث ومعاجم اللغة وكشافات التعريفات والمصطلحات قد أجمعت على أن أصل كلمة "السلف" هو: الماضي والمتقدم.. وعلى أن "السلفيين" هم الذين يحتذون حذو هذا الماضي.

لكن هذا التحديد لا يستطيع وحده أن يرفع الغموض عن مضمون مصطلح "السلفية"؛ لأن "الماضي" المحتذى سيظل غير محدد عند الكثير، لا من حيث الأصول والقواعد ولا من حيث الأجيال والقدوات.

إذن.. فهناك ضرورة وأهمية لإلقاء الضوء على هذا المصطلح في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي.

أولاً: معنى السلفية في اللغة

السلف في اللغة: "السين، واللام، والفاء: أصل يدل على تقدم وسبق"^(١).

ففي مختار الصحاح: "يقال سلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف"^(٢).

وفي اللسان: "السلف جمع سالف المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون"^(٣).

وفي النهاية: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"^(٤)، ومنه قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ}^(٥).

وهذا التعريف اللغوي للسلف عام يشمل كل من سبق وتقدم على غيره وهو دون المعنى الاصطلاحي.

وإذا نحن ذهبنا نلتمس معنى هذا المصطلح في كتاب الله فإننا نجد أن "السلف" يعني: "الماضي" وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، قال تعالى: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ}^(٦)، {وَلَا تَنْكِحُوا

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٣.

(٢) مختار الصحاح: ج ٤/ ١٣٧٦.

(٣) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٩٠/٢، القاموس المحيط ١٥٣/٣.

(٥) الزخرف: ٥٦.

(٦) البقرة: ٢٧٥.

مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ^(١) ، {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
 مَا قَدْ سَلَفَ}^(٢) ، {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ}^(٣) ، {قُلْ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ}^(٤) ، {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا
 أَسْلَفَتْ}^(٥) ، {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}^(٦)
 {فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}^(٧)

ونفس هذا المعنى يدل عليه هذا المصطلح في الحديث النبوي الشريف ،
 ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -
 أنه لما ماتت زينب ابنة رسول الله - ﷺ - قال رسول الله - ﷺ - :
 "الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون".
 وفيه أيضا عن فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - أن رسول الله -
 ﷺ - قد قال لها في مرض موته : "ولا أراه إلا قد حضر أجلي ، وإنك أول
 أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك"^٨

(١) النساء : ٢٢ .

(٢) النساء : ٢٣ .

(٣) المائدة : ٩٥ .

(٤) الأنفال : ٣٨ .

(٥) يونس : ٣٠ .

(٦) الحاقة : ٢٤ .

(٧) الزخرف : ٥٦ "

(٨) البخاري (٣٦٢٣) و (٣٦٢٤)

والسلف الصالح قد تقدمونا وهم قدوتنا ؛ ولهذا فلا منافاة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من تلك الناحية إلا من حيث الخصوص والعموم كما سيتضح هذا عند ذكر التعريف الاصطلاحي.

ثانياً: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي

يتجاذب مفهوم السلف اصطلاحاً وصفان: الوصف الزمني والوصف المنهجي، فالمعنى الدقيق للسلفية اصطلاحاً يدور حول هذين المفهومين.

أ- السلفية الزمنية:

تطلق على المجموعة المتقدمة من الأمة الإسلامية التي عاشت في فترة تاريخية معينة، وقد حصل خلاف في تحديد هذه الفترة على أقوال منها:

١- إن المراد بالسلف هم الصحابة فقط، فهو وصف لازم لهم يختص بهم عند الإطلاق ولا يشاركهم فيه غيرهم.^(١)

٢- إن المراد بالسلف عند الإطلاق هم الصحابة والتابعون وهو ما أشار إليه الغزالي بقوله:

"اعلم أن الحق الصريح الذي لا مرأى فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين".^(٢)

٣- هم الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، أي القرون الثلاثة التي أثبت لها النبي ﷺ - الخيرية بقوله في حديث ابن مسعود - ﷺ - أن النبي ﷺ - قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين

(١) انظر: مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني، ص ٣ - ٥.

(٢) انظر: إجماع العوام عن علم الكلام، للغزالي - تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي،

يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته".^(١) وهو قول الجمهور.^(٢)

والراجح هو قول الجمهور؛ لأن النصوص تؤيده، فقد مدح النبي - ﷺ - القرون التي عاش فيها الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين، وشهد لهم بالخيرية، وإليه ذهب كثير من أهل العلم، كالإمام الشوكاني^(٣)، والسفاري^(٤)، وعليه يدل صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في نحو قوله: "سلف الأمة وخيار قرونها"^(٥).

ولربما أدخل من بعد تابعي التابعين - كالإمام أحمد - في مفهوم السلف فيقول: "وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف"^(٦)، ويحدد ابن رجب السلف المقتدى بهم إلى عصر الإمام أحمد وأقرانه فيقول: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدي بهم إلى زمن الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة"^(٧).

(١) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري ج ٢ / ٩٣٨ واللفظ له، صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٦٣.
(٢) انظر: الشريعة للأجري ص ١٤، درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٧ / ١٣٤.

(٣) انظر: التحف في مذاهب السلف ص ٧ - ٨.

(٤) انظر: لوامع الأنوار ١ / ٢٠.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٣٤.

(٦) المرجع نفسه ١ / ٢٠٧.

(٧) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف، "بتحقيق يحيى مختار غزاوي"، ص ٦٠.

ولعل سلفه في ذلك الإمام الآجري "؛ فعند ذكره الأئمة الذي يقتدي بهم، وقف على الإمام أحمد وأقرانه، فقال: "علامة من أراد الله - ﷻ - به خيراً سلوك هذا الطريق: كتاب الله - ﷻ - ، وسنن رسول الله - ﷺ - ، وسنن أصحابه - ﷺ - ، ومن تبعهم بإحسان - رحمة الله عليهم - ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان عن العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقتهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء"^(١).

ومن ألحق أئمة الدين في طبقة السلفية زماناً إنما لمنهجهم وإمامتهم واقتدائهم بمنهج السلف ونشرهم له.

ومن مال إلى تحديد السلف بالقرون الثلاثة الدكتور محمد الجليند، حيث قال: "وحسماً للموقف أرى أن لا نتخطى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وندعي أن هناك آراء سلفية مهما بلغ بنا حسن الظن بالمتقدمين، خاصة وأن تراثنا الإسلامي قد تعرض لهزات عنيفة ابتداء من القرن الثالث الهجري وعشت به الأهواء"^(٢).

وتابعه على هذا الرأي الدكتور محمود خفاجي قائلاً: "فإنني أرى أن من يحدد السلف بالنصحية والتابعين، وتابعي التابعين هو الأمل للصواب،

(١) انظر: الشريعة ص ١٤.

(٢) الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، ط. الثالثة، ص ٥٢.

لموافقته الأثر^(١) من ناحية، ولما نجده من الاتفاق بين من يذكرون السلف بطريق الاسم من عد تابعي التابعين من السلف من ناحية أخرى".^(٢)

٤ - إن السلف هم من كانوا قبل الخمسمائة : وهذا قول البيجوري ؛ فإنه قال : السلف : وهم من كانوا قبل الخمسمائة".^(٣)

ولعل سبب ذهاب البيجوري إلى ذلك ، هو رغبته إدخال أئمة الأشاعرة في مفهوم السلف ؛ إذ لا يمكن إدخالهم في مفهوم السلف - زمنياً - إلا على رأيه هذا ، إذ كلهم كانوا بعد القرون الثلاثة ، باستثناء الإمام الأشعري الذي توفي سنة ٣٢٤ هـ. والذي أصبح على مذهب الإمام أحمد بعد رجوعه عن الاعتزال وقول ابن كلاب - والمتسبون إليه - ينتسبون إلى مذهب تركه^(٤)

ب - السلفية المنهجية:

هل التحديد الزمني كافٍ لتحديد مفهوم السلف ؟ إذا قلنا بأن المراد بالسلف زمنياً هم أهل القرون الثلاثة المفضلة ، استثناساً بالأحاديث الواردة في تعيين القرون المفضلة ، ولأننا نرى من يذكر السلف بالاسم لا يخرج عن إطار القرن الثالث كما تقدم في كلام الدكتور خفاجي ، فهل نعتبر كل من عاش في هذه القرون سلفاً يقتدي به ؟

(١) يشير إلى حديث عمران بن حصين وابن مسعود المتقدم

(٢) في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة ، ط. الأولى ص ٢٠.

(٣) تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ، "ط. الأولى ١٤٠٣ ، دار الكتب" ، ص ٩١.

(٤) كما صرح بذلك في مصنفاته التي ألفها بعد رجوعه كالإبانة ، والمقالات : انظر : المقالات

٣٤٥ / ١ - ٣٥٠ ، والإبانة ص ٢٠ وما بعدها.

لا شك أن الإجابة على هذا التساؤل هي النفي ؛ وذلك لما نعلمه جميعاً من وجود الكثير من أئمة أهل البدع والأهواء في تلك الحقبة. ففيها خرجت الخوارج في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب - عليه السلام - ؛ حيث اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧ هـ فكان بداية خروجهم ، وفيها ظهر التشيع والرفض على يد ابن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام وزعم محبة آل البيت ، وفيها نبتت فتنة القدرية على يد معبد الجهني ، وفيها أيضاً ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان.

ولأنه - كما سبق - قد عاش في القرون الثلاثة المفضلة طوائف خرجت عن منهج السلف كالخوارج ، والشيعية ، والقدرية ، والمرجئة ، والجهمية ، والمعتزلة ؛ كان لزاماً أن يضاف إلى السبق الزمني موافقة الكتاب والسنة نصاً ومعنى ، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس من السلف ، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين.

إذن : "ليس السبق الزمني كافياً في تعيين السلف ؛ بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني الموافقة للكتاب والسنة نصاً وروحاً ، أحكاماً ومقاصد ، فمن خالفت آراؤه الكتاب والسنة ، فليس بسلفي وإن عاش بين ظهرائي الصحابة والتابعين"^(١).

ولهذا كان الإمام السفاريني موفقاً أيما توفيق في تعريفه لمذهب السلف ؛ حيث احترز فقيد السلف الذي يقتدى به بأن يكون ممن شهد له بالإمامة ، ولم يُرم ببدعة ، فقال : "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام

(١) الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، محمد الجلند ، ص ٥٢ بتصرف .

- رضوان الله عليهم - ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعُرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رُمي ببدعة ، أو شُهر بقلب غير مرض ، مثل : الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، ونحو هؤلاء^(١).

لقد أمرنا الله - ﷻ - باتباع سبيل أصحاب رسول الله - ﷺ - واقتفاء آثارهم وسلوك منهجهم ، فقال - عز وجل - : {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} ^(٢).

قال الإمام ابن القيم في بيان وجه الاستدلال بالآية : "وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله ، وأقواله واعتقاداته" ^(٣).

فالذي يجب اتباعه هو منهجهم ، لا أفراد كلام أحدهم - ﷺ - ، إلا أن يكون إجماعاً نصاً أو سكوتاً ، إذ لا معصوم إلا رسول الله - ﷺ - .

فقد أخبرنا - تبارك وتعالى - عن رضاه عن اتباعهم بإحسان ، وما أعد لهم من الثواب العظيم فقال : {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَىٰ آلِ اللَّهِ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَسَبِغَ اللَّهُ بِوَجْهِكَ وَأَنَّهُمْ فِيهَا مُقَنَّبُونَ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن تَبَدُّلٍ يَلْعَنُونَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مَا تَلَائِهَ الْأُولَىٰ فَذَٰلِكَ عَذَابُكَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ} ^(٤).

(١) لوامع الأنوار ١ / ٢٠.

(٢) لقمان : ٣٥ .

(٣) إعلام الموقعين ٤ / ١٦٨ ، بتحقيق : عبد الرحمن الوكيل .

(٤) التوبة : ١٠٠ .

وقال الرسول - ﷺ - : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ" (١).

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - : "فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ومنهاج السلف بعد الذين هم موضع القدوة والإمامة ؟" (٢)

فالسلف اصطلاحاً هم الصحابة والتابعون وتابعوهم من الأئمة الذين يقتدى بهم، المهتدون بهدي النبي - ﷺ - الحافظون لسنته علماً وعملاً ومنهجاً وسلوكاً، اختارهم الله - تعالى - لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة للأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، واجتهدوا في نصح الأمة ونفعهم، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهم (٣).

فليست السلفية مرحلة انقضت، وليست السلفية مقصورة على الصحابة وحدهم، أو على القرنين التاليين لهم، فإن هذا تضيق بجهل وخلط قد يراد منه باطل وهو إبطال المنهج السلفي وهو ترسم الإسلام الصحيح الصافي، بل السلفية زمانها الزمان كله، ومكانها الأرض كلها. فالسلفيون هم الملتزمون بمنهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يحيدون عنه في أقوالهم ولا في أفعالهم، وكتبهم ومؤلفاتهم على مر الزمان شاهدة بذلك. فهي سلسلة

(١) ابن أبي عاصم: السنة ١ / ١٨، ١٩، ٢٩، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) الإيمان للقاسم بن سلام ص ١٩.

(٣) المنهج السلفي خصائصه ومفاهيمه وقواعده لصبري محمد خليل.

ذهبية، كتب الله - تعالى - لها البقاء حفظ الله بهم الدين وأحرز العقيدة.^(١)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة برقم (٦١٤٩) (٢/١٦٤)

س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون ... ؟

ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد - ﷺ - من الصحابة - ﷺ - ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، ولما سئل - ﷺ - عن الفرقة الناجية قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

و جاء في الفتوى رقم (١٣٦١)

س / ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

ج / السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - ﷺ - الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجي أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"^(٢).

والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل

(١) من مقال للشيخ محمد الحمود العقيدة السلفية تعريفها - فضلها - خصائصها .

(٢) انظر: صحيح البخاري ج ١ / ١٢٣٢ ، صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٦٢ .

بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

ثالثاً: ارتباط السلفية الحقّة بالإسلام الصحيح
الذي جاء به محمد - ﷺ -

شمولية منهج السلف والإسلام:

إن منهج السلف الصالح هو المنهج الذي يُمثّل هذا الدين العظيم في شموله وصفائه كما يُمثّل المسلمين في اجتماعهم وائتلافهم، إنه اسمٌ ينتظم الإسلام كلّهُ، كما ينتظم جميع المسلمين الثابتين على الإسلام الذي كان عليه النبي - ﷺ - وأصحابه، فهو شريعة الله في صفائها، وهو عقيدة الحق في نقائها، لا يحقّ لجماعةٍ أو فردٍ أن تحتكره؛ فالذي يرسم حدودَ هذا المنهج هو القرآن الكريم، والذي يُحدّد معالمه سنة النبي الخاتم، وهو الأمانة من كل خلاف واختلاف، بذلك المنهج تُعرفُ الحوادث في الدين فتتقّى، ويُعرفُ الأدعياء في علم الشريعة فيُحذرون، ويُعرفُ الشاقون لصف الأمة ووحدتها فيُجتنبون، ويُعرفُ المخلصون المهتدون فيُتبعون.

إن أهمية نهج السلف الصالح تكمن في كونه التطبيق العمليّ الأول للإسلام، تحت سمع وبصر رسول السلام - عليه الصلاة والسلام -، وتمثّله التابعون بعد ذلك تحت سمع وبصر الصحابة المشهود لهم بالخيرية

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، ج ٢ / ٢٤٢.

والاصطفاء ، وكذلك تابعوهم ، فمن الذي يُزايدُ على ذلك النهج ؟ ومن يجرؤ أن يدّعي أن الحق خلافه ؟ ^(١) .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" ^(٢)

المنهج السلفي يمثل صفاء وأصالة الإسلام

لا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم ، ولا هدايتهم ، ولا أخلاقهم عن أي أمة أخرى ؛ لأن الله - ﷻ - أرسل إليهم الهدى كاملاً ، فليسوا بحاجة إلى هدي آخر ، فقد أخبرهم الله - ﷻ - بأنه أكمل لهم الدين ، وأتم عليهم النعمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً : "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" ^(٣)

فالأمور الدينية التي تتضمن العقائد والأخلاق والأفكار والتصورات والقيم ، يجب ألا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به النبي - عليه الصلاة والسلام - . ^(٤)

فمنهج السلف الصالح هو الإسلام الأول الذي عرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، هو النهج الذي قاتل لأجله خالد وسعد ، واستشهد في سبيله حمزة ومُصعب ، هو الجادة التي سلكها ابن مسعود وابن عباس ، وهو السبيل

(١) انظر : مخالفة الخلف لمنهج السلف للشيخ عيد عباسي .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) انظر : مخالفة الخلف لمنهج السلف للشيخ عيد عباسي .

الذي ترسمه الحسنُ البصري والنخعيُّ والشعبيُّ، وهو الفِجَاجُ التي طرَقَها أبو حنيفة ومالك والشافعيُّ وأحمد، وهو الطريق الذي خطا فيه البخاري ومسلم.

حتمية المنهج السلفي

هل السلفية قابلة للأخذ والترك ؟ يعني هل يلزم السير بها وعليها، أم يجوز تركها واتباع منهج آخر ؟

ظهر لنا أن المنهج السلفي يمثل منهج الإسلام نفسه في فهم القرآن والسنة، وهو يمثل أصالة الفكر الإسلامي، التي تعنى بتنمية الذات والهوية الإسلامية^(١). فإذا تركت منهج السلفية الذي هو منهج الإسلام، فإلي أين ستتجه ؟

والسلفية تمثل الإسلام فهي ليست حجراً على طائفة معينة من الناس، فهي منهج الإسلام، وعلى كل مسلم أن ينتهج نهجها، وهذا هو المقصود بقولنا حتمية المنهج السلفي، فإن اتباع منهج السلف في الإيمان والعمل هو أمر الله وأمر رسوله، لا يجوز الانحراف عن ذلك قيد أنملة.^(٢)

ومنهج السلف الصالح، يقوم على أن مصادر الدين : الكتاب والسنة، والإجماع، وما بني عليهما، وما عدا ذلك فهو باطل ؛ لأنه بموت النبي - ﷺ - انقطع الوحي، والرسول - ﷺ - قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة.

(١) انظر : المنهج السلفي للشيخ مفرح القوسي ، ص ٩ .

(٢) انظر : السلفية منهج ملزم لكل مسلم للشيخ المقدم .

وكذلك الإسلام يقوم على التسليم لله تعالى ؛ والتسليم يرتكز على التصديق والامثال ، والاتباع لرسول الله - ﷺ - وهو دين الله تعالى ، أنزله على رسوله - ﷺ - بالوحي وأكمّله فليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين ؛ لأن النبي - ﷺ - قال : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (١) .

ليست الدعوة السلفية دعوة إلى شعبة من شعب الإيمان ، ولا لقضية واحدة من قضايا الإسلام ، وإنما هي دعوة الإسلام بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني العزة والسيادة والإصلاح والعدل والفلاح في الدنيا والآخرة . والإسلام دين الله للعالمين ؛ فليس هو دين وطن بعينه ، ولا شعب بذاته ، وإنما هو دين الأرض كلها والناس جميعاً (٢) .

رابعاً : حكم الانتساب إلى السلفية مقدمة :

الانتساب إلى السلف فخر وأي فخر ، فلفظ السلفية أو السلفي لا يطلق عند علماء السنة والجماعة إلا على سبيل المدح ، والسلفية رسم شرعي أصيل يرادف : أهل السنة والجماعة ، وأهل السنة ، وأهل الجماعة ، وأهل الأثر ، و أهل الحديث ، والفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وأهل الاتباع ٣

(١) انظر : صحيح البخاري ج ٢ / ٩٥٩ ح رقم ٢٥٥٠ ، صحيح مسلم ج ٣ / ١٣٤٣ ح رقم ١٧١٨ .

(٢) انظر : الأصول العلمية للدعوة السلفية لعبد الرحمن بن عبد الخالق .

٣ انظر : المنهج السلفي ، تعريفه وسماته ودعوته الإصلاحية ، لمحمد بن عمر بازمول ص ٥ .

وقد يتساءل البعض إذا ثبتت هذه الأسماء لديكم فلماذا تفرقون الأمة بالتسمية بالسلفية وهي لم ترد في القرآن ولا في السنة؟! ولهؤلاء نقول:

أولاً: إن إطلاق الأسماء على أي حقيقة لا ضرر منه مطلقاً، سواء في الشرعيات أو المباحات، والاسم ما دام أنه لم يشتمل علي باطل فليس ممنوعاً شرعاً، ولا مشاحة في الاصطلاح.

ثانياً: سُمِّي بعض المسلمين بالمهاجرين من أجل الهجرة، وسُمِّي آخرون بالأنصار من أجل النصرة، وسُمِّي آخرون بالتابعين لاتباعهم الصحابة، وسُمِّي آخرون بالسلفيين لاتباعهم السلف ومنهجهم، لتمييز الفرقة الناجية والطائفة المنصورة عن سائر الطوائف المخالفة لهم باسم يتميزون به.

ومع هذا فالسلفيون لا يتعصبون لهذا الاسم، فهم مسلمون يوالون كل مسلم على قدر اتباعه للإسلام وحسب اعتقاده وإيمانه، فهم لا ينصرون من اتسم بالسلفي إن كان مبطلاً، إنما ينصرونه بكفّه عن باطله.

وقد ظهر مُسمِّي السلفية في العصر العباسي كرد فعل لمن عُرفوا بالخلف، وتبلور المسمي

علي يد شيخ الإسلام ابن تيمية، وأصبح هذا الاسم مما يميز تلك الطائفة التي لم يشب منهجها

شائبة... فالمنهج واحد وإن تعددت أسماؤه.^(١)

(١) انظر: المنهج السلفي للشيخ ناصر الألباني، معنى السلفية لمحمد عبد المقصود. نقلاً عن مقال بموقع فرسان الحق.

أقوال العلماء في حكم الانتساب للسلفية

حكى الإجماع على صحة الانتساب إلى السلف: شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الفتاوى قال: "ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريره إلى الله، فإننا لم نؤمر أن نقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم".^(١)

قال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - في كتاب السير ج ٦ / ٢١ عند ترجمته لأبي طاهر السلفي: "السلفي مستفاد مع السلفي - بفتحيتين - وهو من كان على مذهب السلف".^(٢)

وقال في موضع آخر: "فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقياً، ذكياً، نحوياً، لغوياً زكياً، حياً، سلفياً".^(٣)

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : ما تقول فيمن تسمى بالسلفي والأثري، هل هي تزكية؟ فأجاب سماحته: "إذا كان صادقاً أنه أثري أو أنه سلفي، لا بأس مثل ما كان السلف يقول: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لا بد منها، تزكية واجبة".^(٤)

(١) انظر: الفتاوى ج ٤ / ١٤٩ .

(٢) انظر: كتاب التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية، طبعة الدار الأثرية، ص ٢٢.

(٣) انظر: السير ج ١٣ / ٣٨٠ .

(٤) وهي من محاضرة مسجلة بعنوان: "حق المسلم"، في ١٦ / ١ / ١٤١٣ بالطائف .

وسئل الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - عن هذا الموضوع ونص السؤال :

لماذا التسمي بالسلفية ؟ أهى دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية ؟ أم هى فرقة جديدة فى الإسلام ؟

فأجاب : "إن كلمة السلف معروفة فى لغة العرب وفى لغة الشرع ؛ وما يهمنى هنا هو بحثها من الناحية الشرعية ، فقد صح عن النبى - ﷺ - أنه قال فى مرض موته للسيدة فاطمة - رضي الله عنها - :
 "فاتقى الله واصبري ، ونعم السلف أنا لك" (١).

ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف ، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى ، وحسبنا مثلاً واحداً وهو ما يحتجون به فى محاربة البدع ، وكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداء من خلف.

ولكن هناك من مدعى العلم من ينكر هذه النسبة زاعماً ألا أصل لها ! فيقول : لا يجوز للمسلم أن يقول أنا سلفي ، وكأنه يقول : لا يجوز أن يقول مسلم أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك . لا شك أن مثل هذا الإنكار - لو كان يعنيه - يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذى كان عليه سلفنا الصالح ، وعلى رأسهم النبى - صلى الله عليه وسلم - .

(١) انظر : صحيح البخارى ج ٥ / ٢٣١٧ ح رقم ٥٩٢٨ ، صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٠٤ ح رقم

والذي ينكر هذه التسمية نفسه إما أن يكون أشعرياً أو ماتريدياً، وإما أن يكون من أهل الحديث أو حنفياً أو شافعيّاً أو مالكيّاً أو حنبليّاً؛ مما يدخل في مسمى أهل السنة والجماعة، مع أن الذي ينتسب إلى مذهب، فهو ينتسب إلى أشخاص غير معصومين بلا شك، وإن كان منهم العلماء الذين يصيرون، فليت شعري هلا أنكر مثل هذه الانتسابات إلى الأفراد غير المعصومين؟

وأما الذي ينتسب إلى السلف الصالح، فإنه ينتسب إلى العصمة - على وجه العموم - وقد ذكر النبي - ﷺ - من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله - ﷺ - وما كان عليه أصحابه. فمن تمسك به كان يقيناً على هدى من ربه.

ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول: أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح، وهي أن تقول باختصار: أنا سلفي".^(١)

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - :
 "فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي - ﷺ - وأصحابه فإنه سلفي"^(٢)، وقال: "من هم أهل الأثر؟ هم الذين اتبعوا الآثار، اتبعوا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - وهذا لا يتأتى في أي فرقة من الفرق إلا على السلفيين الذين التزموا طريق السلف".^(٣)

(١) المنهج السلفي للشيخ ناصر الدين الألباني، ط مكتبة الضياء، طنطا، مصر، ص ١٧.

(٢) شرح العقيدة الواسطية ج ١/ ٤٥.

(٣) في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟
الجواب: "السلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسول الله -
ﷺ - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - رضي الله عنهم -
الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله: "خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه
شهادته". رواه الإمام أحمد في مسنده البخاري ومسلم، والسلفيون جمع
سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج
السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك
أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم." (١)

س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون ؟

ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد - ﷺ - من
الصحابة - ﷺ - ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، ولما سئل صلى
الله عن الفرقة الناجية قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم
وأصحابي." (٢)

وقال الشيخ صالح الفوزان - رحمه الله تعالى - في كتابه البيان: كيف
يكون التمدّج بالسلفية بدعة، والبدعة ضلالة ؟! وكيف يكون بدعة وهو
اتباع لمذهب السلف، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة، وحق

(١) فتوى رقم (١٣٦١) (١٦٥/١) .

(٢) فتوى رقم : (٦١٤٩) (٢/١٦٤) .

وهدى؟! قال تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم" ^(١) وقال النبي - ﷺ - : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين". ^(٢) فالتمذهب بمذهب السلف سنة وليس بدعة، وإنما البدعة التمذهب بغير مذهبهم" ^(٣).

وقال في محاضرة ألقاها في حوطة سدير عام ١٤١٦ هـ بعنوان (التحذير من البدع) الشريط الثاني، وذلك جواباً على سؤال نصه: فضيلة الشيخ. هل السلفية حزب من الأحزاب؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟

قال في الجواب: "السلفية هي الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم". ^(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي". ^(٥)

(١) التوبة : ١٠٠ .

(٢) صحيح ابن حبان ج ١ / ١٧٩ ، المستدرک على الصحيحين ج ١ / ١٧٤ .

(٣) البيان للشيخ صالح الفوزان ، ص ١٥٤ .

(٤) البخاري ج ٦ / ٢٦٦٧ ح رقم ٦٨٨١ ، مسلم ج ٣ / ١٥٢٣ ح رقم ١٩٢٠

(٥) سبق تخريجه .

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول - ﷺ - متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر - ﷺ - .^(١)

وسئل الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله تعالى - عن حكم الانتساب إلى السلفية والتسمي بها، في شريط التحذير من البدع - الشريط الثاني - فأجاب بقوله: "أمر طيب سواء انتسبت إلى السلفية أم السنة، وهذه النسبة ليست كنسبة الحزبيين"^(٢).

وقال الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله -: "مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرغيل الأول ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين؛ بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله - ﷺ - : "لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم" متفق عليه^(٣).^(٤)

(١) من محاضرة ألقاها في حوطة سدير - عام ١٤١٦هـ - بعنوان : التحذير من البدع ، الشريط الثاني .

(٢) نقلا عن التحفة المهدية ، ص ٣٧ .

٣ البخاري ج ٣ / ح رقم (١٣٣٠) ، مسلم ج ٣ / ح رقم (١٥٢٣) .

(٤) الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي ، ص ٦٤ .

وقال سئل فضيلة الشيخ عبيد الجابري - حفظه الله تعالى - :

هل التسمي بالسلفية بديلاً عن التسمي بالإسلام ؟ ألا يكفي اسم الإسلام "هو سماكم المسلمين"^(١) ؟ فأجاب بقوله : لا ، ليس التسمي بالسلفية بديلاً عن التسمي بالإسلام ، بل التسمي بالسلفية هو توضيح وتمييز لذلك الإسلام الذي انتهجه الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، فالسلفية هي بوابة فهم الدين ، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف ، واجتنب ما أحدثه الخلف ، وما أسهل الاتباع وأيسر الاهتداء إن عافى الله من دعاة الضلالة . كان اسم الإسلام هذا يسع من كان قبلنا ، قبل ظهور البدع والمبتدعة ، وانتشارهم وسط البلاد وعقول العباد ، فهذا إمام أهل السنة يُسأل : ألا يسعنا أن نقول : إن القرآن كلام الله ونسكت ؟ فقال : "كان هذا يسع من كان قبلنا ، أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول : القرآن كلام الله غير مخلوق"^(٢) .

خامساً : السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

مقدمة :

إن الحزبية داء عظيم ، وشر مستطير ، ووبال وبيل على أصحابه فى الدنيا والآخرة ، والحزبية فرقت المجتمع الواحد ، بل الأسرة الواحدة ، وهى من أفعال المشركين ، وهى من أعظم الآفات التى أصيبت بها هذه الأمة منذ وقت مبكر^(٣) ، وقد قال تعالى محذراً منها : "وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ مِنَ الَّذِينَ

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) أصول وقواعد المنهج السلفي ، ص ٧ ، ٨ .

(٣) انظر : حقيقة الإخلاص عند شيخ الإسلام ابن تيمية - سند بن علي البيضاوي ، ج ١ / ٢١

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(١)، وقال - تعالى -
- : "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" ^(٢) .

فهذه الفرق والأحزاب الموجودة على الساحة اليوم لا يقرها دين
الإسلام، بل ينهى عنها أشد النهي، وهى من كيد شياطين الجن والإنس
لهذه الأمة.

والأصل الاجتماع على عقيدة التوحيد، وعلى منهج الإسلام جماعة
واحدة، و أمة واحدة، قال تعالى: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُون" ^(٣) وقال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" ^(٤)

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - : "أمرهم تعالى بما يعينهم
على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين
واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف
قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من
الأمر، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن
عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل

(١) الروم : ٣١ - ٣٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٩ .

(٣) الأنبياء ٩٢ .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ، ولو أدى إلى الضرر العام".^١

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ، ويوالي ويعادي عليها غير النبي - ﷺ - ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي ، غير كلام الله ورسوله ، وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لها شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون".^(٢)

ولا يحتاج المسلمون إلى عقد يكتب ، أو وثيقة تختتم ، أو منهج يقرر فيه هذا المبدأ غير الكتاب والسنة ، فليس العمل الإسلامي شركة أو مؤسسة أو جمعية أو لجنة ينتظر الناس الإذن بالدخول فيها ، أو الموافقة عليهم أن يكونوا من مستخدميها ، فلا حاجة إلى بطاقة عضوية ، أو انتساب أو ولاء لهذه الأسماء والشعارات.

١ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ ، ج ١ / ٢٧٢ .

هل السلفية حزب؟

أحيانا ما يتبادر إلى الأذهان بانتساب الناس إلى السلف أنهم فرقة أو حزب من الأحزاب، وهذا مخالف للحقيقة فهم بانتسابهم إليهم إنما ينتسبون إلى السلف الصالح الذين هم عموم المسلمين كما هو الأصل.

وهم حريصون على جمع الكلمة، ووحدة الصف، وتنقية الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، يتبعون من كانوا أهدي طريقاً، وأقوم مسلكاً، وأتبع للكتاب والسنة، وأعلم بالوحي؛ فكانوا حقاً نعم السلف.

والانتسابُ للسلف ليس دعوى يدّعيها شخصٌ أو جماعة، أو يتبنّاها حزبٌ أو مُنظمة؛ بل هي طاعةٌ واتباع، ووحدةٌ واجتماع، ونبذٌ للفرقة والابتداع.

ولا يجوز أن تورث هذه التسمية العصبية والانتماء لحزب دون آخر، لأنهم لا ينتمون إلى أحزاب وعصبيات، انتماءهم الوحيد يكون للكتاب والسنة على فهم السلف وهذا ما يميزهم عن غيرهم من أصحاب الجماعات والأحزاب والفرق، فهم يؤولون الكتاب والسنة على فهمهم القاصر وليس على فهم السلف.

وقد حض العلماء على وجوب الحذر من التحزب ولو بمسمى السلفية أو غيرها؛ لأن العبرة بالمضمون والاجتماع على القرآن والسنة بأفهام سلف الأمة المزكى من الله ورسوله - ﷺ - لا التفرق والتنازع، والتحزب على فروع قد تصرفنا عن أصول القرآن والسنة من توحيد الله - تعالى - واتباع

السنة واجتماع كلمة المسلمين مع اجتناب الشرك ونبذ البدع وإخماد الفتنة التي تفسد الدنيا والدين ، وقد نبه على هذا العلماء.

يقول الإمام ابن عثيمين - رحمه الله - : "أنه إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب ، فقد ظهرت طوائف من قديم الزمان مثل الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة ، ثم ظهر - أخيراً - إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك ، فكل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعلىك بالإمام وهو ما أرشد إليه النبي في قوله : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"^(١).

ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيون .

والواجب أن تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزب إلى ما يسمى السلفيون ، فهناك طريق السلف وهناك حزب يسمى السلفيون ، والمطلوب اتباع السلف "^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "والأقوال إذا حكيت عن قائلها أو نسبت الطوائف إلى متبوعها فإنما ذاك على سبيل التعريف والبيان ، وأما المدح والذم والموالات والمعاداة فعلى الأسماء المذكورة في القرآن العزيز ، كاسم المسلم والكافر ، والمؤمن والمنافق ، والبر والفاجر ، والصادق والكاذب ، والمصلح والمفسد ، وأمثال ذلك. وكون القول صواباً أو خطأ يعرف بالأدلة الدالة على

(١) انظر: صحيح ابن حبان ج ١ / ١٧٩ ، المستدرک على الصحيحين ج ١ / ١٧٤ .

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية ، ح رقم ٢٨ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

ذلك المعلومة بالعقل والسمع والأدلة الدالة على العلم لا تتناقض كما تقدم^(١)

موقف السلفيين من الجماعات الإسلامية

وموقف الجماعة السلفية من الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة الإسلامية لا يعدو موقف المسلم من المسلم من حيث المناصحة على البر والتقوى ومنه لزوم جماعة المسلمين، وترك التحزبات سرية كانت أو علنية، وحثهم على رفع راية التوحيد الصافي على عقيدة القرآن والسنة وما مضى عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ، والتابعون - رحمهم الله - ، ونشر العلم النافع بتعليم الجاهل علم القرآن والسنة الذي ينجيهِ عند الله، وعدم إقحامه في السياسات وتليسه بالبدع والضلالات، وتحذيرهم من فتح أبواب الفتنة .

وهم مع هذا يقبلون الحق من محسنهم، ويتجاوزون عن مسيئهم ما رأوا إلى ذلك سبيلا، فهم يسعون إلى تأليف القلوب وجمع الكلمة وإخراج الأمة من الحزبيات الضيقة والولاءات المحدودة، إلى فضاء الإسلام وسعته وشموله على قاعدة: يُوالى الرجل ويُحب على قدر دينه، ويُعادى ويُبغض على قدر معصيته.

لكن لا يقرونهم على باطل ولا على فرقة ؛ لأن يد الله على الجماعة ومن شدَّ شدَّ في النار.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ج ١ / ٢٧٣ .

مع التنبيه على أن هنالك العديد من الفرق والأحزاب المعاصرة تحاول الانتساب إلى السلف لكن منهجها يفضحها ويبين انحرافها عن الصراط المستقيم، فيجب أن يعي هؤلاء أن الانتساب إلى السلفية هو انتساب إلى الإسلام الصحيح الصافي الذي جاء به النبي ﷺ - .

فالتزام الإسلام - كتاباً وسنةً - تعصب مطلوب، وكون بعض الأفراد يخالف فهو راجع عليه لا على السلفية؛ لأنه هو الذي خالف السلفية وليست السلفية خالفت.

"فمن الشطط الخروج عن نهج السلف في معالجة القضايا الشرعية، والدعوة إلى الله عن طريق الأحزاب والجماعات التي تتبع مناهج مخالفة لمنهج السلف، وتستهدف إثارة الجماهير والتلبيس عليهم، والتعمية على عقولهم، والتضيعة بشباب الأمة وبأساليب لا يرضاها دين ولا عقل، فالنهج السوي يرفض أن يكون مستنده ومرجعه إلى هوى شخص أو فكر حزب وجماعة أو أكثرية جامحة" (١)

كما قال ابن عباس - رضى الله عنه - : خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع فقال: "يا أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسُنَّتِي" (٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا

(١) أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله إعداد الشيخ : فواز بن هليل بن رباح السحيمي ، ص ١٧١ .

(٢) رواه مالك في الموطأ ، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة.

قول إلا لكتاب الله - عز وجل - ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً^(١).

فالعزة والنصر والسؤدد هو في هذا المنهج الرباني ، إذ كل من وافق الرسول - ﷺ - في أمر ولو أكثر مخالفوه فهو من الذين اتبعوه في ذلك ، وله نصيبٌ من قوله - تعالى - : "لا تحزن إن الله معنا"^(٢).

ويقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - : "إنَّ إنشاء أي حزب في الإسلام يخالفه بأمر كلي أو مجزئيات لا يجوز ، ويترتب عليه عدم جواز الانتماء إليه ، ولنعزل تلك الفرق كلها ، وعليه فلا يجوز الانصهار مع راية أخرى تخالف راية التوحيد بأي وجهٍ كان من وسيلة أو غاية ، ومعاذ الله أن تكون الدعوة على سنن الإسلام مَظَلَّةً يُدخل تحتها أي من أهل البدع الأهواء فيُغض النظر عن بدعهم وأهوائهم على حساب الدعوة"^(٣) وأخيراً فإن المسلم مطالب باتباع سبيل المؤمنين ، ومنهج الأنبياء والمرسلين الذي اتَّحد في مستنده ومنهجه ، غير مكترث بكثرة المخالفين ، فالمنهج السلفي يقف على أرض صلبة بعيداً عن التفرقات والحزبيات ، أساسه الوحدة والاعتصام على ما جاء عن سلف الأمة ، فمن عرف منهج السلف حق المعرفة عرف أنه ذو فضل على الأمة جمعاء من حيث دعوته إلى الوحدة

(١) انظر: المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، علوي بن عبد القادر السقاف ، ط الأولى - ١٤١٩ هـ ، ج ١ / ١٧٦ .

(٢) التوبة : ٤٠ .

(٣) انظر: حكم الانتماء ، ص ١٥٣ .

والاعتصام ، والنأي به عن الفرقة والاختلاف ، مما فيه قوة الأمة واجتماعها
وسؤددُها ونصرُها .

موقف السلفيين من السياسة

ينكر السلفيون على الأحزاب والجماعات الموجودة اشتغالهم بالسياسة
العصرية وإشغال عوام المسلمين معهم وانحراف مقصد دعوتهم عن نهج
الرسول - ﷺ - ، والسلفيون مع السياسة الشرعية التي تعني : الإحاطة
بالأحكام السلطانية ، ومعرفة حقوق الراعي والرعية ، وتقويم الحقائق
بالموازين الشرعية ، إذن فهي رعاية شؤون الأمة الإسلامية بما لا يخالف
الكتاب الكريم والسنة النبوية.

فأهم الأوليات: مسائل التوحيد والإيمان ، فالعقيدة أول الواجبات
وأعظمها ، فهذه هي السياسة بمعناها الإسلامي النقي التي ترعى شؤون الأمة
الربانية ، أما السياسة العصرية التي تعني القدرة على المراوغة والمناورة
ونقض العهود والمواثيق ، فهذه قرينة النفاق ؛ لأنها تمييع للعقيدة ، وحل
لرابطة الولاء والبراء وخديعة لعامة المسلمين وأئمتهم^(١).

وما تلبست به بعض الجماعات من المظاهرات والاضطرابات هذه ليست
من الدين في شيء ، بل استوردوها من بلاد الكفر ، وزادوا عليها إشعال
إطارات السيارات التي تسبب الأمراض ، وتخريب المؤسسات التعليمية
والاقتصادية والمرافق العامة.

(١) نقلا عن منتدى : أصول المنهج السلفي .

والمظاهرات أول نواة الخروج على الحكام الذي نتج عنه سفك الدماء، وهتك الأعراض، والتسلط على السنة وأهلها، وتعطيل دور المساجد من العلم والتعليم والإصلاح، حتى أصبحت وكرًا لدعاة المظاهرات والاضطرابات، وهذا مصدره التهييج السياسي، وهناك أصابع خفية تحاول بث مثل هذه الأمور لإفساد المجتمعات الإسلامية.

والسلفيون من جانبهم ينكرون المناهج الانقلابية الثورية التي يكون وقودها المسلمون، وتتأخر الدعوة بسببها كثيراً، ومع ذلك كله، فإنهم لا ينكرون على العاملين ضرورة التغيير، ولكنهم ينكرون عليهم مناهجهم في التغيير التي لا تسمن ولا تغنى من جوع، التي منها المظاهرات والاغتيالات. وهذا الذي ينكرونه ويحذرون منه، و يبرءون إلى الله من أغلاله وشره، فهو يريد الخداع، وسلم الذين يعبدون الله على حرف.

موقف السلفيين من العمل الجماعي

والسلفيون من دعاة العمل الجماعي - بمفهومه الشرعي - ، أما العمل الجماعي الحزبي فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، فالمفهوم الشرعي للعمل الجماعي هو التعاون على البر والتقوى.^(١)

فلا حرج لو تخصصت لجنة أو قسم علمي أو مؤسسة دعوية في التوحيد، وأخرى في الحديث، وثالثة في الفقه، ورابعة في التفسير، وخامسة في الدعوة للجاليات، وسادسة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسابعة للشورى وقضايا الأمة وثامنة وتسعة وعاشرة....، الكل يدعو في تخصصه، لكن

(١) نقلاً عن أرشيف موقع الألوكة .

بشرط أن تكون تحت إمام واحد وعلى عقيدة صحيحة ومنهج سليم ، عقيدة
ومنهج السلف الصالح ، وهذا ركن من أركان العمل ، والسعي نحو
التمكين ، ولا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنه .

فلا موالاة ولا معاداة إلا على التوحيد وتقوى الله ولا طاعة إلا لله
ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولأولي الأمر سددهم الله على طاعته .

موقف السلفيين من العلماء

قال ابن القيم - رحمه الله - عن العلماء : "هم فقهاء الإسلام ، ومن
دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام خصوا باستنباط الأحكام ، وعنوا بضبط
قواعد الحلال من الحرام" ^(١) .

ومما يعرف به العالم شهادة مشايخه له بالعلم ، فقد دأب علماء المسلمين
من سلف هذه الأمة ، ومن تبعهم بإحسان على توريث علومهم
لتلامذتهم ، الذين يتبوؤن من بعدهم منازلهم ، وتصبح لهم الريادة والإمامة
في الأمة ، ولا يتصدر هؤلاء التلاميذ حتى يروا إقرار مشايخهم لهم
بالعلم ، وإذنههم لهم بالتصدر والإفتاء والتدريس فهؤلاء يؤخذ عنهم العلم
والتلقي ، فلا يجدي الأخذ عن الكتب فقط ، بل الاقتصار في التلقي على
الأخذ من الكتب بلية من البلايا ، وكذا اجتماع الشباب والطلبة على
الندارس دون أخذ عن شيخ .

(١) انظر : إعلام الموقعين لابن القيم - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية

والسلفيون يحبون علماءهم ويجلونهم ويتأدبون معهم ويدافعون عنهم ويحسنون الظن بهم ويأخذون عنهم، وينشرون محامدهم، إلا أنهم بشر غير معصومين، بل يجوز عليهم في الجملة الخطأ والنسيان إلا أن ذلك لا ينقص من أقدارهم، ولا يُسوِّغ ترك الأخذ عنهم، بل هم الخيار في كل عصر وإن احتاجوا ما يحتاجه المسلمون من التواصي على البر والتقوى، وإن كانوا قد فضلهم الله به.

لكن هناك مشكلة كبيرة يقع فيها البعض ممن ينتسب للسلف، وهو أن بعض المنتسبين للسلف يُضلّل بعضهم بعضاً، ويُبدّع بعضهم بعضاً؛ بل ويخوضون في بعض العلماء لزلّات وقعوا فيها، ونحن لا ننكر هذا إذا كانوا مستحقين، لكننا ننكر معالجة هذه البدع بهذه الطريقة.

والواجب أن يجتمع الجميع ويقولون بيننا كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله، فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء، والآراء، ولا إلى فلان أو فلان كلُّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة.

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (١٦٨٧٣) وتاريخ: ١٢

/ ٢ / ١٤١٥ هـ:

سؤالاً هذا نصه :

"نسمع ونجد أناساً يدعون أنهم من السلفية، وشغلهم الشاغل هو الطعن في العلماء و اتهامهم بالابتداع وكأن ألسنتهم ما خلقت إلا لهذا، ويقولون : نحن سلفية، والسؤال يحفظكم الله : ما هو مفهوم السلفية الصحيح؟، وما موقفها من الطوائف الإسلامية المعاصرة ؟ و جزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء إنه سميع الدعاء.

و بعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأنه :

إذا كان الحال كما ذكر فإن الطعن في العلماء ورميهم بالابتداع واتهامهم مسلك مردٍ ليس من طريقة سلف هذه الأمة وخيارها، وإن جادة السلف الصالح هي الدعوة إلى الكتاب والسنة، وإلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة - ﷺ - والتابعين لهم بإحسان بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن مع جهاد النفس على العمل بما يدعو إليه العبد، والالتزام بما علم بالضرورة من دين الإسلام من الدعوة إلى الاجتماع والتعاون على الخير، وجمع كلمة المسلمين على الحق، والبعد عن الفرقة وأسبابها من التشاحن والتباغض والتحاسد، والكف عن الوقوع في أعراض المسلمين، ورميهم بالظنون الكاذبة ونحو هذا من الأسباب الجالبة لافتراق المسلمين وجعلهم شيعاً وأحزاباً يلعن بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، قال الله - تعالى - : " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون "(١).

ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض "(٢). والآيات والأحاديث في ذم التفرق وأسبابه كثيرة.

(١) آل عمران : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) انظر: صحيح البخاري ج ١ / ٥٦ ح رقم ١٢١ - ج ٤ / ١٥٩٨ ح رقم ٤١٤١ ، صحيح مسلم ج ١ / ٨١ ح رقم ٦٥ و ٦٦ .

ولهذا فإن حماية أعراض المسلمين وصيانتها من الضروريات التي علمت من دين الإسلام، فيحرم هتكها، والوقوع فيها، وتشتد الحرمة حينما يكون الوقوع في العلماء، ومن عَظُم نفعه للمسلمين منهم، لما ورد من نصوص الوحيين الشريفين بعظيم منزلتهم، ومنها أن الله - سبحانه وتعالى - ذكرهم شهداء على توحيدهم فقال - تعالى - : "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"^(١).

والوقوع في العلماء بغير حق تبديعاً وتفسيراً وتنقصاً، وتزهيداً فيهم كل هذا من أعظم الظلم والإثم وهو من أسباب الفتن، وصد المسلمين عن تلقي علمهم النافع وما يحملونه من الخير والهدى.

وهذا يعود بالضرر العظيم على انتشار الشرع المطهر، لأنه إذا جرح حملته أثر على المحمول، وهذا فيه شبه من طريقة من يقع في الصحابة من أهل الأهواء، وصحابة رسول الله - ﷺ - هم شهود نبي هذه الأمة على ما بلغه من شريعة الله، فإذا جرح الشاهد جرح المشهود به.

فالواجب على المسلم التزام أدب الإسلام وهدية وشرائعه، وأن يكف لسانه عن البذاءة والوقوع في أعراض العلماء، والتوبة إلى الله من ذلك والتخلص من مظالم العباد، ولكن إذا حصل خطأ من العالم فلا يقضي خطؤه على ما عنده من العلم، و الواجب في معرفة الخطأ الرجوع إلى من

(١) آل عمران : ١٨ .

يشار إليهم من أهل العلم في العلم والدين و صحة الاعتقاد ، و أن لا يسلم
المرء نفسه لكل من هب ودب فيقوده إلى المهالك من حيث لا يشعر.
وبالله التوفيق و صلى الله على نبينا محمدٍ و آله و صحبه و سلم" (١)

هذا والله أعلم

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة : فتوى رقم (١٦٨٧٣) .

المراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- معجم مقاييس اللغة لابن فارس .
- ٣- مختار الصحاح .
- ٤- لسان العرب .
- ٥- النهاية في غريب الحديث والأثر .
- ٦- القاموس المحيط .
- ٧- مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني .
- ٨- إجماع العوام عن علم الكلام ، للغزالي .
- ٩- صحيح البخاري .
- ١٠- الشريعة ، للأجري .
- ١١- التحف في مذاهب السلف .
- ١٢- لوامع الأنوار .
- ١٣- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية .
- ١٤- فضل علم السلف على علم الخلف .
- ١٥- صحيح مسلم .
- ١٦- الإبانة ، لأبي الحسن الأشعري .
- ١٧- العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة .
- ١٨- تحفة المريد شرح جوهره التوحيد .
- ١٩- المقالات ، لأبي الحسن الأشعري .
- ٢٠- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ، محمد الجلند .
- ٢١- إعلام الموقعين ، بتحقيق: عبد الرحمن الوكيل .
- ٢٢- السنة ، لابن أبي عاصم .
- ٢٣- الإيمان ، للقاسم بن سلام .
- ٢٤- المنهج السلفي خصائصه ومفاهيمه وقواعده ، لصبري محمد خليل .

٢٥- مقال العقيدة السلفية تعريفها - فضلها - خصائصها ، للشيخ محمد الحمود .

فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى

- ٢٦- مخالفة الخلف لمنهج السلف ، عيد عباسي .
- ٢٧- المنهج السلفي ، مفرح القوسي .
- ٢٨- السلفية منهج ملزم لكل مسلم ، المقدم .
- ٢٩- الأصول العلمية للدعوة السلفية ، لعبد الرحمن بن عبد الخالق .
- ٣٠- المنهج السلفي ، تعريفه وسماته ودعوته الإصلاحية ، لمحمد بن عمر بازمول .
- ٣١- المنهج السلفي للشيخ ناصر الألباني ، معنى السلفية لمحمد عبد المقصود. نقلاً عن مقال بموقع فرسان الحق.
- ٣٢- الفتاوى ج ٤ / ١٤٩ .
- ٣٣- كتاب التحفة المهدية لمن سأل عن معنى السلفية ، طبعة الدار الأثرية ، ص ٢٢ .
- ٣٤- السير ج ١٣ / ٣٨٠ .
- ٣٥- محاضرة مسجلة بعنوان : " حق المسلم " ، في ١٦ / ١ / ١٤١٣ بالطائف .
- ٣٦- صحيح البخاري ج ٥ / ٢٣١٧ ح رقم ٥٩٢٨ ، صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٠٤ ح رقم ٢٤٥٠ .
- ٣٧- المنهج السلفي للشيخ ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة الضياء ، طنطا ، مصر ، ص ١٧ .
- شرح العقيدة الواسطية ج ١ / ٤٥ .
- ٣٨- في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول .
- ٣٩- فتوى رقم (١٣٦١) (١٦٥/١) .
- ٤٠- صحيح ابن حبان ج ١ / ١٧٩ ، المستدرك على الصحيحين ج ١ / ١٧٤ .
- ٤١- البيان للشيخ صالح الفوزان .
- ٤٢- من محاضرة ألقاها في حوطة سدير - عام ١٤١٦هـ - بعنوان: التحذير من البدع ، الشريط الثاني.
- ٤٣- نقلاً عن التحفة المهدية ، ص ٣٧ .

- ٤٤ - الصفات الإلهية للشيخ محمد أمان الجامي، ص ٦٤ .
- أصول وقواعد المنهج السلفي، ص ٧، ٨ .**
- ٤٥ - انظر: حقيقة الإخلاص عند شيخ الإسلام ابن تيمية - سند بن علي البيضاوي، ج ١ / ٢١ .
- ٤٦ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ص ١٤٢ .
- ٤٧ - درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧ هـ، ج ١ / ٢٧٢ .
- ٤٨ - صحيح ابن حبان ج ١ / ١٧٩، المستدرک علی الصحيحین ج ١ / ١٧٤ .
- ٤٩ - شرح الأربعين النووية، ح رقم ٢٨، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .
- ٥٠ - درء تعارض العقل والنقل ج ١ / ٢٧٣ .
- ٥١ - أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله إعداد الشيخ: فواز بن هليل بن رباح السحيمي، ص ١٧١ .
- ٥٢ - رواه مالك في الموطأ، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة.
- ٥٣ - المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، علوي بن عبد القادر السقاف، ط الأولى - ١٤١٩ هـ، ج ١ / ١٧٦ .
- حكم الانتماء، ص ١٥٣ .**
- ٥٤ - نقلا عن منتدى: أصول المنهج السلفي.
- ٥٥ - نقلا عن أرشيف موقع الألوكة .
- ٥٦ - إعلام الموقعين لابن القيم - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨ هـ،
- ٥٧ - انظر: فتاوى اللجنة الدائمة : فتوى رقم (١٦٨٧٣) .



مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

جبران بن سلمان سحاري

المعهد العالي للقضاء

السلفية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ،
وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .
أما بعد : فهذه ورقة عمل أقدمها لندوة (السلفية - منهج شرعي ومطلب
وطني) التي تنظمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
وقد قصرت هذه الورقة على المحور الأول الذي هو (مصطلح السلفية -
حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح).

وقد قسمتها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .
التمهيد في أهمية الموضوع وصلته بالوقت الحاضر .
الفصل الأول : معنى السلفية ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : معنى السلفية في اللغة .
المبحث الثاني : معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي .
الفصل الثاني : ارتباط السلفية الحقبة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد
ﷺ - .

الفصل الثالث : حكم الانتساب إلى السلفية ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : تحقيق الحكم الشرعي في المسألة .
المبحث الثاني : ذكر من انتسب إلى السلفية من الأئمة والعلماء .
الفصل الرابع : السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة ، وفيه
مبحثان :

المبحث الأول : فضل السلفية وتقديمها على جميع الأحزاب والجماعات .
المبحث الثاني : أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة .
والخاتمة ، وتحتوي أهم النتائج والتوصيات .

والله أسأل أن ينفع بهذه الورقة كاتبها وقارئها وسامعها إنه خير مسئول،
وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ.

تهديد

لا تخفى أهمية البحث في موضوع السلفية وصلته بالوقت الحاضر؛ خصوصاً أن بعض الجماعات والأحزاب ما فتئت تحاربه حتى الساعة. وسبب محاربته أنه مصطلحٌ مرتبطٌ بالإسلام الصحيح الخالي من الشوائب، ودعوة السلفية منصوره في كل عصر بشهادة النبي ﷺ - القائل: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها".^١

وقد بعث الله على رأس المائة الأولى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين العالم العابد عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ) - رحمة الله عليه - ، وعلى رأس المائة الثانية الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) - رحمه الله - ، وعلى رأس المائة الثالثة الإمام أبا العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (ت: ٣٠٦هـ) كما شهد به جماعة من أهل العلم.^٢

وفي ذلك قال شاعرهم :

عمرُ الخليفةُ ، ثم جلفُ السؤددِ
إرثُ النبوةِ وابنُ عمِّ محمدٍ
من بعدهم سقيا لتربة أحمد^٣.

اثنان قد ذهباً فبورك فيهما
الشافعيُّ الأملعيُّ محمدٌ
أبشر أبا العباس إنك ثالثٌ

١ - رواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩١) كتاب الملاحم - باب ما يذكر في قرن المائة من حديث أبي هريرة - ﷺ - ، وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ٥٦٧/٤.

٢ - انظر: مستدرک الحاكم: ٥٦٨/٤ ، وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٨٩ ، ووفيات الأعيان: ١٧ / ١ ، و سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٢٠٢ ، والأعلام للزركلي: ١٨٥/١.

٣ - انظر الأبيات في: مستدرک الحاكم: ٥٦٨/٤ ، وتاريخ بغداد: ٤ / ٢٨٩ ، ووفيات الأعيان:

١٧ / ١ ، وتذكرة الحفاظ: ٣ / ٨١٢ - ٨١٣ ، و سير أعلام النبلاء: ١٤ / ٢٠٢ ،

وطبقات الشافعية للسبكي: ٢ / ٨٧ ، والبداية والنهاية: ١١ / ١٢٩ ، وغيرها.

وهكذا تتابع المجددون على خلافٍ في تعيينهم إلى ما بعد القرن السابع ،
ثم كثر الخلاف في هذه المسألة مع يقين الجميع بوجود مجددٍ في كل عصر .
واستمر الأمر على هذا إلى أن ظهر شيخ الإسلام مجدد ما اندرس من معالمه في
الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب
(ت: ١٢٠٦هـ) - رحمه الله تعالى - ، لما جدد الدين ، ونشر الدعوة
السلفية بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود (ت: ١١٧٩هـ) - رحمه الله
عليه - .

وسار على منواجه أئمة كثر إلى عصرنا هذا فمنهم العلامة محمد بن
إبراهيم (١٣٨٩هـ) مفتي الديار السعودية - سابقاً - ، وخلفه تلميذه العالم
السلفي شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -
(١٤٢٠هـ) مفتي المملكة العربية السعودية سابقاً ، والأمر على هذه الدعوة
السلفية الخالصة - بحمد الله - إلى وقتنا هذا ، وينافح عنها العلماء
الربانيون من كل من تجرد للحق واقتفى السنن ومن الله عليه بالاتباع وترك
الابتداع ، ويتأكد التمسك بها والعص عليها بالنواجذ لأنها دين الله
الصحيح ، وفيها - بتوفيق الله - النجاة من المحن والفتن والقلقل ، والله
يتولى الصالحين .

وإلى حين الشروع في فصول هذا البحث ومباحثه يتضح المقصود ،
ويتحقق المأمول .

الفصل الأول: معنى السلفية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى السلفية في اللغة:

السلفية في اللغة مأخوذة من المصدر وهو السلف، وماضيه: سلف، والاسم: السالف، وهو المتقدم^١.

قال ابن فارس (٣٩٥هـ): (السين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّمٍ وسبقٍ؛ من ذلك السَّلف: الذين مضوا. والقومُ السُّلَّاف: المتقدمون. والسُّلَّاف: السائل من عصير العنب قبل أن يُعصر. والسُّلْفَة: المعجل من الطعام قبل الغداء، والسُّلوف: الناقة تكون في أوائل الإبل إذا وُردت. ومن الباب السَّلف في البيع، وهو مالٌ يُقدَّم لما يُشترى نساءً، وناسٌ يسمُّون القرضَ السَّلف، وهو ذاك القياسُ لأنَّه شيءٌ يُقدَّم بعوضٍ يتأخَّر) انتهى^٢.
والسَّلفُ والسَّليْفُ والسُّلْفَةُ: الجماعةُ المُتقدِّمون.

وجمَّعُ سَلِيفٍ: سُلْفٌ بضمَّتين؛ ومنه قراءة حمزة والكسائي: (فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا)^٣.

ورمز لهما الشاطبي بحرف الشين في (شريف) فقال:

وفي سلفاً ضمّاً شريفٍ وصاده يصدون كسر الضم في حق نهشلاً^٤.

١ - انظر: تاج العروس للإمام الزبيدي: ٤٦٣/٢٣.

٢ - مقاييس اللغة: ٩٥/٣ - ٩٦.

٣ - انظر: التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني ص ١٩٧، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدميّاطي ص ٤٩٦.

٤ - الشاطبية في القراءات السبع ص ٨٢.

قال الفراء: وزعم القاسم أنه سمعَ واحدَها سليفاً^١.
وسالفٌ وسلفٌ مثلُ خالفٍ وخلفٍ.
والسلفُ: القومُ المتقدمون في السيرِ، ومنه قولُ قيسِ بنِ الخَظيمِ:
لَوْ عَرَجُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضْحِي جِمَالَهُ السَّلْفُ^٢.
وأسلفهُ مَالاً وسلفهُ: أقرضهُ، قال الشاعرُ:
تُسَلِّفُ الْجَارَ شَرِباً وَهِيَ حَائِمَةٌ وَالْمَاءُ لَزْنٌ بَكِيٌّ الْعَيْنِ مُقْتَسَمٌ^٣.
وَاسْتَسَلَفْتُ مِنْهُ دَرَاهِمَ فَأَسْلَفَنِي مِثْلُ تَسَلَّفْتُ؛ نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ.
ومنه الحديث: أَنَّهُ - ﷺ - اسْتَسَلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا^٤.
أَي: اسْتَقْرَضَ.
وجاءني سلفٌ مِنَ النَّاسِ: أَي جَمَاعَةٌ.
والسُّلَافُ والسُّلَافَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خَالِصَةٌ^٥.

١ - انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٦/٣.

٢ - ديوانه ص ١٠٢.

٣ - البيت في لسان العرب: ١٥٨/٩ غير منسوب.

٤ - انظر: الصحاح له: ١٣٧٦/٤ بتحقيق العطار.

٥ - الحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٠٠) كتاب المساقاة - باب من استسلف شيئاً

فقضى خيراً منه، وخيركم أحسنكم قضاء؛ من حديث أبي رافع - ﷺ - .

٦ - انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٢٩٩/١٢، والمخصص لابن سيدة: ٩٤/٤، والمحكم والمحيط

الأعظم له: ٥٠٠/٨، والمصباح المنير: ٢٩٦/٤، وتاج العروس: ٤٦٣/٢٣.

المبحث الثاني: معنى السلفية في الاصطلاح الشرعي:

السلفية في الاصطلاح الشرعي لها معنيان:

الأول: مأخوذ من المعنى اللغوي وهو التقدم بمعنى: السير على منهاج من مضى وسلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين المقتدى بهم في القرون المفضلة كالخلفاء الراشدين والصحابة المقدمين بعدهم كابن مسعود وابن عمر ومعاذ بن جبل وغيرهم، والتابعين كسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وابن المبارك وغيرهم، والأئمة المهديين كالليث والأوزاعي ومالك وسفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم^١.

الثاني: اتباع هذا المنهج يعد سلفية في كل العصور؛ فالسلفية هنا منهجٌ يُحتذى ويطلق على كل من سلكه وإن تأخر عصره كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة السلفية بعده، ومن بعدهم من العلماء المعاصرين^٢.

وتسمى هذه الطريقة طريقة الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية. وقد ورد الحضر عليها في الحديث الصحيح؛ أن النبي - ﷺ - قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"^٣.

١ - انظر: رسالة التمسك بالمنهج السلفي ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع المدخلي: ١/٤٩٧.

٢ - انظر: تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين للشيخ ربيع مجموع كتبه ورسائله: ٣/٥٧-٤١٥.

٣ - الحديث متفق عليه من حديث معاوية - ﷺ -؛ رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) ومن حديث المغيرة بن شعبة - ﷺ -؛ رواه البخاري (٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١). ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر - ﷺ - (١٥٦) ومن حديث ثوبان - ﷺ - (١٩٢٠).

وفيها يقول الشيخ العلامة محمد الأثيوبي :

طائفة تحملُ علماً قائمه
حتى تجيء الساعة الملائمة
هم جمعُ كثرة وليسوا قلّة
يهدون بالحقّ حماة الملّة
دليله : حديث (من يُجدّد)
و(لا تزال) فالكريمَ نحمدُ^١.

وهي الفرقة الناجية ؛ حيث ورد تعيينها في الحديث الصحيح أن النبي - ﷺ - قال : " افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلثتان وسبعون في النار) قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : (الجماعة)"^٢.

وفي لفظٍ : (عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً)^٣ وفي روايةٍ : قالوا : وما تلك الفرقة ؟ قال : (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)^١ وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ.

١ - التحفة المرضية في نظم المسائل الأصولية على طريقة أهل السنة السنية ص ٢٢٨.

٢ - رواه ابن ماجه في سننه (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك - ﷺ - ، واللفظ له ، ورواه أحمد في مسنده (٣٣٢/٢) وأبو داود في سننه (٤٥٩٦) كتاب السنة - باب شرح السنة ، والترمذي في جامعه (٢٦٤٠) كتاب الإيمان - باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وابن ماجه (٣٩٩١) كتاب الفتن - باب افتراق الأمم ؛ جميعاً من حديث أبي هريرة - ﷺ - ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم في المستدرک : ٤٧/١ ، وقال : " هذا حديث كثر في الأصول ، وقد روي عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك عن رسول الله - ﷺ - مثله " اهـ .

وصححه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : ٣/٣٤٥ فقال : " صحيح مشهور في السنن والمساند " اهـ .

٣ - رواه أحمد في مسنده (١٠٢/٤) من حديث معاوية - ﷺ - ، والحاكم في المستدرک : ١/٢١٨ من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

الفصل الثاني

ارتباط السلفية الحقّة بالإسلام الصحيح

الذي جاء به محمد ﷺ :

لا ريب في ارتباط السلفية الحقّة بالإسلام الصحيح الخالص من الشوائب والبدع والمحدثات ؛ لأن هذا الدين قائمٌ على الاتباع لا الابتداع وعلى الجماعة لا على الفرقة والتحزب.

وسلفنا الصالح سائرون على هذا الميراث النبوي الذي لا تغيير فيه ولا تبديل ، ولهذا كانوا ينكرون كل بدعة ومحدثّة لم يجدوها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأثر ابن مسعود - رضي الله عنه - قد تكفل بهذا المعنى ، فعن عمرو بن سلمة قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا : لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال : فما هو؟ فقال : إن عشت فستراه قال : رأيت في المسجد قوماً جلّساً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول : كبروا مئة فيكبرون مئة ، فيقول : هللوا مئة فيهللون مئة ،

١ - رواه الترمذي في جامعه (٢٦٤١) والحاكم في المستدرک (٢١٨/١) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - ، وقال الترمذي : حسن مفسر غريب ، وصححه الحاكم.

ويقول: سبحوا مئة فيسبحون مئة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدُّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصيَّ نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم - ﷺ - متوافرون، وهذه ثيابه لم تبَلْ وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملةٍ هي أهدي من ملة محمد أو مفتحو باب ضلالة قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير؛ قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه إن رسول الله - ﷺ - حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم. فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^١.

فلما أحدث هؤلاء في الإسلام؛ خرجوا عن الإمام، وأتوا بالطوام، وبغوا على أنفسهم وإخوانهم وتركوا سنن الهدى السالفة على الحق والميراث النبوي فضلوا وأضلوا، والله المستعان.

لكانهم جهلوا أو تجاهلوا أن الجماعة والإمامة أمران مقترنان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولهذا جاء في النصوص الأمر بلزوم جماعة المسلمين

١ - رواه الدارمي في سننه (٢٠٤) باب في كراهية أخذ الرأي، وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده جيد.

وإمامهم^١، وجاء هذا الدين بمشروعية صلاة الجماعة والحث عليها والترغيب فيها غاية الترغيب، وفضلها على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة^٢، ولا صلاة لمنفردٍ خلف الصف^٣؛ لأنه انفرد عن الجماعة وصلى وحده، والفرد إذا روى حديثاً وخالف جماعة من الثقات لم يُقبل عند المحدثين^٤، وكل شيء قائمٌ على الجماعة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار^٥.

- ١ - هذا طرف من حديث حذيفة رضي الله عنه؛ رواه البخاري (٣٦٠٦) كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٨٤٧) كتاب الإمامة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.
- ٢ - كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - المتفق عليه؛ رواه البخاري (٦٤٥) كتاب الأذان - باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم (٦٥٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلّف عنها.
- ٣ - رواه ابن حبان في صحيحه (٢٢٠٢) عن علي بن شيبان قال: قدمنا على رسول الله - ﷺ - ، فصلينا خلف رسول الله - ﷺ - ، فلما قضى رسول الله - ﷺ - ، صلاته إذا رجل فرد، فوقف عليه نبي الله - ﷺ - ، حتى قضى الرجل صلاته، ثم قال له نبي الله - ﷺ - : "استقبل صلاتك، فإنه لا صلاة لفرد خلف الصف".
- ٤ - انظر: التقييد والإيضاح على ابن الصلاح للحافظ العراقي ص ١٠٤.
- ٥ - انظر: رفع أكف الضراعة في جمع كلمة أهل السنة والجماعة للأعظمي ص ١٠.

الفصل الثالث: حكم الانتساب إلى السلفية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تحقيق الحكم الشرعي في المسألة:

الانتساب إلى السلفية شرف الانتماء وفضيلة المتابعة، ولكن ذلك لا يتأتى إلا بشروط:

الشرط الأول: اتباع السلف في العلم والعمل والسير على منهاجهم في كل ما يأتي الإنسان ويذر لا يظن أنه آت بما لم يأتوا به في الدين فيفلح؛ لأنه إن فعل ذلك انخرط في سلك أهل البدع الذين أتوا بالمحدثات، والله تعالى يقول: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ^١.

ولهذا كان الأصل في العبادات التوقيف والمنع ما لم يدل الدليل عليها ^٢. وقال الله تعالى يذم من عمل بغير هديه يحسب أنه على هدى: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ^٣.

الشرط الثاني: الحذر من كل الفرق والأحزاب والجماعات التي لا تسير على منهج السلف لثلاث تزل قدمه فيتابعهم في بعض ما يذهبون إليه ويكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

١ - سورة الشورى، الآية (٢١).

٢ - انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧/٢٩.

٣ - سورة الكهف، الآية (١٠٣، ١٠٤).

الشرط الثالث : تطبيق أصول أهل السنة والجماعة المقررة عند أهل العلم التي أخذوها من منهج سلف الأمة وعملوا بها ولم يخرجوا عنها قيد أنملة. فمن خالف في أصل واحد من هذه الأصول فقد خرج من السلف خروجاً جزئياً فيقال : ليس من السلف في هذه المسألة وليس من أهل السنة في هذا الباب.

فمثلاً : لو كان يرى جواز الخروج على أئمة المسلمين ومناذتهم السيوف لأدنى فرصة تُتاح له فهذا على مذهب الخوارج في هذه المسألة ومخالفٌ لأهل السنة في أصل طاعة ولادة الأمر في غير معصية. وبعض أئمة السلف يخرجونه من أهل السنة بمجرد ارتكابه بدعة واحدة لأن البدع تتجمع وتتوارد على من قبلها وتشربها شيئاً فشيئاً. وأيضاً لسد الباب على العامة والدهماء لئلا يفتتنوا بهذا المبتدع خاصة إذا كان صاحب عبادة فيغترون به وينصرفون إليه. فإذا تحققت هذه الشروط جاز الانتساب إلى السلفية وكان فعله يصدق قوله ، وعمله يطابق علمه وشرف بهذا الانتساب وشهد له الناس بذلك. أما إذا خالفها وانتسب إلى السلفية فهذه تكون دعوى حينئذٍ تفتقر إلى الدليل.

والدعوى إن لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء. وكل من ادعى أمراً فلا بد من البرهان والدليل على صحة دعواه ؛ كما قال الله - تعالى - : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)^١

١ - سورة البقرة ، الآية (١١١).

وقال - جل ذكره - : (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) ^١.
فمن الأهمية بمكان هذه النسبة أن يُعرف بها المسلم وإن لم ينسب نفسه
هو إليها.

وقد كره بعض أهل العلم أن يتسمى الإنسان سلفياً فيقول عن نفسه : (أنا
سلفي) أو (أثري) وذلك ورع منهم ؛ خشية أن يكون هذا العمل من باب
تزكية النفس والله -تعالى- يقول : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)
^٢.

ولكن جمهور أهل الحديث على جواز ذلك إذا تحققت الشروط المطلوب
توافرها في المسلم ، وذلك من باب الإخبار عن الحقيقة والواقع ، وليس من
باب التزكية والإطراء ، وحسن الانتساب إلى علم الأثر ممن يصنف في فنونه
كما قال السخاوي وغيره ^٣.

وسياتي نماذج لذلك إن شاء الله تعالى.

١ - سورة آل عمران ، الآية (٩٣).

٢ - سورة النجم ، الآية (٣٢).

٣ - انظر : فتح المغيث شرح ألفية الحديث : ٧/١.

المبحث الثاني: ذكر من انتسب إلى السلفية من الأئمة والعلماء:

لقد انتسب جماعةٌ من أهل الحديث إلى هذا المصطلح فقالوا: (فلان السلفي) أو (الأثري) والسلفي نسبة إلى (السلف الصالح) والأثري نسبة إلى (الأثر) لأن سلف الأمة عرفوا باتباع الأثر والحديث.

ومن هؤلاء العلماء والأئمة:

١- الإمام قيس بن الحجاج بن خلي بن معد يكرب الحميري الكلاعي، ثم السَّلَفِيّ^١ المصري، وقيل الصنعاني؛ من صنعاء دمشق، والصحيح أنه مصري.

روى أحاديث، وكان صالحاً، وذكره ابن حبان في الثقات، واقتفى مذهب السلف^٢.

٢- الإمام ابن الأخرم الأثري الحافظ، قال عنه الحافظ الذهبي: (ابن الأخرم الإمام الكبير، الحافظ الأثري، أبو جعفر، محمد بن العباس بن أيوب ابن الأخرم الأصبهاني الفقيه).

ارتحل، وأخذ عن أبي كريب، والمفضل بن غسان الغلابي، وزيد بن يحيى الحساني، وعلي بن حرب، وعمار بن خالد، وعدة. وعنه: أبو أحمد العسال، وأبو الشيخ، وأحمد بن إبراهيم بن أفرجة، وعبد الله بن محمد بن عمر، وآخرون.

١ - هكذا هو السَّلَفِيّ نسبةً إلى السلف الماضين؛ لشدة اتباعه لهم، وأما الحافظ أبو طاهر السَّلَفِيّ الإمام المشهور فهو بكسر السين نسبة إلى جده إبراهيم سِلْفَة؛ لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين، وكان له ثلاث شفاة فسمته الأعاجم لذلك. انظر: البداية والنهاية: ٣٧٧/١٢.

٢ - انظر ترجمته في تهذيب الكمال للحافظ المزي: ١٩/٢٤.

وله وصية أكثرها على قواعد السلف ، يقول فيها : من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق فهو كافر.

فكأنه عنى باللفظ : الملفوظ لا التلفظ.

توفي سنة إحدى وثلاث مئة^١.

٣- الإمام الحافظ عبد الرحيم بن حسين العراقي الأثري صاحب ألفية الحديث ونظم الاقتراح وغير ذلك ؛ قال في مقدمة ألفيته في مصطلح الحديث : يقول راجي ربه المقتدر عبد الرحيم بن الحسين الأثري^٢.

٤- الحافظ صفى الدين البخاري الأثري هو محمد بن أحمد بن محمد بن خير الله ، أبو الفضل ، صفى الدين الحنفى الأثري الحسينى البخارى : فاضل ، من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره. أصله من بخارى. سكن نابلس (بفلسطين) وتوفي فيها بالطاعون سنة ١٢٠٠هـ، ومن كتبه : القول الجلي في ترجمة ابن تيمية^٣. غيرهم من الأئمة والعلماء الذين انتسبوا إلى مذهب السلف والأثر وما ذلك إلا لصحة الانتساب إليه عندهم ، بل هو الشرف المزيد في ذلك والله الموفق.

١ - انظر : سير أعلام النبلاء : ١٤ / ١٤٤.

٢ - ألفية العراقي ص ٩٣ ، المقدمة - البيت الأول.

٣ - انظر : الأعلام للزركلي : ١٥ / ٦.

الفصل الرابع

السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة

وفيه بحثان:

المبحث الأول: فضل السلفية وتقديمها على جميع الأحزاب

والجماعات:

ليس للمسلمين من سبيل إلى وحدة جماعتهم إلا بالإسلام الصحيح شريعةً وعملاً ؛ كما قال الله تعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) ^١.

والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة ، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي ؛ فهي عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - .

فالدعوة السلفية إذاً هي محاولة قولية وفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى الحق والصراط المستقيم ، أي إلى دين النبي - ﷺ - وشرعه الذي جاء به بفهم السلف الصالح أصحاب رسول الله - ﷺ - ؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله - ﷺ - فالقرآن نزل بلغتهم التي يجيدونها ونزل بين أظهرهم وهم يعلمون متى نزل وفيما نزل مع فهمهم لمعانيه ومقاصده وما خفي عليهم من شيء سألوا عنه رسول الله - ﷺ - فبين لهم ؛ فالدعوة إلى هذا الدين وبهذا الفهم دعوة إلى الحق وإلى صراط مستقيم وإلى دين القيمة.

١ - سورة الأنبياء ، الآية (٩٢).

فقامت الدعوة السلفية على أصلين عظيمين هما: دعوة النبي ﷺ -
- والأنبياء من قبل رسولنا ﷺ - ؛ ولذلك فهي أصول معصومة ؛
لأن أصل الدين الذي جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عند
الله تعالى.

فالأصل الأول: هو توحيد الله - سبحانه وتعالى - توحيداً صافياً من كل
شرك.

والأصل الثاني: هو تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله - ﷺ - وهي
تعني طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يُعبد الله إلا بما شرع
على لسان رسوله - ﷺ - مع محبته وتوقيره واتباعه والسير على دربه
واقْتفاء أثره - ﷺ - ، والحذر من كل بدعة مكفرة أو مفسدة في العقائد أو
في العبادات فكل هذه البدع مرفوضة وكلها ضلالات ليس فيها حسن وقبيح
بل كلها قبيحة^١.

ومن هذا المنطلق لما رأى بعض المخدوعين أن السلفية قائمة على هذا
الاجتماع والمنهج السديد ناصبوا العداء وكونوا جماعاتٍ وأحزاباً شتى
مناقضة لمذهب السلف لصالح وتفرقوا فيما بينهم (كل حزب بما لديهم
فرحون)^٢. هذه علاقة السلفية بالأحزاب علاقة تباين ، والتفرق دائماً قرينٌ
للبدع وأصحابها^٣.

١ - انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص ٢٩٨ ، ومجموع فتاوى شيخ
الإسلام: ٦٣٩/٧ ، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٦١ ، وحاشية
الأصول الثلاثة لابن قاسم ص ٥٧ ، والدعوة السلفية للشيخ محمود العسقلاني ص ٩.

٢ - سورة المؤمنون ، الآية (٥٣).

٣ - انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمي: ١٢٤٢/٣.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة:

لما جاءت الجماعات والأحزاب المتفرقة التي لا تريد جمع كلمة المسلمين على السنة، ومنهج السلف؛ لأغراضٍ يضمرونها كطلب الرئاسة والمنصب والشهرة رأوا أنه لا مناص لهم إلا بمعاداة مذهب السلف الذي أغلق عليهم كل باب وسدّ عليهم كل مطمع دنيوي حقير، فتركوا السلفية وصاروا يتسمون بأسماء جماعات وأحزاب وطوائف ظاهرها حق وباطنها باطل محض كالدعوة إلى الثورات والانقلابات وتشيتت صفوف المسلمين والسماح للأعداء بالنصر عليهم بعد تفرقتهم.

رأوا أن السلفية منهجٌ يردّهم للكتاب والسنة ويعيدهم على النصوص الصريحة التي هي حجة عليهم فعادوا المذهب السلفي وأضمرّوا لأصحابه الشر وسموهم بغير هذا الاسم.

نسأل الله - تعالى - أن يحفظ علينا المنهج السلفي الذي هو الدين الخالص والإسلام الصحيح والانقياد لله - تعالى - في شرعه وكل أوامره.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وصحابته أجمعين ، والسلف الصالحين والتابعين لهم بإحسان ، أما بعد :

فهذه خاتمة المطاف في هذه الورقة التعريفية الموجزة عن مصطلح السلفية ومباحثه ذات الصلة الوثيقة به ، وتحتوي أهم النتائج والتوصيات : أولاً : تجلت أهمية السلفية الحقّة وارتباطها بالإسلام الصحيح من خلال النصوص التي تفيد تجديد دين الله على رأس كل مئة سنة بإحياء مذهب السلف القائم على الكتاب والسنة الصحيحة.

ثانياً : السلفية في اللغة : التقدم والسبق ، وهي سابقةٌ معنى ومضموناً ، ولها في الاصطلاح الشرعي معنيان : سلفية عصرٍ ، وسلفية منهجٍ سائرٍ على نهج الرعيل الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم - رضوان الله عليهم . -

ثالثاً : كل من حاد عن نهج السلف فقد غيّر وبدّل وأحدث في الدين ما ليس منه.

رابعاً : الانتساب للسلفية أمرٌ جائزٌ على الصحيح ، وعليه عمل جمهور أهل الحديث بشروطه المطابقة لواقع التسمية.

خامساً : انتسب إلى السلفية جماعةٌ من الأئمة والعلماء ، وكذلك انتسبوا إلى علم الأثر ؛ فيقال : (السلفي) و(الأثري) وهذا منهم إقرارٌ بصحة هذا الانتماء واعتزازٌ به.

سادساً: علاقة السلفية بالجماعات والأحزاب المعاصرة علاقة مباينة وافتراق؛ حيث إنهم لما حادوا عن السلفية أتوا بجماعاتٍ وتنظيماتٍ محدثة. سابعاً: من أسباب ظهور الجماعات والأحزاب المعاصرة عدم رضاهم بمنهج السلف لأغراضٍ وأهواءٍ ومطامعٍ دنيويةٍ مقبلة. ثامناً: أوصي بتدريس هذا المنهج الصافي في مادة مستقلة تسمى (منهج السلف).

تاسعاً: أوصي بالحد من كل تجمعٍ له أفكارٌ مصادمةٌ للدين الإسلامي الصحيح.

عاشراً: أوصي بتحسين الشباب بالعلم والعمل، وملازمة العلماء الصادقين الناصحين، المقتفين لآثار سلف الأمة، وإبعادهم عن كل محورٍ ومقامٍ قد يؤدي بهم إلى الانزلاق مع الأهواء المنحرفة. وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ وآله وصحبه.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات) لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ت: أنيس مهرة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٢- الأعلام لخير الدين الزركلي ط: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢ م.
- ٣- ألفية الحافظ العراقي، ت: العربي الدائر الفرياطي، ط: مكتبة دار المنهاج، الرياض- السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
- ٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير حقه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٥- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام الزبيدي، ت: جماعة من المحققين، ط: دار الهداية.
- ٦- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بلا تاريخ.
- ٧- التحفة المرضية في نظم المسائل الأصولية على طريقة أهل السنة السنية، للشيخ محمد الأثيوبي، ط: مكتبة الرشد، السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٨- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي، ت: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٩- تذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين للشيخ ربيع المدخلي، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٠- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.
- ١١- التمسك بالمنهج السلفي للشيخ ربيع المدخلي، تعليق سماحة الشيخ ابن باز، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

- ١٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، ت: د. بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- ١٣- تهذيب اللغة للأزهري، ت: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت - ٢٠٠١ م
- ١٤- تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط: مكتبة الرياض الحديثة - الرياض، بلا تاريخ.
- ١٥- التيسير في القراءات السبع للإمام المقرئ أبي عمرو الداني، ت: أوتوير تزل، ط: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، توزيع: مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٣٠ هـ.
- ١٦- جماعة واحدة لا جماعات للشيخ ربيع المدخلي، تقديم الشيخ صالح الفوزان، طبع ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ العلامة ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، ط: دار الإمام أحمد - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- ١٧- حاشية الأصول الثلاثة للعلامة ابن قاسم الحنبلي، الطبعة السابعة، ١٤١٧ هـ.
- ١٨- ديوان قيس بن الخطيم، ت: ناصر الدين الأسد، ط: دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
- ١٩- رفع أكف الضراعة في جمع كلمة أهل السنة والجماعة، تأليف د. محمد محروس المدرس الأعظمي، الطبعة الثانية، بلا تاريخ.
- ٢٠- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الفكر، بلا رقم ولا تاريخ.
- ٢١- سنن ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ط: دار الفكر، بيروت - لبنان، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بلا رقم ولا تاريخ.
- ٢٢- سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، بلا رقم ولا تاريخ.
- ٢٣- سنن الدارمي ط: دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٤- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ.

- ٢٥- الشاطبية في القراءات السبع للإمام الشاطبي، ت: محمد تميم الزعبي، ط: مكتبة دار الهدى، المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
- ٢٦- الصحاح للجوهري تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
- ٢٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان البستي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٢٨- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، بلا تاريخ.
- ٣٠- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٣١- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني، ت: د. ناصر الجديع، ط: دار العاصمة، السعودية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ٣٢- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ٣٣- لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ط: دار صادر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، بلا رقم ولا تاريخ.
- ٣٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع العلامة ابن قاسم وابنه محمد، ط: دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- ٣٥- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة، ت: د. عبد الحميد هندواي، ط: دار الكتب العلمية. لبنان - بيروت، ٢٠٠٠م

- ٣٦- المخصص لابن سيدة، ت: خليل إبراهيم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٧- المستدرک على الصحيحین لأبي عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة - القاهرة، وهي الطبعة الميمنية المعروفة عند أهل العلم، بلا تاريخ.
- ٣٩- المصباح المنير شرح غريب الرافعي الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ط: المكتبة العلمية، لبنان- بيروت، بلا تاريخ.
- ٤٠- معارج القبول شرح سلم الوصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، ط: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٤١- معاني القرآن للفراء يحيى بن زياد الفراء، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- ٤٢- مقاييس اللغة لابن فارس ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.



السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

مصطلح السلفية

حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح

إعداد

الطالب : فاديغا محمد محمود

في المعهد العالي للقضاء - قسم الفقه المقارن

مرحلة الدكتوراه

السلفية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله فحمده ونستعينه ونستغفره
ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه
اليقين الحمد لله القائل في محكم التنزيل : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الآية. ^(١) والصلاة
والسلام على أصدق القائلين ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة)) ^(٢) وعلى آله وصحبه ومن اقتفى آثارهم إلى يقوم
الناس لرب العالمين.

لقد خلق الله الخلق وفضل بعضهم على بعض فضل الأزمنة بعضها على
بعض ، كذلك شرف الأمكنة بعضها على بعض ، كما ميز بني آدم بعضه على
بعض ، مما لا يشك فيه أحد ولا يماري مرء على أفضلية السلف على الخلف ،
وأنهم أكثر عملا وأقل كلاما بخلاف الخلف ، وأنهم بذلوا الغالي والنفيس من
أجل إيصال هذا الدين إلى الخلف نقيًا صافيًا دون أن يشوبه أية شائبة وكما

(١) الأحزاب/ ٢١

(٢) فتح الباري/ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب قول النبي (ؐ) يسأل مما لم ينزل عليه

الوحي/ ج - ١٣ ص/ ٢٩٢

روي ابن مسعود - رضي الله عنه - ((من كان مستنًا فليستن بالسلف فإن الخلف لا يؤمن عليه الفتن)).^(١)

وأية أمة ترنو وراء المجد ولها طموح الرقي إلى قمم الجبال فلن تحقق هذه الأمنية والوصول إلى هذه الغاية إلا بالاستتار بسير سلفها يقول الإمام مالك - رحمه الله - : ((لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح أولها)) وقد قيل قديما : ((أية أمة لا تاريخ لها فلا مجد لها)) ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - ((من أخذ بالأصل الأول واستقام فيه كما استقاموا فطوبى له)).^(٢)

بدأت بعض المفاهيم الخاطئة حول مفهوم السلفية ، والتصرفات الهمجية من بعض الذين يدعون الانتساب السلفية وناهيك عن وجود بعض الأفكار الهدامة يريدون إلصاقها بالسلفية ؛ لهذا كله أجد الحاجة ملحة إلى عناية بهذا الموضوع ، وإقامة مثل هذه الندوة المباركة ، وإلى توفير الدراسات حول مثل هذه القضية من أجل انجلاء الحق وإبطال الباطل ، وقد قيل : ((يد الحق يصدع رداء الشك)).^(٣)

وددت الاشتراك قاصدا بذلك ابتغاء الله - عز وجل - ، ولأغترف من معين مشايخي والاستفادة منهم ، ومن ثم وقع اختياري على هذا المحور بين المحاور المدروسة ألا وهو : ((مصطلح السلفية حقيقته وارتباطه بالإسلام الصحيح)).

(١) شرح السنة للبغوي/باب رد البدع والأهواء /ج - ١ ص/٢١٤

(٢) الموافقات/ج - ٤ ص/٢٣٩

(٣) المقامات الحريري/ص - ٥٧٤

لقد ارتأيت دراسة هذا الموضوع وفق الخطة الآتية :
مقدمة ، وتمهيد ، وفصل
المقدمة : تشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .
التمهيد : يشتمل على مفردات الموضوع . وفيه مبحثان :
المبحث الأول / تعريف السلفية لغة .
المبحث الثاني / تعريف السلفية اصطلاحاً .
الفصل يحتوي على ثلاثة مباحث :
المبحث الأول / ارتباط السلفية الحقبة بالإسلام الصحيح .
المبحث الثاني / حكم الانتساب إلى السلفية .
المبحث الثالث / السلفية ، وعلاقتها بالجماعات والأحزاب الأخرى
المعاصرة .

التمهيد

وفيه بحثان :

المبحث الأول: تعريف السلفية عند اللغويين:

((سلف))السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك
السلف: الذين مضوا والقوم السلاف: المتقدمون والسلاف: السائل من
عصير العنب قبل أن يعصر.والسلفة: المعجل من الطعام قبل الغداء.^(١)
((سلف)) وقال الليث: الأمم السالفة الماضية أمام الغابرة وتجمع
سوالف.

وأنشد في ذلك:

ولاقت منايها القرون السوالف...^(٢)

سلفية(مفرد):

١ - اسم مؤنث منسوب إلى سلف ٢ - مصدر صناعي من سلف: قدم
وعراقة .

(١) معجم مقاييس اللغة/ج٣/ص٩٥/باب السين واللام والفاء.

(٢) تهذيب اللغة/ج - ١٢ ص٢٩٩/باب السين واللام.

المبحث الثاني: تعريف السلفية عند الشرعيين:

((ماكان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية....)).^(١)

(١) لوامع الأنوار الإهية ج/١ ص ٢٠/ - ٢١

الفصل الأول

السلفية والإسلام الصحيح، والانتساب إليها وعلاقتها بالأحزاب المعاصرة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ارتباط السلفية

الحقة بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/تعريف الإسلام:

لغة: الانقياد وشرعا: استسلام العبد لله ظاهرا وباطنا بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فيشمل الدين كله. ^(١) والدليل على ذلك من الكتاب والسنة:

١- من الكتاب:

قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ^(٢) جاء في تفسير الطبري ((يعني بذلك جل ثناؤه ورصيت لكم الاستسلام لأمري والانقياد لطاعتي، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعامله (دينا) يعني بذلك طاعة منكم لي. ^(٣) وقوله تعالى: (إِنَّ

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية / ج ١ / ص ١٠٧

(٢) المائدة/ ٣

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن/ ج - ٩ / ص - ٥٢٢

الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ^(١) قال الإمام البغوي - رحمه الله - : ((الإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم قال قتادة في قوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أوليائه، ولا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به. ^(٢) وقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الآية. ^(٣)

٢- من السنة:

روى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليه وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا...)) الحديث. ^(٤)

(١) آل عمران/ ١٩

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ ج- ١ / ص- ٤٢١

(٣) آل عمران/ ٨٥

(٤) ابن ماجه / كتاب الإيمان وفضل الصحابة والعلم / باب في الإيمان / ج- ١ / ص- ٢٤ / رقم الحديث - ٦٣ - السنن الكبرى / كتاب الحج / باب إثبات فرض الحج على من استطاع

يقول الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله تعالى - ((والتابعون على منهاج النبوة نسبوا إلى نسبوا إلى سلفهم الصالح...)).^(١)
 ويقول الدكتور با كريم محمد با عبد الله: ((والواقع أننا إذا عرفنا أن أتباع السلف أو السلفية كما يعبر البعض إنما هي دعوة إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلقاه عنه أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم -....)).^(٢)

هذه هي السلفية الحقيقية التي تلقاها السلف الصالح -رضوان الله عليهم- من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن السلفية هو العمل بالكتاب والسنة على ضوء ما علمهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما كان عليه الصحابة الكرام والتابعون وتابع التابعين، وأئمة الدين، ومن اقتفى آثارهم فهو الإسلام الذي جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ويقول الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى- ((والسلفية بهذا المفهوم الصحيح الذي هو العمل بالكتاب والسنة تحول في تاريخ الإنسان من حال الهمجية والفوضى، والضلال إلى حال التهذيب والهدي، والإدراك لمعنى

إليه/ج - ٤/ص - ٥٣٢/رقم الحديث - ٨٦١٠ - مسند الفاروق لابن الأثير/كتاب الإيمان/ج - ٢/ص - ٦٣١/صححه الألباني.

(١) حكم الانتماء/٣٦

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق/ج - ١/ص - ١٠٩

الحق والواجب، والرعاية لحقوق الله، وذلك كله كان بالشرع، فأنحفظت الأديان والدماء والعقل والأنساق والأموال)).^(١)

بعد إثبات بأن السلفية الحقّة هو الشرع الذي أتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أود من خلال هذا أن أورد بعض أوجه الارتباط بينهما؛ ليتجلى مدى صلتها ببعض، وأنهما من نسيج واحد، ومعين واحد وهو الوحي الرباني.

(١) كتاب الاعتصام/ج ١/ص ١١٣

المطلب الثاني : بعض أوجه الارتباط بينهما :

١ - التركيز على الكتاب والسنة في الدعوة ؛ لأنهما أصلين للذين لا يأتيهما الباطل ، وأيضا هما مصدران ربانيان لا يشوبهما أية شائبة ، واتى الأمر الرباني بالرجوع إليهما في قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) ^(١) وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ^(٢) قال الإمام الطبري - رحمه الله - : يعني بذلك جل ثناؤه (٠) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فينما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه ، وأطيعوا رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة ، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته. ^(٣)

والسلف - رضوان الله عليهم - هم الذين عايشوا التنزيل ، وقد أمرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - باتباع طريقتهم ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور...)) ^(٤).

(١) الأحزاب/ ٣٦

(٢) النساء/ ٥٩

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن/ ج - ٨ / ص - ٤٩١

(٤) فتح الباري/ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب قول النبي (ؐ) يسأل مالم ينزل عليه

الوحي/ ج - ١٣ / ص - ٢٩٢.

ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - في هذا السدد: ((فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبنية له فالمتبع للسنة متبع للقرآن. والصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أولى الناس بذلك)).^(١)

٢- العناية بالعقيدة قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً؛ لأن من أجلها خلق الجن والإنس، وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وأيضاً (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) الآية.^(٢) قال شيخ ابن عطية - رحمه الله - ((اختلف الناس في معناه مع إجماع أهل السنة أن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع؛ لأنه لو أراد ذلك لم يصح وقوع المرء بخلاف إرادته، فقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية، فعبر عن ذلك بقوله ليعبدون إذ العبادة هي مضمن الأمر.^(٣)

لقد مكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى ترسيخ هذه العقيدة، وقال عليه الصلاة والسلام في هذا ((أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله...)).^(٤)

٣- نبذ البدعة، الإنكار عليها بأسلوب حكيم؛ لأن تركها وتبصير الناس بحقيقتها والنهي عنها فهذا وحده يتم إحياء الدين الصحيحة ويقضي

(١) كتاب الاعتصام/ج - ٢/ص - ٢٥٢

(٢) الذاريات/٥٦

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ج - ٥/ص - ١٨٢

(٤) البخاري/كتاب الزكاة/باب وجوب الزكاة/ج - ٢/ص - ١٠٥/رقم الحديث - ١٣٩٩

على ما شوهه من الأهواء الباطلة، وعلى رأس ذلك هو أمر رباني؛ لقوله تعالى: (أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) الآية. ^(١) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : ((أي اقتفوا آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - الأُمِّي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شئ ومليكه ولا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره)) ^(٢)

وقوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الآية. ^(٣) قال الطبري يقول - سبحانه وتعالى - : ((لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - قل: يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء على توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاة على طاعة وترك معصيته وطريقتي ودعوتي بذلك يقين وعلم مني به أنا ويدعو إليه على بصيرة من تبعني وصدقني وآمن به.)) ^(٤) ويقول الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : ((يأمرنا الله سبحانه وتعالى بلزوم ما أنزل إلينا وترك البدع والتفرق والاختلاف، ودعوة إلى الله على بصيرة...)). ^(٥)

٤ - التمسك بشعار الإسلام وأحكامه في العمل والسلوك :

(١) الأعراف/ ٣

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ج- ٣/ ص- ٣٨٧

(٣) يوسف/ ١٠٨

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن/ ج- ١٦/ ص- ٢٩١

(٥) بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ ج- ١/ ص- ١٩٨

قال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) الآية. (١)

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ترك الحبل على الغارب يؤدي إلى الفوضى بكل أشكاله الديني والإجتماعي والسياسي والنفسي بالإضافة إلى أن الأمر رباني. قال تعالى: (. وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.) الآية. (٢)

٦- السمع والطاعة لولاة الأمور:

يقول الله - عز وجل - : (...أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..) الآية. (٣) قال الإمام البغوي - رحمه الله - : ((اختلفوا في أولي الأمر قال ابن عباس وجابر - رضي الله عنهم - هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد، ودليله قوله تعالى: (ولو ردهه إلى الرسول وأولي الأمر منكم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - : هم الأمراء والولاة، ودليله قوله - صلى الله عليه وسلم - : من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني)). (٤)

(١) الحج/٤١

(٢) آل عمران/١٠٤

(٣) النساء/٥٩

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ج - ١/ص - ٤٨٦

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - ((...وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم، والرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي...)).^(١)

(١) بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ج - ١/ص - ١٩٩ بتصرف

المبحث الثاني: حكم الانتساب إلى السلفية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول/ حكم الانتساب:

يقول الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله تعالى - ((والتابعون على منهاج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك فقليل ((السلف والسلفيون والنسبة إليهم سلفي بدليل أن هذا اللفظ عند الإِطلاق يعني كل سالك في الاقتداء للصحابة - رضي الله عنهم - حتى ولو كان في عصرنا....)).^(١)

ويقول الدكتور غالب بن علي عواجي ((...ومذهب السلف والانتساب إليه أمر لا غبار ولا اعتراض عليه وأنه لا يحق لأحد الانتساب إليه إلا إذا كان متبعا قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً كما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، وأما من حاد عنهم إلى كلام الفلاسفة، وعلماء الكلام، وإلى اتباع العقل دون الالتفات إلى النصوص فهو ليس على طريقتهم وإن انتسب إليهم...)).^(٢)

ويقول الدكتور محمد باكريم محمد باعبد الله: ((والواقع أننا إذا عرفنا أن اتباع السلف أو السلفية كما يعبر البعض.... فلاشك أن هذه الدعوة حق والانتساب إليها حق فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حينئذ... وهو قول أكثر الأئمة مثل: الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة والإمام أبو بكر محمد بن الحسن الآجري والإمام أبو

(١) حكم الانتماء/ص - ٣٦

(٢) فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها/ج - ١/ص - ١٠٧

القاسم هبة الله بن الحسن اللاكائي والإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ محمد بن عبد الوهاب وكثير من العلماء المعاصرين مثل: الشيخ عبد العزيز ابن باز والشيخ محمد ابن عثمين والشيخ الألباني - رحم الله الجميع - (...)).^(١)

المطلب الثاني: الأدلة على ذلك من الكتاب كثيرة منها:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)الآية.^(٢)

وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)الآية.^(٣)

قال الإمام البغوي: ((والمعنى أن يريد غير ما أراد الله، أو يمتنع مما أمره الله ورسوله...)).^(٤)

وقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)الآية.^(٥)

(١) وسطية أهل السنة بين الفرق /ج- ١/ ص- ١٠٩ بتصرف.

(٢) النساء/ ٥٩

(٣) الأحزاب/ ٣٦

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ج- ٣/ ص- ٥٤١

(٥) آل عمران/ ٣١

ويقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من إدعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)).^(١)

وجه الاستدلال من هذه الآيات: هذا أمر من الله - عز وجل - للمؤمنين والمؤمنات بالرجوع إلى كتابه وسنة رسوله في أمور الدين كله وهو منهج السلف الصالح - رضي الله عنهم - فكان الانتساب إلى منهجهم لازماً.

المطلب الثالث: من الأدلة على ذلك من السنة:

قوله - صلى الله عليه وسلم - ((..ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي...)) الحديث.^(٢)

وقوله - صلى الله عليه وسلم - ((..عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ...)) الحديث.^(٣)

(١) تفسير القرآن العظيم/ج - ٢/ص - ٣٢

(٢) سنن الترمذي/باب ماجاء في افتراق الأمة/ج - ٥/ص - ٢٦/رقم الحديث - ٢٦٤١
هذا حديث مفسر غريب لانعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه - وجاء في تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج/بلب الحادي والستون/ج - ١/ص - ٧٠ هذا سند واه كثير ضعفه، وعن عبد الله بن يزيد بن آدم قال أحمد: أحاديثه موضوع.

(٣) سبق تخريجه

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)) الحديث. ^(١)

هذه الأحاديث بمجموعها تدل دلالة واضحة على وجوب إتباع سنته - صلى الله عليه وسلم - وسنة خلفائه ، والاقتداء بهدي أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وتلك طريقة السلف الصالح ؛ فجاز الانتساب إليهم.

المطلب الرابع : من الآثار الدالة عليه :

قول ابن مسعود - رضي الله عنه - ((من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبته لإقامة دينه وعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)). ^(٢)

بعد إيراد وسرد هذه الأدلة وأقوال بعض العلماء يتبين لي أن السلفية ليست حزبا ولا جماعة ، ولا تعلقا بقوال متحجرة ، بل هي منهج حياة وفكر وعمل على نهج النبوة والسلف الصالح ؛ ولذا كان شعار السلف العمل ، وليس بحفظ الأقوال ، ولا بكثرة الرواية ، بالدليل أن عمر - رضي الله عنه قرأ قوله تعالى : (وفاكهة وأبا) الآية. فتسأل : هذه الفاكهة فما الأب ، ثم استدرك فقال : ما أمرنا بهذا.

(١) جامع العلم وفضله / باب ذكر الدليل من أقاويل السلف... / ج - ٢ / ص -

٩٢٣ ضعيف ؛ لوجود عبد الرحيم بن زيد والكلام منكرو فيه مجهول.

(٢) شرح السنة للبغوي / باب رد البدع والأهواء / ج - ١ / ص - ٢١٤

المبحث الثالث: السلفية وعلاقتها بالجماعات والأحزاب المعاصرة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/ حكم الولاء في الإسلام:

الواجب على كل مسلم أن يعطي ولاءه لله ورسوله والمؤمنين بهذا الدين وهذه الصفة الأولى للمؤمنين قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(١) فلا ولاء في الإسلام إلا على أساس الإسلام والدين ومنطلقاته النظرية والعلمية، وعليه فإن مبدأ انطلاق العلاقة عند السلفية بهذه الجماعات والأحزاب الأخرى، تنبني على عقيدة السلف - رحمهم الله - في العمل بالكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح، فإن كانوا كذلك فهم إخوان، فالواجب عليهم جميعاً مناصحة بعضهم لبعض، وتواصي على الحق؛ لقوله تعالى: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ^(٢) وأما إذا لم تلکم الجماعات والأحزاب مؤمنة بالله ورسوله ودين الإسلام، فالواجب هي دعوتهن إلى الإسلام، وبيان حقيقته لهن بأسلوب حكيم؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ^(٣) ولقوله: (ادْعُ إِلَى

(١) التوبة/ ٧١

(٢) العصر/ ١ - ٣

(٣) المائدة/ ٦٧

سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١).

المطلب الثاني: أبرز مقومات ذلك المنهج السلفي العظيم في التعامل مع

المخالف:

- ١ - الرسوخ في العلم فإنصاف المتعلمين يفسدون أكثر مما يصلحون.
- ٢ - تحرير محل النزاع و الابتعاد عن الإجمال و الإبهام والتهويز على المخالف.
- ٣ - العدل في الحكم على المخالف ولو جار عليك وظلمك قال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَنَا حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(٢)) هذا مع أهل الملل فما بالك مع الفصائل الإسلامية الدعوية.
- ٤ - حسن الظن بالداعية المسلم وحمل كلامه على ما أراد لا على ما تريد أنت من التشنيع عليه، وتحمل كلامه ما لا يحتمل كلامه.
- ٥ - الحرص على أن يكون القصد من الحوار جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم...

(١) النحل/١٢٥

(٢) الشورى/١٥

٦- المحافظة على بقاء الولاء والمناصرة، وألا تجعل الردود على المخالف وسيلة للقضاء على هذا الأصل العظيم؛ لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغُضُّهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ).^(١)

٧- الشهادة والاعتراف بما أحسن فيه المخالف وأجاد، ووافق الحق فيه؛ لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...) ^(٢) ولا نتعامل مع بعضنا بالبداية اليهودي والنصراني الذي حكاها القرآن الكريم قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).^(٣)

(١) الأنفال/ ٧٢

(٢) البقرة/ ١٤٣

(٣) البقرة/ ١١٢

الخاتمة

لقد توصلت إلى النتائج التالية :

١ - السلفية لغة : هم القوم المتقدمون ، وشرعا : التابعون على منهج النبوة...

٢ - السلفية الصحيحة : هي الدعوة إلى الإسلام الحق ، وإلى السنة المحضة ، والعودة إلى الإسلام كما أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٣ - حكم الانتساب إلى السلفية : لا بأس ولا ضير في الانتساب إلى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، والاعتزاء إليهم ؛ إذا كان سائرا على منهجهم ؛ لأن هذه الدعوة حق .

٤ - السلفية وعلاقتها بالجماعات ، والأحزاب المعاصرة :

تمر تلك العلاقة عبر القنوات التالية :

١ - مولاة كل مؤمن ومؤمنة بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ودين الحق وحبه وبغضه فيه ، ومناصحة بعضهم لبعض ؛ لسير على الطريق المستقيم .

٢ - هداية وإرشاد غير المؤمنين بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ودين الإسلام ؛ لإنقاذهم من النار .

٣ - ويتم تعزيز تلك العلاقة عبر ممارسة المقومات الأساسية لمنهج السلفي مع المخالف .

وصلى الله على محمد ، وآله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاعتصام/ المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي/
- تحقيق/سليم بن عبد الهلال/الناشر/دار ابن عفان - السعودية. ط- ١
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية الأندلسي/ تحقيق: عبد السلام بن عبد الشافي محمد/ الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/ ط- ١
- الموافقات/ المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي/ تقديم: د- بكر بن عبد الله أبو زيد/ الناشر: وكالة شؤون المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب/ الناشر: مطبعة جامعة الإمام/ ط- ١
- تفسير القرآن العظيم/ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي/ تحقيق: سامي بن محمد سلامة/ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط- ١
- تهذيب اللغة/ المؤلف: محمد بن أحمد الأزهرى/ تحقيق/ محمد عوض مرعب/ الناشر: دار إحياء التراث العربي. ط- ١
- جامع بيان العلم وفضله/ المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي/ تحقيق: أبي الأشبال الزهيري/ الناشر: دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية ط- ١
- جامع البيان في تأويل القرآن/ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري/ تحقيق: أحمد محمد شاكر/ الناشر: مؤسسة الرسالة ط- ١
- حكم الانتماء/ المؤلف: د- بكر بن عبد الله أبو زيد/ الناشر: دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية الرياض.
- سنن ابن ماجه/ المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله بن يزيد القزويني/ تحقيق: فؤاد عبد الباقي/ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي/ المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك

- الترمذي/تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة/الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر/ط - ١
- شرح السنة/المؤلف: محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي/تحقيق: شعيب الأرناؤوط/الناشر: دار الفكر عام/١٢٩٩هـ - ١٩٧٩م
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية/المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين/الناشر: دار الوطن للنشر - الرياض.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري/المؤلف: زين الدين عبد الرحمان أحمد بن رجب/تحقيق: محمود شعبان بن المقصود مجدي بن عبد الخالق الشافعي..../الناشر: مكتبة الأثرية المدينة المنورة/ط - ١
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها/المؤلف: د- أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة/الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر/ط - ٢
- معالم التنزيل في تفسير القرآن/المؤلف: محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي/تحقيق: عبد الرزاق المهدي/الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت/ط - ١
- معجم مقاييس اللغة/المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء/تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون/الناشر: دار الفكر عام/١٢٩٩م - ١٩٧٩م
- معجم اللغة العربية المعاصرة/المؤلف: د- أحمد مختار عبد الحميد عمر/الناشر: عالم الكتب/ط - ١
- لوامع الأنوار البهية، وصوامع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية/المؤلف: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد سالم السفاريني/الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق/ط - ٢
- وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة الدكتوراه)/المؤلف: محمد باكريم محمد باعبد الله/الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع/ط - ١



بحوث المحور الثاني

الشافعية



المنهج السلفي في الجماعة والإمامة وأثره على واقع المملكة العربية السعودية

تأليف وإعداد

أ. د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

رئيس المجلس التنفيذي لاتحاد جامعات العالم الإسلامي

الشيعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ، والعالم عامة والعرب خاصة يعيشون في جاهلية جهلاء وعصبية بغیضة ، فبعث الله رسوله وأخرجهم به من الظلمات إلى النور . قال سبحانه وتعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطُّعُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(١) .

ولقد كانت الإمامة والجماعة واضحتي المعالم ، بينتي المنهج ، قويتي البنيان ، مهابتي الجانب متينتي الأسس في صدر الإسلام ، ثم وقع فيهما الانحراف ، عبر جماعات متطرفة غالية ، كان شرارتها وبدائتها فكر الخوارج ، واستمر الأمر على ذلك حتى عصرنا الحاضر ، الذي تفاعلت فيه الاتجاهات وتضاربت فيه التيارات وتصارعت فيه الجماعات بصورة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً ، ورغم هذا وذاك إلا أن الله جل وعلا بفضلله ومنته هياً لنا ولاية راشدة وأقام دولة عزيزة فتية قوية مهابة الجانب هي المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين وقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم تمثل الدولة الإسلامية الحقيقية المنطلقة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف هذه الأمة بطريقة لا يعرف لها نظيراً في عالمنا المعاصر ورغم ذلك لم تسلم من حسد الحاسدين وحقد الحاقدين وفكر دعاة السوء وأرباب الضلال والفتنة

(١) سورة البقرة : ٢٥٧ .

الذين حاولوا ويحاولون جاهدين وبكل وسيلة وأسلوب ومنهج وطريقة النيل من جماعتها وألفتها وإمامتها والمتمثلة بولاية أمرها وحكامها الأماجد الأفاضل. وقد من الله عليّ و وفقني أن أكتب في أماكن متعددة وأزمنة مختلفة عن دعوة الإسلام إلى الاجتماع والجماعة وتحذيره من الخلاف والفرقة ، وما يجب لولاية الأمر من الحقوق وما عليهم من الواجبات مستمداً ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وما نقل عن التابعين وعلماء الأمة ، ثم نظمتها وجمعتها في كتاب أسميته : (مفهوم الجماعة والإمامة ووجوب لزومهما وحرمة الخروج عليهما في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح) وذلك بياناً للحق والحقيقة في هاتين المسألتين المهمتين ، ورداً على أهل الأهواء والتأويل والشبهة.

ثم شرفت هذه الجامعة العريقة جامعة المؤسس الأول لدولة السنة وحامية منهج السلف المملكة العربية السعودية بالموافقة السامية على إقامة الندوة المباركة "السلفية منهج شرعي ومطلب وطني" فلم يكن لي أن أتأخر عن المشاركة فيها ، وهي الندوة العلمية التي تؤصل لهذا الأصل العظيم ، وتبرز الركائز والمعالم والأسس السلفية التي تقوم عليها دولتنا المباركة ووطننا الحبيب المملكة العربية السعودية ، وتجب عن شبه المعارضين والمناوئين ، وتميز المنهج في صورته الحقّة ، وتنفي عنه دخن الملبسين ، وشبه المتطرفين ، وتأويل الغالين ، وقد وقع اختياري على ما يبرز البعد الشرعي والوطني في صورة الجماعة القائمة والمتمثلة في ولاية أمرنا الأماجد وشعبهم الوفي ورأيت أن يكون عنوانه "المنهج السلفي في الجماعة والإمامة وأثره على واقع المملكة العربية السعودية". سائلاً الله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه ، وأن ينفع

بها، ويجعلنا ممن لزموا جماعة المسلمين، وسمعوا وأطاعوا لولاة أمرهم
بالمعروف، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، ويجعل علمنا وعملا
خالصاً له سبحانه، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق، وصلى الله وسلم على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أ.د. سليمان بن عبدالله بن حمود أبا الخيل

المبحث الأول

مفهوم الجماعة ووجوب لزومها وحرمة الخروج عليها

المراد الشرعي بالجماعة:

قيل: هم القوم الذي يجتمعون على الاستمسك بالكتاب والسنة، ويؤثرون كلام الله تعالى على كلام كل أحد ويقدمون هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد.

وقيل: هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير يسمع له ويطاع.

مفهوم الجماعة:

الجماعة في الإسلام تطلق على مفهومين:

الجماعة الصغرى: جماعة الصلاة، وهي تتألف من إمام ومأمومين مأمورين باتباع الإمام ومتابعته قال رسول الله ﷺ، "إنما جعل الإمام ليؤتم به.." ^(١) كما يتحمل عنهم القراءة، لقوله ﷺ "من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة" ^(٢) ولذلك فإنهم يتبعونه في كل شيء، وهذه الجماعة دليل وتوجيه على الإمامة الكبرى، وتربية شرعية على لزومها، وطاعة ولي الأمر فيها، والالتزام بكل واجباتها.

الجماعة الكبرى:

هي التي ينتظم فيها أفراد الأمة إذا كانت مجتمعة، أو أفراد البلد الواحد فيما سوى ذلك، وهم مأمورون بالقيام بحقوقها وأداء واجباتها والانتظام فيها.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إيجاب التكبير، وافتتاح الصلاة رقم الحديث (٧٣٤) ومسلم، كتاب الصلاة، باب أتمام المأموم بالإمام، رقم الحديث (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب إذا قرأ الإمام فانصتوا، رقم الحديث (٨٥٠) وأحمد في المسند (٣/٣٢٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

أهمية الجماعة وضرورتها :

الجماعة ضرورة متحتمة ؛ لأن الإنسان يوصف بالحرث ، وله إرادة ، ويجب ويغض ، وهذه الأمور لا يحققها الإنسان لوحده بل لا بد له ممن يعينه عليها ، وهذه الجماعة لا بد لها من دين ونظام تجتمع عليه ، ولا بد أيضاً من وجود من يسير هذا النظام وهو ولي الأمر. والناس لا يستقلون بجلب منفعة ما يحتاجون إليه أو دفع مضرته ، وهذا دينهم العام الذي يشتركون فيه ، وأما اختصاص كل واحد منهم بمحبة ما يأكله ويشربه فهم يشتركون في نوعه لا في شخصه ، ولذا فإن الأمور التي يحتاجونها لا بد أن يوجبوها على أنفسهم إن كانت نافعة ومحقة لمصلحتهم أو يحرموها إن كانت ضارة ، وهذا هو دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم على ذلك وهو التعاقد والتعاهد. وهذا قد يكون ديناً باطلاً فاسداً عند رجحان المفسدة ، وقد يكون حقاً عند رجحان المنفعة.

وهذا الاجتماع لا يكون إلا باجتماعهم على أمير لهم يسمعون له ويطيعون ، وتكون له الغلبة والسلطة عليهم حتى يدفع بعضهم عن بعض ، فلا يضر أحدهم غيره بعدوانه.

الجماعة حفاظ على الهوية :

فمبدأ وجود الجماعة يدل على وجود الهوية الإسلامية ، وفقدتها فقد للهوية ، بل إن الإسلام لا يوجد إلا بالمجتمع المسلم ، ولا مجتمع إلا بالجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بطاعة.

قال عمر - رضي الله عنه - : "إنه لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمارة إلا بطاعة".^(١)

(١) أخرجه الدرامي في سننه ، (٩١/١).

أساس الجماعة:

أساس الجماعة وأصل الائتلاف المانع من الوقوع في إرهاب الفتن هو التوحيد وإخلاص العبادة لله المؤدي إلى تطبيق شريعة الله.

حكم لزوم جماعة المسلمين:

واجب شرعي دل عليه الكتاب والسنة والعقل.

حكم الخروج على جماعة المسلمين:

يحرم الخروج على جماعة المسلمين لأي سبب من الأسباب وبأي وسيلة من الوسائل قولية أو فعلية، لأن في ذلك تفريقاً وتمزيقاً للأمة والمجتمع ومخالفة صريحة للكتاب والسنة.

الأدلة على وجوب لزوم الجماعة وحرمة الخروج عليها من القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.." ^(١) فقوله "بحبل الله" فسر (الحبل) بالجماعة، وقد جاء في حديث افتراق الأمة: "وما هذه الواحدة؟ فقبض رسول الله ﷺ يده وقال: الجماعة وقرأ الآية" ^(٢).

وقوله "ولا تفرقوا" أي التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف كالاتفاق بالفتن وفي العقائد.

٢ - قوله تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين.." ^(٣).

٣ - قوله تعالى: "ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.." ^(٤).

(١) آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) سيأتي تحريجه ص ١٢.

(٣) سورة النساء: ١١٥.

(٤) سورة الروم ٣٠ - ٣٢.

٤ - قوله تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء" (١).

٥ - قوله تعالى: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.." (٢).

٦ - مخاطبة الله للمؤمنين بلفظ الجمع "يا أيها الذين آمنوا" (٣).

الأدلة من السنة النبوية:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أهل الكتاب تفرقوا قبلكم على اثنين وسبعين فرقة في الأهواء وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة" (٤) وفسرها صلى الله عليه وسلم بقوله: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي" (٥).

٢ - حديث حذيفة - رضي الله عنه - : "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)). فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: ((نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ)). قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: ((قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)). فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)).

(١) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٠٢.

(٤) أخرجه أحمد في "المسند" (١٠٢/٣)، وأبو داود في "سنن" كتاب السنن، باب شرح السنة، رقم الحديث (٤٥٩٧)، وأبي عاصم في السنن (٧/١)، وصححه الشيخ الألباني في "ظلال المبني في تخريج السنة" والحاكم المستدرک: (٢١٨/١).

(٥) أخرجه الترمذي في سنن، كتاب الإيمان، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث (٢٦٤١)، والحاكم المستدرک: (٢١٨/١) من حديث عبدالله بن عمرو والضبراني في "المعجم الصغير" (٢٩/٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: ((نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)). قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)). فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعُضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يَدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ^(١))).

وقفات مع هذا الحديث:

- جواز سؤال الإنسان عما يخافه من الشر والفتنة وذلك لعدم الوقوع فيها.
- جواز اعتراف الإنسان بما كان عليه من الخطأ والجهل، وهذا دليل على حكمته وكياسته وفطنته وحرصه على الحق والعمل به.
- أن الإسلام دين هداية وخير وفلاح "فجاءنا الله بهذا الخير".
- أن الخير والشر يتصارعان ويتجاذبان، فكل منهما يحاول كسب الأطراف، ولكن كما قيل: الحق أبلج والباطل للجلج.
- أن أول هذه الأمة خير من آخرها.
- أن الشر يتمثل في وجود دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها، والواقع يصدق ذلك، وما أكثرهم في زماننا هذا؟ دعاة غلو وإفراط، ودعاة جفاء وتفريط.
- وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند ظهور هؤلاء الدعاة الواقفين على أبواب جهنم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦٠٦)، ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمه جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٧).

- إن لم يكن ثم جماعة ولا إمام فيجب اعتزال هذه الجماعات المخالفة للكتاب والسنة والحذر من دعاة جهنم.
- أن هذه العزلة ليس هذا زمانها فجماعة المسلمين قائمة وإمامهم قائم في المملكة العربية السعودية.
- ٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية" (١).
- ٤- قوله صلى الله عليه وسلم: "من نزع يداً من طاعة لم تكن له حجة يوم القيامة ومن مات مفارقاً للجماعة فإنه يموت موت الجاهلية" (٢).
- ٥- قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" (٣).
- ٦- قوله صلى الله عليه وسلم: "إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" (٤).
- ٧- قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: فيرضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "سترون بعدي أمور تنكرونها" رقم الحديث (٧٠٥٤)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٩).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٥٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (١٨٠/٥)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، رقم الحديث (٤٧٥٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمامة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم الحديث (١٨٥٢).

- بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال" ^(١) وزاد أحمد: "وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم".
- ٨- قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث خصال لا يغفل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" ^(٢). قال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : "لم يقع خلل في دين الناس وديانهم إلا بالإخلال بهذه الثلاث أو بعضها".
- ٩- قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث وذكر منها التارك لدينه المفارق للجماعة" ^(٣).
- ١٠- قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية.. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لذي عهد عهده فليس مني ولست منه" ^(٤).

(١) أخرجه مالك في "الموطأ" (٩٩٠/٢)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٢)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن صنع وهات، رقم الحديث (١٧١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٨٣/٥)، والترمذي في "سنن"، كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث (٢٦٥٨)، من حديث ابن مسعود، وابن ماجه في "سننه"، المقدمة، باب من بلغ علماً، رقم الحديث (٢٣٠)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى (أن النفس بالنفس والعين بالعين)، رقم الحديث (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح من دم المسلم، رقم الحديث (١٦٧٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، رقم الحديث (١٨٤٨).

- ١١ - قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تسأل عنهم وذكر منهم: "رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً.." (١).
- ١٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقي الله عز وجل ولا وجه له عنده" (٢).
- ١٣ - قوله صلى الله عليه وسلم: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب" (٣).
- ١٤ - قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فيأكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد" (٤).

الأدلة من الآثار:

- ١ - قال عمر - رضي الله عنه - : "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة" (٥).
- ٢ - وقال الأوزاعي رحمه الله : "كان يقال : خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان : لزوم

(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١٩/٦)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٠٧/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٣٨٧/٥)، والحاكم في "المستدرک" (١١٩/١)، = وقال: ((هذا حديث صحيح)) ووافقة الذهبي في "التلخيص": انظر: "تلخيص المستدرک" (١٦٩/١) وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": "رواه أحمد، ورجاله ثقات".

(٣) أخرجه الإمام أحمد في "مسند" (٣٧٥، ٢٧٨/٤) والشهاب في "مسند" (٤٣/١) وابن أبي النسب في كتاب "الشكل"، ص ٢٥ من حديث النعمان ابن بشير.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في "مسند" (٢٤٣، ٢٣٢/٥) والطبراني في "المعجم الكبير" (١٦٤/٢٠).

(٥) أخرجه الترمذي في ، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٥) مرفوعاً، وصححه الألباني في "صحح الجامع" برقم (١٧٥٨).

الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد"^(١).

٣- أجب ابن عمر - رضي الله عنهما - على رجل كتب إليه يسأله عن العلم قائلاً: "إنك كتبت إلي تسألني عن العلم، والعلم أكبر من أن أكتب به إليك، ولكن إن استطعت أن تلقى الله وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لجماعتهم فافعل"^(٢).

٤- وقال نعيم بن حماد - رحمه الله - : "إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة"^(٣).

الدليل العقلي:

يدل العقل السليم على أن الجماعة حق، والفرقة زيغ، وأن الجماعة أمر ضروري لازم لأي أمة؛ لأن الإنسان مهما أعطي من قوة لا يمكن أن يعيش وحده ويحقق مصالحه الدينية والدنيوية بأي حال وأي مكان إلا بوجود جماعة يسند بعضهم بعضاً.

ويكون لزوم الجماعة بأمرين:

- ١- بالاجتماع على دين الله عقيدة ومنهجاً وعملاً وسلوكاً على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.
- ٢- بلزوم إمام المسلمين، وبذل حقوقه، وعدم نكث البيعة فضلاً عن الخروج عليه، فكل داعية بدعة أو خارج على الجماعة فهو منابذ لها واقع في الفتن.

(١) أخرجه اللالكائي في "السنن" (٦٤/١).

(٢) أخرجه ابن عساکر في "تاريخ مدينة دمشق" (٢٥٦/٥٢)، (١٧٠/٣١).

(٣) أخرجه ابن عساکر في "تاريخ مدينة دمشق" (٤٠٩/٤٦).

المبحث الثاني

مفهوم الإمامة ووجوب لزومها وحرمة الخروج عليها

الإمامة: هي حراسة الدين وسياسة الدنيا به.^(١)

أنواعها:

الإمامة الصغرى: وهي إمامة الصلاة، وهي دليل على الإمامة الكبرى وتربية عليها وتوجيه لها.

الإمامة الكبرى: وهي الإمامة التي يوصف بها ولي أمر المسلمين أو الحاكم أو الأمير.

مكائنها في الدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للعالم إلا بها .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"^(٢) فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض تنبيهها بذلك على سائر أنواع الاجتماع".

وقال أيضاً - رحمه الله - : روي: (ستون عاماً بإمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام) والتجربة تبين ذلك.

وحكى ابن حزم - رحمه الله - اتفاق جميع أهل السنة والمرجئة والشيعية والخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب على القوم يسافرون يؤمرون أحدكم رقم حديث أبي سعيد الخدري (٢٦٠٨)، ورقم حديث أبي هريرة (٢٦٠٩).

طرق ثبوت الإمامة :

أولاً: الاختيار:

والذي يقوم به هم أهل الحل والعقد، وهم العلماء والرؤساء ووجهاء الناس^(١)، وهي الطريقة التي تمت بها تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقصة توليته مشهورة ولها صورتان :

١ - تعدد من اجتمعت فيه شروط الإمامة : فيختار أهل الحل والعقد واحداً منهم يقوم بالأمر كما حصل في بيعة أبي بكر رضي الله عنه، فكانت البيعة الخاصة لما بايعه عمر رضي الله عنه وأهل الحل والعقد وكانت البيعة العامة على المنبر.

فوائد من البيعة العامة في قصة أبي بكر :

- أنه لا يشترط الاجتماع التام على اختيار خليفة، فلا تضر مخالفة بعض القوم كمخالفة سعد بن عباد رضي الله عنه.
- أن البيعة تتم من قبل أهل الحل والعقد أولاً ثم تتم البيعة العامة.
- ٢ - اتحاد من اجتمعت فيه شروط الإمامة : وقد اختلف على قولين في انعقاد الإمامة له دون بيعة.^(٢)

ثانياً: العهد أو الاستخلاف:

وهو اختيار الإمام عند شعوره بقرب أجله أو لأي سبب شخصاً يراه أهلاً للخلافة والإمامة يعهد إليه بذلك من بعده، وقد حكى الإجماع على جواز الإمامة بعهد من قبله لأمرين :

- أن أبا بكر - رضي الله عنه - عهد بها إلى عمر رضي الله عنه.
- أن عمر - رضي الله عنه - عهد بها إلى أهل الشورى - رضي الله عنهم جميعاً - .

(١) أنظر "الأحكام السلطانية" للمارودي، ص ٧، و"مآثر الأنافة" (٣٩/١).

(٢) انظر "مآثر الأنافة" (٤٧/١).

ولها صورتان :

- ١ - أن يتحدد المعهود إليه بأن يعهد إلى واحد فقط ، كما فعل أبو بكر - رضي الله عنه -
- ٢ - أن يتعدد المعهود إليه بأن يكون اثنين فأكثر وهو على ضربين :
- أن يجعلها شورى بينهم لا يقوم فيها أحد على الآخر فيختارون من بينهم إماماً .
- أن يرتب الخلافة فيهم فيقول الخليفة بعدي فلان فإذا مات فلان كما رتب النبي - صلى الله عليه وسلم - أمراء الجيش في مؤتة .^(١)

ثالثاً : القهر والاستيلاء والغلبة :

وذلك إذا تصدى للإمامة من غير عهد ولا بيعة فتعقد له الإمامة إذا استتب له الأمر وإن لم يكن جامعاً لشرائط الإمامة بأن كان فاسقاً أو جاهلاً ليتنظم شمل الأمة .^(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فمتى صار قادراً على سياستهم ، إما بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله".^(٣)

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : "الأئمة مجتمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا ؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم".^(٤)

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" ، كتاب المغازي ، باب غزوه مواته من أرض الشام ، رقم الحديث (٤٢٦١).

(٢) أنظر "الأحكام السلطانية" ص ١٢٣ ، "مآثر الأئمة" (٥٨/١) ، "تحرير الأحكام" ص ٥٥ .

(٣) "منهاج السنن" (١٤٢/١) .

(٤) "الدرر السنية" (٢٣٩/٧) .

البيعة:

البيعة لغة: المبايعة والطاعة والمعاقدة والمعاهدة^(١). وذلك كأن الشخص يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر في المنشط والمكروه.

ولابد منها لتنصيب الإمام من قبل أهل الحل والعقد ثم المسلمين عموماً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوه عنق الآخر".^(٢)

تحذير الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - من التهاون في البيعة:

فقد سئل الشيخ - رحمه الله - عن بعض الناس الذين يقولون: إن البيعة للإمام الأعظم فقط وأنا لم أبايع وأن البيعة للملك وليست لإخوته فقال:

الرد على القول بأنها للإمام الأعظم فقط: لاشك أنا هذا خطأ، وإذا مات فإنه يموت مودة جاهلية؛ لأنه ليس في رقبته بيعة لأحد، فمن كان ولياً الأمر في منطقة فهو ولي أمرها، ولو قلنا بغير ذلك لقلنا بأن الناس ليس لهم خليفة وكلهم يموت مودة جاهلية وهذا ضلال، فالأمة تفرقت من عهد الصحابة فكان ابن الزبير في مكة وبنو أمية في الشام، وما زال المسلمون يعتقدون أن البيعة لمن له السلطة في المكان الذي هم فيه ولا أحد ينكر ذلك، فالقائل بهذا القول "شاق لعصا المسلمين من جهة عدم التزامه بالبيعة، ومن جهة أنه خالف إجماع المسلمين من عهد قديم".

وأما قوله بأنه لم يبايع: فهذه دعوى جاهل، فإن الصحابة بايعوا أبا بكر عن طريق أهل الحل والعقد وليس عن طريق كل شخص، ثم أكد الشيخ رحمه

(١) "لسان العرب"، مادة "بيع" (٢٦/٨).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإمامة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، برقم (١٨٤٤).

الله أنه بايع الملك خالد -رحمه الله- وبايع الملك فهد -رحمه الله- ولياً للعهد.

وقوله بأنه ما بايع لإخوة الملك : فيجاب عنه بأنه إذا بويع الإنسان بالإمرة على بلد ما ثم جعل له ولي عهد فإنه هو ولي عهده من بعده فإذا انتهت ولاية الأول صار الثاني ولي أمر دون مبايعة وإلا صارت فوضى.^(١)

علاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم:

علاقة الحاكم بالمحكوم:

على الحاكم أن يراعي أحوال رعيته ، وأن يبذل قصارى جهده لتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية ويرحمهم ويحبهم ويخالطهم ويعاشرهم ويتفقد أمورهم.

علاقة المحكوم بالحاكم:

يجب على المحكوم الطاعة للحاكم في غير معصية ، وتعظيم ولي الأمر واحترامه ، وأن تكون المحبة والولاء والثقة هي أساس العلاقة فيما بينهم.

حقوق وواجبات الحاكم على الأمة:

١ - بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً يقول الله -تعالى- "يأيها الناس أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"^(٢)، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - "السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية"^(٣).

(١) قال الماوردي في "الأحكام السلطانية"، ص ٨ : - (وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته).

(٢) (سورة النساء: ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية رقم الحديث (٧١٤٤) ومسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب طاعة الأمراء مع غير معصية وتحريمها في المعصية رقم الحديث (١٨٣٩).

- ٢- بذل النصيحة له سراً وعلانية لقوله صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة ثلاثاً قيل لمن يا رسول الله : قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".^(١)
- ٣- نصرتهم ظاهراً وباطناً.
- ٤- معرفة عظم حقهم ، فيعامله بما يجب له من الاحترام والإكرام
- ٥- إيقاظه عند غفلته وإرشاده عند هفوته.
- ٦- تحذيره من عدو يقصده بسوء.
- ٧- إعلامه بسير عماله الذين هو مطالب بهم.
- ٨- إعانته على ما تحمل من أعباء مصالح الأمة.
- ٩- رد القلوب النافرة عنه إليه وجمع محبة الناس عليه.
- ١٠- الذب عنه بالقول والفعل والمال والنفس والأهل ظاهراً وباطناً سراً وعلانية.^(٢)

حقوق الأمة على الإمام :

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سبعة يظلهم الله في ظله" وذكر منهم "إمام عادل"^(٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم "إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".^(٤)
- ١- الحقوق والواجبات الأساسية :
- السعي إلى تحقيق مصالح الإمامة "إقامة الدين وسياسة الدنيا به".

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة رقم الحديث (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(٢) "تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام" لابن جماعة، ص (٦١ - ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، رقم الحديث (٦٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإمارة، باب كراهه الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث (١٨٢٥).

المقصد الأول: إقامة الدين: وتتمثل في :

أولاً: حفظه: ويكون بالتالي:

١ - نشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان.

٢ - دفع الشبه والبدع والأباطيل ومحاربتها.

٣ - حماية البيضة وتحصين الثغور.

ثانياً: تنفيذ الدين: عن طريق عدة أمور كذلك، منها:

١ - إقامة الشرائع والحدود وتنفيذ الأحكام:

من جباية الزكاة، وتقسيم الفيء، وتنظيم الجيوش، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وإقامة الحدود والتعزيزات.

٢ - حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب:

المقصد الثاني: سياسة الدنيا بالدين:

والمراد به إدارة وتدبير جميع شؤون الحياة وفقاً لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقاً لقواعد الاجتهاد السليم، وينتج عنه مقاصد فرعية:

١ - القيام بحقوق العباد على اختلاف درجاتهم.

٢ - جمع الكلمة وعدم الفرقة.

٣ - عمارة الأرض لصالح الإسلام والمسلمين.

ب- الحقوق والواجبات الفرعية:

وهي من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به، مثل:

١ - استيفاء الحقوق المالية لبيت المال.

٢ - الاهتمام بأهل الحق والعدل المتبعين للكتاب والسنة على فهم السلف

المبتعدين عن الفتن وإثارة الناس ونشر الفرقة.

٣ - الإشراف على تدبير الأمور وتفقد الرعية.

٤ - الرفق بالرعية والنصح لهم.

٥ - القدوة الحسنة.

المبحث الثالث

منهج السلف الصالح في معاملة ولاية الأمور

إن الطرق والمناهج والأساليب الجديدة والتي اتخذها بعض الناس والجماعات المعاصرة لحل المخالفات الموجودة في المجتمعات بعيدة كل البعد عن منهج السلف الصالح وإذا أخذنا ما جاء في الكتاب والسنة تبين لنا بوضوح كيفية معاملة الحكام فقد ثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان".^(١)

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يسمي المأمون أمير المؤمنين ويدعوله رغم ما حصل له منه من السجن والتعذيب، وكذلك تعامل الصحابة كأئس وابن عمر رضي الله عنهما مع الحجاج حيث كانوا يصلون خلفه ولا ينادونه ولا يؤلبون الناس عليه، وكذلك فعل التابعون والعلماء المحققون من بعدهم.

احكام أوامر ولاية الأمور:

قال الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - أحكام أوامر ولاية الأمر على أربعة أقسام هي:

الأول: ما لا تجوز طاعتهم فيه، وهو المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم "إنما الطاعة في المعروف"^(٢)

الثاني: الأمر بما أمر الله به ورسوله من الواجبات فتجب طاعته من وجهين:

أ- أنها واجبة في الشرع.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "سترون بعدي أموراً تشكرونها" رقم الحديث (٧٠٥٦، ٧٠٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي، رقم الحديث (٤٣٤٠).

ب- أنها تزداد تأكيداً إذا أمر بها ولي الأمر.
الثالث: أن يأمر بعبادة غير واجبة لكنها مشروعة كالصيام لأجل صلاة الاستسقاء؛ إذ إن دعاء الصائم مستجاب، فطاعته لا تجب لأنها عبادة بين العبد وربه.

الرابع: أن يأمر بما فيه حفظ الأمن وصلاح المجتمع، فهذه تجب طاعته ومن خالفه يكون عاصياً كأنظمة المرور.

الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - يحذر من الخروج على ولاة الأمر ويبين الموقف الشرعي من المنكرات فيقرر ما يلي:

١- الحذر من إثارة الناس على ولاة الأمر وإيغار صدورهم بسبب المنكرات ولنا فيما حدث في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما عبرة حيث كان بسبب ذلك.

٢- يكون الإصلاح بأن يُحذر الناس من هذه المنكرات والمجتمع إذا صلح فإن ولاة الأمور جزء من المجتمع لا بد أن يصلحوا اختياراً أو اضطراراً.

٣- كما أن بعض الناس قد يهتم بالمعاصي ويترك الشرك الواقع في بلده وهو أعظم.

٤- أو يحاول بعضهم ترتيب الآيات كآيات الحكم بغير ما أنزل الله على هواه فيكفر كل نظام وهذا خطأ.

٥- حتى لو كان ولي الأمر كافراً فلا يعني ذلك إيغار الصدور عليه حتى يحصل القتل والتمرد والفوضى؛ لأنه قد يكون أقوى ممن قام ضده فيحصل من القتل والفساد ما هو أعظم وأشد.

٦- يجب أن ينظر الإنسان بعين الشرع من جهة تكامل النصوص، وبعين العقل والحكمة.

٧- كل مجتمع لا بد أن يكون فيه شيء من الفساد.

- ٨- يجب أن ينظر إلى محاسن ولاية الأمور وليس إلى مساوئهم فقط ، كما أن بعض الأمور قد يكون الحاكم فيها معذوراً.
- ٩- سبب هذا الخطأ: الغيرة التي لم تتقيد بشرع ولا عقل ، وإنما قادها الهوى.

الدعاء لولاية الأمور من النصيحة الواجبة:

قال الإمام البربهاري - رحمه الله - : "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله".

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : "لو كانت لي دعوة مستجابة ماجعلتها إلا للسلطان".

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : "إنني لأدعوه بالصلاح والعافية ، ولئن حدث به حدث لنتظر ما يحل بالإسلام".^(١)

وقال سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - فيمن يمتنع عن الدعاء لولي الأمر: "هذا من جهله وعدم بصيرته ، الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ، ومن أفضل الطاعات ، ومن النصيحة لله ولعباده .. والسلطان أولى من يدعى له ؛ لأن صلاحه صلاح للأمة فالدعاء لهم من أهم الدعاء".^(٢)

(١) "السنن" للخلال ، (٨٤/١) ، وقال المحقق : إسناده هذا الأثر صحيح.

(٢) "مجموع فتاوى ومقاولات" لسماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - الجزء الثامن ، السؤال الثامن.

المبحث الرابع

حرمة الخروج على ولي الأمر وخطورته

تجب طاعة ولي الأمر ويحرم الخروج عليه وإن كان فاسقاً أو ظالماً أو جائراً مهما كانت الدواعي والدوافع والأسباب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح وأقوال علماء الأمة.

جاء في الموسوعة الفقهية: "اتفقت الأمة جمعاء على وجوب طاعة الإمام العادل وحرمة الخروج عليه".^(١)

الدليل من القرآن:

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"^(٢) المقصود: بأولي الأمر: هم الحكام والأمراء، والطاعة تستلزم وتوجب عدم الخروج على ولي الأمر.

الأدلة من السنة:

وهي متعددة ومتوافرة منها:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني".^(٣)

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة".^(٤)

(١) "الموسوعة الفقهية الكويتية" (٢٢٦/٦).

(٢) (سورة النساء: ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام = ويكتفى به برقم (٢٩٥٧) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٢).

- ٣- قوله صلى الله عليه وسلم: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".^(١)
- ٤- قوله صلى الله عليه وسلم: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم".^(٢)
- ٥- قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية".^(٣)
- ٦- قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".^(٤)
- ٧- قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا بويع لخلفتين فاقتلوا الآخر منهما".^(٥)
- ٨- قوله صلى الله عليه وسلم: "من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر".^(٦)
- ٩- قوله صلى الله عليه وسلم: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لانبى بعدي وستكون خلفاء

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أموراً تنكرونها) برقم (٧٠٥٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، (٤٧٥٨).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخلفتين، (١٨٥٣).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، (١٨٤٤).

تكثر، قالوا فماذا تأمرنا؟ قال: فوبيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم^(١).

١٠ - قوله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم"^(٢).

١١ - قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية"^(٣).

الأدلة من الآثار:

وهي كثيرة جداً ومنها:

١ - قول علي - رضي الله عنه - : "حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، وإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا ويطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا"^(٤).

٢ - قول أنس - رضي الله عنه - : "نهانا كبراًؤنا من أصحاب محمد قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب"^(٥).

٣ - قول الحسن - رضي الله عنه - : "الأمراء يلون من أمورنا خمسة: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٣٤٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، (١٨٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (١٨٤٨).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في ((جامع البيان)) (١٦٩/٧) وابن أبي شيبة في "المنصف" (٢١٣/١٢)، برقم (١٢٥٧٨).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في "السيب" (٤٧٤/٢)، برقم (١.١٥) وابن عبد البر في "المتهيد" (٢٨٧/٢١). وقال الألباني: "إسناده جيد".

- يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا والله لما يُلصَح الله بهم أكثر مما يفسدون".^(١)
- ٤ - قول سفيان - رحمه الله - : "يا شعيب، لا ينفَعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل إمام بر وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة تحت لواء السلطان جار أم عدل".^(٢)
- ٥ - قول البربهاري - رحمه الله - : "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي وقد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته جاهلية، ولا يحل قتال السلطان والخروج عليه وإن جار".^(٣)
- ٦ - قول النووي - رحمه الله - : "فأما حديث 'المفارق للجماعة' فيتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج".^(٤)
- ٧ - قول ابن تيمية - رحمه الله - : "وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولالة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه".^(٥)
- ٨ - قول الصابوني - رحمه الله - : "ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيث".^(٦)
- ٩ - قول الشوكاني - رحمه الله - : "لا يجوز الخروج على الأئمة وإن بلغوا من الظلم أي مبلغ ما أقاموا الصلاة ولم يظهر منهم الكفر البواح".^(١)

(١) ((جامع العلوم والحكم)) (٢/١١٧).

(٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للألكائي (١/١٥٤).

(٣) "شرح السنن" ص (٧٠).

(٤) "شرح النووي على صحيح مسلم" (١١/١٦٥).

(٥) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" (٣٥/١٦).

(٦) "عقيدة السلف أصحاب المدينة" للصابوني. ص (١٠٦).

- ١٠- قول الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - : "فإنه يجب علينا طاعة ولاية الأمور وإن كانوا عصاة فنقيم معهم الحج والجهاد، وكذلك الجمع نقيمها مع الأمراء ولو كانوا فجاراً".^(٢)

مفاسد الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم :

- والمفاسد والأضرار والشُرور والفتن المترتبة على الخروج عن طاعة ولي الأمر ومفارقة الجماعة كثيرة جداً نذكر منها الآتي :
- ١- وقوع الفتنة العامة في جميع طبقات المجتمع.
 - ٢- سفك الدماء.
 - ٣- استباحة الأموال.
 - ٤- انتهاك المحارم والأعراض.
 - ٥- انقطاع السبل.
 - ٦- حصول فساد أعظم من الفساد الحاصل بظلم الأئمة.
 - ٧- حصول فساد وشر بسبب الخروج أعظم من المصلحة المترتبة على الخروج.
 - ٨- نقص الدين وعدم القيام بشرائع الإسلام.
 - ٩- تسلط الأعداء من الكافرين والمجرمين.
 - ١٠- ضعف المسلمين وهوانهم على الكافرين والمجرمين.
 - ١١- تفرقة المسلمين.
 - ١٢- تفجير الممتلكات والمنشآت، وقتل الأبرياء، وخطف الآدميين والطائرات والسفن والسيارات.

(١) انظر بحث " طاعة ولاية الأمر وأثرها على الوقاية من الجريمة " ص (٨٢ - ٨٤) حيث أورد الباحث كثيراً من هذه الأقوال.

(٢) "شرح العقيدة الواسطية"، ص (٦٥٩).

- ١٣ - انتشار الجهل ، ورفعة الجهال.
- ١٤ - استبدال الأمن بالخوف والشعب بالجوع.
- ١٥ - نقص العلم وغربة أهله.
- ١٦ - ضعف الدين وغربته.
- ١٧ - كل لون من ألوان الفساد العريض.
- قال أيوب السختياني - رحمه الله - : "وفي القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث لا أعلم أحداً منهم قتل إلا قد رغب له عن مصرعه ولا نجا فلم يقتل إلا ندم على ما كان منه".^(١)
- وذكر أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - خمسة وعشرين خارجياً كلهم من آل البيت لم ينجح أحد منهم.
- أوصاف الخوارج والغلاة:**
- للخوارج والغلاة أوصاف يلتقون فيها وتجمعهم يمكن حصرها فيما يلي :
- ١ - يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أي لا يفقهونه ، كما انتزعوا "إن الحكم إلا لله"^(٢) من القرآن وحملوها على غير محلها.
- ٢ - التكفير واستحلال الدماء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"^(٣) وذلك بسبب تكفيرهم بالمعصية.

(١) "الطبقات" لابن سعد (١٨٨/٧)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٥١٣/٤).

(٢) (سورة الأنعام: ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، برقم (٣٣٤٤) ، ومسلم كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، برقم (١٠٦٤).

أسباب ودوافع الخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم والوقوع في الغلو:

١ - إتباع المتشابه قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾^(١)، وقال عمر رضي الله عنه: "سيأتيكم أناس يجادلونكم بشبهات القرآن الكريم فجادلوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله".^(٢)

٢ - الجهل بالسنة ومعارضتها بالقرآن وعدم الأخذ بها: يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "لا ألفين أحدكم - لا أجدن أحدكم - متكئا على أريكته - على سريرة أو على كرسيه - يبلغه الأمر عني فلا يعمل به ؛ فيقول: لم أجد هذا في كتاب الله، وأنا لا أعمل إلا بكتاب الله ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"^(٣).

من روائع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من الأئمة الأعلام والمحققين الربانيين الذين كان لهم اليد الطولى والباع المؤثر في التحذير من الفرقة والاختلاف وما ينتج عنه من التكفير والتبديع والتفسيق والفتن والأضرار والأخطار، كما كان يشدد على أهمية الجماعة والاجتماع ووجوب لزومهما والتعاون مع ولاية الأمور وطاعتهم وعدم الخروج عليهم ومما قال في ذلك :

١ - كذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر به الله ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلى أو قرفندي؟ فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان .. فيجب

(١) (سورة آل عمران: ٧).

(٢) أخرجه الدرامي على "سنن"، باب (١٧) التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنن برقم (١٢١) واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" برقم (٢٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤، ٤٦٠٥).

- على المسلم أن يقول : أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- ٢- أوصاف أولياء الله : الإيمان والتقوى ، والتقوى هي : فعل المأمور وترك المنهي عنه. والتقرب إلى الله يكون بالنوافل بعد الفرائض وهي درجة السابقين ، والفرائض وهي درجة المقتصدين.
- ٣- ليس كل من أخطأ يكون كافراً أو فاسقاً فقد عفي عن الخطأ والنسيان.
- ٤- سبب تسلط الأعداء على الأمة هو التفريق الحاصل بين الأمة وعلمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها وذلك لتركهم ما أمر الله به حيث تقع بغضاء والعداوة بينهم ، ومتى اجتمعوا صلحوا ، وجماع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٥- من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم يجب أن ينهى عن ذلك ويعاقب ولو بالقتل أو القتال.
- ٦- واجب ولاية الأمر والعلماء تجاه المسلمين أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوه عن المنكر.
- ٧- أعظم المنكرات الشرك بالله ، وقد حرم الله القتل بغير حق وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها.
- ٨- مذهب أهل السنة في التكفير : لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنوب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل ما لم يتضمن ترك الإيمان ، وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به فإنه يكفر به.
- ٩- كان ابن تيمية - رحمه الله - من أشد الناس نهياً عن تكفير المعين أو تفسيقه إلا إذا علم قيام الحجة الرسالية عليه التي من خالفها كان

كافراً تارة وفاسقاً تارة وعاصياً أخرى ، وقد غفر الله لهذه الأمة خطأها سواء كان خطأ في المسائل الخبرية القولية أو المسائل العلمية.

١٠- الأعداء المانعة من التكفير هي: أنه قد لا تبلغه النصوص ، وقد تكون لم تثبت عنده ، وقد لا يكون تمكن من فهمها ، وقد تعرض له شبهات يعذر الله بها ، وكذا التأويل ، والخطأ.

من أصول أهل السنة والجماعة:

- ١- صلاة الجمعة والأعياد والجماعات ولا يدعونها كما يفعل أهل البدع.
- ٢- إن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلِّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق.
- ٣- إن كان الإمام فاسقاً أو مبتدعاً فالصلاة مع غيره أولى ، وأكثر العلماء يصححون الصلاة خلفه دون خلاف.
- ٤- إذ لم يكن إلا المبتدع أو الفاجر في صلاة الجمعة فهذه تصلى خلفه دون خلاف.
- ٥- يحب بعض أهل العلم إذا كثرت الأهواء ألا يصلي إلا خلف من يعرفه.
- ٦- لا يجوز تكفير المسلم بالذنب والخطأ كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة.
- ٧- أمرنا بقتال الخوارج وقتلهم علي رضي الله عنه ولكن لم يكفرهم ، ورغم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهم إلا أننا لا نكفرهم فكيف بالطوائف التي اشتبه عليها الحق؟
- ٨- الأصل حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم قال صلى الله عليه وسلم "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة

يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" (١)، وقال "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله" (٢)، وقال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (٣).

- ٩ - إذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر لحاطب رضي الله عنهما: "دعني أضرب عنق هذا المنافق"، "إنك منافق تجادل عن المنافقين"، وكما قتل أسامة رضي الله عنه الرجل الذي نطق الشهادتين تأولاً منه أنه كاذب فلم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجب دية ولا كفارة، وكما تقاتل أهل الجمل وصفين.
- ١٠ - هجر المظهر لبدعته أو فجوره إن كان في ذلك مصلحة راجحة كهجر المتخلفين عن غزوة تبوك.
- ١١ - كره العلماء إعادة صلاة الجمعة التي صليت خلف الإمام الفاجر، بل قال الإمام أحمد رحمه الله من أعاد فهو مبتدع.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قوله صلى الله عليه وسلم: - (رب مبلغ أوعى من منافع)، برقم (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، برقم (٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء برقم (١٢١) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم:.. (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) برقم (٦٥).



عقيدة السلف الصالح في ولاية أمر المسلمين

تأليف

أ.د. أحمد بن يوسف الدريويش

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لخدمة المجتمع وتقنية المعلومات

وأستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء بالجامعة

السلفية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إله الأولين والآخرين، الذي وعد عباده المؤمنين بالنصر والعزة والتمكين. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسوله النبي الأمين، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد :

فإن الله أرسل نبيه محمداً - عليه الصلاة والسلام - بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وجعله قدوة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، وجعل أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وسار على نهجه واهتدى بهديه خيرة الخلق من الصحابة والتابعين، والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته، وتمسكوا بسنته، وعضوا عليها بالنواجذ، وطبقوها في معتقداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم وأدائهم..، فصاروا هم الطائفة المنصورة، والفئة الناجية، لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله - تعالى - وهم على ذلك.

نسأل الله أن نكون نحن وإخواننا المسلمين عامة منهم، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

هذا وإن من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ومقتضياتها: الاعتقاد بوجوب نصب إمام للمسلمين يأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، ويطيعونه

بالمعروف فيما هو من حقوقه وخصائصه ولوازم إمامته ، ولو تعددت الأئمة في الأقطار ، أو كانت إمامته أو ولايته مستندة إلى أسلوب الغلبة والقوة والظفر وحده ، لقول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : (من غلب عليهم بالسيف ، حتى صار خليفة ، وسمى أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً ، براً كان أو فاجراً)) أ.هـ^(١) ، وذلك اتقاء للفتنة ، وخشية من الانقسام والمنازعة والاختلاف بين المسلمين.

ولأهمية موضوع ولاية أمر المسلمين وعظيم شأنه ، وبياناً لعقيدة السلف الصالح فيه ، أحببت أن أكتب هذا البحث ، لعل الله - تعالى - أن ينفع به عموم المسلمين ، وأن ينغرس في نفوس ناشئتنا بحب ولاة أمورهم وطاعتهم ، والالتفاف حولهم ، وينهجوا في ذلك نهج أسلافهم من سلف هذه الأمة الصالح ، ويعتقدوا معتقدهم الحق ، حتى يستحقوا نصر الله الذي وعده عباده المؤمنين المخلصين الصادقين ، كما في قوله - تعالى - : ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)) الروم/٤٧.

وخطة البحث تتكون إجمالاً من مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة وفهارس ، وبيانها كالتالي :

التمهيد : بيان أهم مصطلحات البحث.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : مصطلح العقيدة.

المطلب الثاني : مصطلح السلف والسلفية

١ الأحكام السلطانية لأبي يعلى /٧.

- المطلب الثالث : مصطلح السنة.
- المطلب الرابع : مصطلح الجماعة.
- المطلب الخامس : مصطلح ولادة الأمر.
- المبحث الأول : أهمية موضوع ولاية أمر المسلمين وعظيم شأنه.
- المبحث الثاني : وجوب تنصيب إمام للمسلمين وعقد البيعة له.
- المبحث الثالث : جواز تعدد الأئمة في الأقطار عند أهل السنة والجماعة.
- المبحث الرابع : حاجة الخلق لولاية الأمر وبيان فضلهم ومكانتهم.
- المبحث الخامس : حقوق ولاية الأمر على الرعية ، وتحت مطالب :
- المطلب الأول : وجوب البيعة لولي الأمر والوفاء بها ظاهراً وباطناً.
- المطلب الثاني : وجوب السمع والطاعة لولاية الأمر.
- المطلب الثالث : وجوب نصره ولي الأمر ظاهراً وباطناً.
- المطلب الرابع : معرفة عظيم حقه وتعظيم قدره.
- المطلب الخامس : بذل النصيحة الخالصة لولي الأمر.
- المطلب السادس : حرمة الخروج على ولي الأمر.
- المطلب السابع : الذب عن ولي الأمر بالقول والفعل.
- المطلب الثامن : الدعاء لولاية الأمر في خطب الجمع وغيرها.
- المطلب التاسع : وجوب الصبر على من جار من الأئمة.
- المطلب العاشر : جمع محبة الناس عليهم ورد القلوب النافرة إليهم.
- المبحث السادس : وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة مفارقتهم.
- المبحث السابع : شبهات تتعلق بموضوع ولاية أمر المسلمين والرد عليها.

أسأل الله بمنه وكرمه وجوده ورحمته أن يجعل هذا العمل صالحاً،
ولوجهه الله خالصاً.. وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.. اللهم آمين.

التمهيد

بيان أهم مصطلحات البحث

المطلب الأول

مصطلح العقيدة:

أولاً: العقيدة في اللغة:

لفظ العقيدة: مأخوذ من العقد نقيض الحل، وهو الربط والإحكام والتوثيق، والشدة بقوة، والإثبات واليقين والجزم وجمعها: عقائد، يقال: عقده يعقده عقداً: ربطه وشده بإحكام واستيثاق، ومنه عقد اليمين والنكاح، قال- تعالى- : ((لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان))^(١).

واعتقدت عليه كذا: عقدت عليه القلب والضمير، والعقيدة: ما يدين الإنسان به، يقال: له عقيدة حسنة، أي: سالمة من الشك، والعقيدة عمل قلبي وهي: إيمان القلب بالشيء وتصديقه به.

وخلاصة ما تقدم: أن العقيدة في اللغة هي: ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به، فهو عقيدة سواء كان حقاً أو باطلاً^(٢).

ثانياً: العقيدة في الاصطلاح:

عرفت العقيدة اصطلاحاً بأنها ((الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن عليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك))^(٣).

١ سورة المائدة: ٨٩.

٢ لسان العرب: ، القاموس المحيط:

٣ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ ناصر العقل: ص/ ٩، الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري: ص/ ٣٠.

ثالثاً: العقيدة الإسلامية :

عرفت العقيدة الإسلامية بأنها : ((الإيمان الجازم بالله - تعالى - وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره))^(١) .
 فتعريف العقيدة الإسلامية يشمل كل ما أجمع عليه سلف الأمة الصالح من أصول الدين وأمور الغيب ، مع التسليم التام لله - تعالى - في الأمر والحكم ، والطاعة والاتباع لرسوله محمد - ﷺ - .
 والعقيدة الإسلامية عند الإطلاق لا يراد بها إلا عقيدة أهل السنة والجماعة ، لأنها هي الإسلام الصحيح الذي ارتضاه الله - تعالى - ديناً لعباده ، فهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة الكرام ، والتابعين لهم وتابعيهم بإحسان^(٢) .

المطلب الثاني :

مصطلح السلفية

السلفية في اللغة :

السين ، واللام ، والفاء : أصل يدل على تقدم وسبق^(٣) .
 وفي اللسان : "السلف جمع سالف المتقدم ، والسلف الجماعة المتقدمون"^(٤) .

١ عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان : ص / ٣.

٢ انظر : عقيدة التوحيد للفوزان : ص / ٢ - ٣ ، مباحث في عقيدة أهل السنة للعقل : ص / ٩ ،

الوجيز في عقيدة السلف لعبد الحميد الأثري : ص / ٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٩٥ / ٣.

(٤) لسان العرب ١٥٨ / ٩.

وفي النهاية: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"^(١) ومنه قوله - تعالى - : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾. [سورة الزخرف: ٥٦]. قال البغوي في تفسيرها: ".. والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون"^(٢).

السَّلَفُ في اللغة: بفتح السين واللام من سلفهم القوم المُتَقَدِّمُونَ في السير، ولزیدٍ سَلَفٌ كريمٌ، أي آباء متقدمون.

السلفية في الاصطلاح الشرعي:

عرفها الإمام السفاريني - رحمه الله - بأنها: "ما كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بقلب غير مُرض، مثل الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء"^(٣).

وقال سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - لَمَّا سُئِلَ عن الفرقة الناجية: (هم السلفيون، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح).

(١) لسان العرب ١٥٨/٩.

(٢) تفسير البغوي ٢١٨/٧.

(٣) لوامع الأنوار ٢٠/١.

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - :
 "فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً ، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا
 كان على طريق النبي - ﷺ - ، وأصحابه ، فإنه سلفي" ^(١).
 شرح العقيدة الواسطية (١/٤٥).

وقال في شرح العقيدة السفارينية الشريط الأول ما نصه : "من هم أهل
 الأثر؟ هم الذين اتبعوا الآثار ، اتبعوا الكتاب والسنة وأقوال الصحابة -
 ﷺ - ، وهذا لا يتأتى في أي فرقة من الفرق إلا على السلفيين الذين التزموا
 طريق السلف.

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٦١٤٩) (٢/١٦٤):
 "س / أريد تفسيراً لكلمة السلف ، ومن هم السلفيون... ؟
 ج / السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد - ﷺ - من
 الصحابة - ﷺ - ، ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ، ولما سئل -
 ﷺ - عن الفرقة الناجية قال : "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم
 وأصحابي....".

وجاء في الفتوى رقم (١٣٦١) (١/١٦٥):
 "س / ما هي السلفية؟ وما رأيكم فيها ؟
 ج / السلفية نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله - ﷺ -
 وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - ﷺ - ، الذين شهد لهم
 رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم

الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهج السلف، من اتباع الكتاب والسنة، والدعوة إليهما، والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم."

وقال الشيخ صالح الفوزان في كتابه البيان (ص ١٣٠) ما نصه:

(...وإنما تطلق السلفية على الجماعة المؤمنة الذين عاشوا في العصر الأول

من عصور الإسلام، والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - من المهاجرين

والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ووصفهم الرسول - ﷺ - بقوله:

(خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) الحديث.....

ووصف هذه الواحدة بأنها هي التي تتبع منهج السلف، وتسير عليه،

فقال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي...)، فدل على أن

هناك جماعة سلفية سابقة، وجماعة متأخرة تتبعها في نهجها، وهناك

جماعات مخالفة لها، متوعدة بالنار..."

وقال فضيلته: السلفية هي الفرقة الناجية، هم أهل السنة والجماعة،

ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة

على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال - ﷺ - : (لا تزال

طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من

خالفهم)، وقال - ﷺ - : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة،

كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ما كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه، وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن، وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول - ﷺ - متوارثة مستمرة، لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة، كما أخبر - ﷺ - . (المصدر السابق).

وقال الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله - في الصفات الإلهية ص (٦٤ - ٦٥): "ويتضح مما تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً، يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرق الناجية في علماء الحديث والسنة، وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة من قوله - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم)".

وعليه فإن السلفية ليست مجرد نسبة أو لقب، بل السلفية: تجريد الإخلاص لله وتجريد المتابعة للنبي - ﷺ - .

المطلب الثالث

مصطلح السنة

ورد كثير من النصوص ذكر هذا المصطلح ومن ذلك حديث العرباض ابن سارية المشهور، حيث جاء فيه: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليهم بالنواجذ... الحديث)^(١).

ومن ذلك قوله - ﷺ - : (تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي...)^(٢).

وأخرج اللالكائي بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - في قوله - تعالى - : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) : (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)^(٣)، وأخرج مسلم في صحيحه في مقدمته عن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - قال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم^(٤).

١ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة: (٤٦٠٧)، والترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة: (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب اتباع الخلفاء الراشدين: (٤٢)، (٤٣)، (٤٤). والإمام أحمد في مسنده: ١٢٦/٤.

٢ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ، والنسوي في المعرفة والتاريخ: ٢٩٤/١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٦١)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية: (٣٩٤٣).

٣ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي:

٤ صحيح مسلم، المقدمة ص / ٧.

أما السنة في الاصطلاح أهل الأصول فهي :
 ما صدر عن النبي - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير.

المطلب الرابع

مصطلح الجماعة :

الجماعة مصطلح معروف ، حيث جاء ذكره في نصوص نبوية كريمة وكثيرة ، ومن ذلك :

- ١ - حديث معاوية بن أبي سفيان - ﷺ - ، وهو حديث الفرق المعروف ، وفيه : ((إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء ، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي : الجماعة....))^(١) الحديث.
- ٢ - ما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان - ﷺ - ، وفيه قوله - ﷺ - : ((تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم...))^(٢) الحديث.

- ٣ - قوله - ﷺ - : ((وعليكم بالجماعة))^(١) ، وغيرها من النصوص.

١ أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، وباب شرح السنة : (٤٥٩٧) ، والترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة : (٢٦٤١) وأحمد في مسنده : ١٠٢/٣ ، والحاكم في المستدرک : ٢١٨/١ وابن أبي عاصم في السنة ٧/١ وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة عن جمع من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما .

٢ أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام : (٣٦٠٦) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن : (١٨٤٧) .

فالمراد بالجماعة في الأحاديث السابقة كما قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : ((والصواب أن المراد من الخبر - أي حديث حذيفة بن اليمان - : لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة))^(٢).

وقال الشاطبي - رحمه الله - : (وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة))^(٣).

وقال ابن عبد البر في بيان المقصود بالجماعة الواردة في الأحاديث : ((الجماعة على إمام يسمع له ويطاع))^(٤).

وعليه فمصطلح أهل السنة والجماعة مصطلح قديم معروف ، جاء ذكره في الأحاديث النبوية في الآثار المروية عن الصحابة الكرام ، وتناقله أهل السنة الذين هم أهل الحديث والأثر في كتبهم.

ويعنون به : من تمسك بالكتاب والسنة ، بفهم الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ، ولزموا جماعة المسلمين وإمامهم ، ولم يتدعوا أو يتبعوا الهوى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي

١ أخرجه أحمد في مسنده : ٢٧٨/٤ ، ٣٧٥ ، والشهاب في مسنده : ٤٣/١ ، وابن أبي الدنيا في كتابه الشكر : ص ٢٥ من حديث النعمان بن بشير.

٢ فتح الباري : ٤١/١٣.

٣ الاعتصام للشاطبي : ٧٧٥/٢.

٤ التمهيد لابن عبد البر : ٢٧٥/٢١.

وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً^(١).

فأهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، وساروا على ما كان عليه الرسول - ﷺ - ظاهراً وباطناً، وتمسكوا بهدي النبي - ﷺ - وأصحابه في العلم والعمل، واجتمعوا على إمامهم المسلم بالسمع والطاعة بالمعروف، وتمسكوا بجماعة المسلمين وإمامهم، فلم يفارقوها، ولم ينزعوا يداً من طاعة لمن وجبت طاعته، خلافاً لأهل الأهواء والبدع والخوارج والروافض ونحوهم.

وهم كذلك الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي ورد ذكرها في النصوص.

وهم سلف هذه الأمة الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا وقد اعتنى بهذا المصطلح جمع من الأئمة ممن ألفوا في السنة كالإمام أحمد وابن أبي عاصم واللالكائي والصابوني في عقيدة أصحاب الحديث وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة في نجد وما جاورها وغيرهم..

فهو مصطلح ثابت واضح، لا يخفى إلا على أصحاب الهوى والضلال والبدع من الروافض والخوارج، ومن سار على دربهم في هذا العصر من أهل التكفير والتفجير وغيرهم من الفئات الضالة ذيول الخوارج.

١ منهاج السنة النبوية: ٦٠١/٢.

المطلب الخامس

مصطلح ولاية الأمر

مصطلح (ولاية الأمر) أو (الإمامة الكبرى) أو (الخلافة) أو (الملك) يراد بها: (حراسة الدين وسياسة الدنيا به) كما قرر ذلك الماوردي وأبو يعلى وغيرهما من العلماء^(١).

والذي يقوم بذلك يطلق عليه: ولي الأمر أو الإمام أو الحاكم أو الخليفة أو الأمير أو السلطان، وكل هذه المصطلحات جاء ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومثلها في العصر الحديث: الرئيس والشيخ ونحو ذلك مما يطلق على من يقوم على أمر الناس كافة في قطر أو بلد، ويخول إليه تسيير أمورهم، والنظر في مصالحهم، وحفظ أمنهم وحدودهم، ونشر العدل بينهم، وإقامة شعائر دينهم^(٢).

فالمراد بولي الأمر عند الإطلاق هو صاحب الولاية العامة على الناس، أما غيره ممن أنابهم أو استعملهم في أمر من أمور الدولة كأمراء المدن والقضاة والوزراء والقواد والمحتسبين ونحوهم فولايتهم خاصة^(٣)، فهي داخلية ضمن الولاية العامة، ومستمدة منها، وطاعة هؤلاء وحقوقهم داخلية ضمن طاعة الإمام، وفي حدود الولاية والصلاحيات الممنوحة لهم.

١ الأحكام السلطانية للماوردي: ص/٥، الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص/٧

٢ تفسير المنار: ١٨٨/٥

٣ شرح مسلم النووي: ٣٨/٢ - ٣٩، معالم السنن للخطابي: ١٢٦/٤

المبحث الأول

أهمية موضوع ولاية الأمر وعظيم شأنه

أولت الشريعة الإسلامية موضوع ولاية أمر المسلمين اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة، حيث لا يمكن أن تستقيم حياة الناس إلا بإمام، وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

ولهذا أصبح موضوع الإمامة وما يتعلق به أصلاً من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، له مفهوم صحيح مبني على الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة من الصحابة الأخيار، ومن سلك سبيلهم بإحسان، خلافاً لما عليه أرباب الأهواء من المبتدعة والفرق الضالة كالرافضة، ومن سلك سبيلهم من أهل الهوى والرأي الباطل كالخوارج وغيرهم، ولقد رأينا أثر الجهل بهذا الأصل العظيم، حيث وقع جراء ذلك فتن ومحن وبلايا اكتوى المسلمون بنارها أزماناً طويلة، وإلى يومنا هذا.

حيث استحلّت الدماء وانتهكت الأعراض، وسلبت الأموال، وتفرق شمل الأمة، وأصبحت فرقاً وشيعاً، وحل بها الضعف والخور، وهانت في نظر عدوها.

وما نراه في هذا العصر من ثلوث مدمر: تأليب ثم تكفير ثم تفجير، ناهيك عن العداء ومنازمة ولاية الأمر، وانتقاصهم من حقوقهم الشرعية، وما حل بالإسلام والمسلمين من ضعف، ما حدث هذا كله إلا بسبب الجهل بهذا الأصل العظيم والأساس المتين.

المبحث الثاني

وجوب تنصيب إمام للمسلمين، وعقد البيعة له

أجمع أهل العلم قاطبة على وجوب تنصيب إمام للمسلمين، يقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : (وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة)^(١).

وحكى ابن حزم - رحمه الله - اتفاق أهل الإسلام على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله - ﷺ -^(٢).

وفي ذلك يقول ابن حجر الهيتمي : ((اعلم أيضاً أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات، حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله - ﷺ -))^(٣).

وقال إمام الحرمين الجويني - رحمه الله - : ((الإجماع على وجوب تنصيب خليفة يحكم بين الناس بالإسلام))^(٤).

وجاءت الأدلة على وجوب الإمام مستفيضة في الكتاب والسنة ومن ذلك :

قوله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(١) قال القرطبي - رحمه الله - : (هذه الآية أصل في نصب إمام

١ شرح مسلم : ١٣/٢٠٥

٢ الفصل في الملك والنحل لابن حزم : ٣/١٠٦

٣ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : ص/١٥

٤ غياث الأئمة ص/١٤.

وخليفة يسمع له ويطاع ؛ لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة والأئمة^(٢).

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((إذا خرج ثلاثة في سفر ، فليؤمروا أحدهم))^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم ، كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك)^(٤).

١ سورة البقرة : ٣٠

٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٦١.

٣ أخرجه أبو داود - كتاب الجهاد ، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ٢٦٠٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٥٠٠.

٤ الحسبة لابن تيمية ص / ١١.

المبحث الثالث

جواز تعدد الأئمة في الأقطار

هذه مسألة مهمة تتعلق بواقع المسلمين المعاصر، كما تتعلق بحقبة طويلة من تاريخ المسلمين، ويترتب عليها كثير من الأحكام، وتأصيلها يزيل كثير من اللبس الواقع فيه بعض من غاب عنه فقه ذلك..، فغلب عليه الهوى والجهل، فقال بغير علم، فضل وأضل، وعليه نقول:

الأصل في ولاية أمر المسلمين أن يكون المسلمون جميعاً تحت ولاية إمام واحد، كما كان الحال في عهد النبي - ﷺ - ، وعهد خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم - أجمعين، وهذا الأصل مقيد بحال الاختيار والإمكان، أما في حال الاضطراب وتعذر المكان فيصح تعدد الأئمة، ويأخذ كل إمام منهم في قطره حكم الإمام الأعظم.

ومن لم يفرق بين حال الاختيار والإمكان وحال الاضطراب، وتعذر الإمكان، فقد جهل المعقول والمنقول - وهذا كله محل اتفاق بين العلماء^(١). وقد نص على ذلك جمع من الأئمة، ومن ذلك:

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : ((وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، وتباعد أطرافه، فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار

١ غياث الأمم لإمام الحرمين الجويني: ص/١٧٥، بدائع السلك لابن الأزرقي: ١/٧٦ - ٧٧ تفسير ابن كثير: ١/٧٢، السيل الجرار للشوكاني: ٤/٥١٢، مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/١٧٥ سبل السلام للصنعاني: ٣/٤٩٩.

الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهى في قطر الآخر، وأقطاره التي رجعت إلى ولايته.

فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإن قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته، وبايعه أهله، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب^(١).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - :

((الأئمة مجتمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم^(٢))).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت على ذلك، لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين، أو غير ذلك، فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق^(٣))).

فالذي عليه المحققون من أهل العلم هو جواز تعدد الأئمة في الأقطار الإسلامية للضرورة والحاجة، ويثبت لهؤلاء الأئمة ما يثبت للإمام الأعظم

١ السيل الجرار للشوكاني: ٥١٢/٤

٢ الدرر السنية: ٢٣٩/٧

٣ مجموع الفتاوى: ١٧٥/٣٥ - ١٧٦

من أحكام، ومن ذلك: وجوب مبايعتهم، وحرمة الخروج عليهم، ووجوب السمع والطاعة والنصرة لهم.

ومما يدل لذلك أن هذا وقع في زمن دولة بني العباس، حيث كانوا بالعراق، وكان الفاطميون بمصر، والأمويون بالمغرب، واستمر تعدد الأئمة إلى يومنا هذا، وقد أقر ذلك العلماء في كل بلد، وبايعوا أميرها، وأظهروا له الطاعة، ولم يخرجوا عليه قط.

وهذا يبطل شبه أهل الزيغ والضلال والجهل، القائلين بالخلافة الواحدة لجميع المسلمين، وهم يعلمون أن ذلك غير ممكن؛ لتباعد الأقطار، واتساع الأقاليم، فقد علمنا أنهم ما أرادوا غير الخروج على ولاية الأمر، ونزع اليد من طاعتهم، واستحلال دماء المسلمين، وإشاعة الفتن بينهم، وهذا يضاد النصوص الشرعية، والمقاصد المرعية للشريعة المحمدية، وما اتفق عليه العلماء والأئمة.

المبحث الرابع

حاجة الخلق لولاية الأمر، وبيان فضلهم ومكانتهم

الإجماع منعقد من الأمة على أن الناس لا يستقيم لهم أمر من أمور دينهم ولا دنياهم إلا بالإمامة، فلولا فضل الله - تعالى - على الناس، ثم وجود الأئمة، لضاع الدين، وفسدت الدنيا. فحاجة الخلق إلى ولاية الأمر فوق كل حاجة؛ إذ لولا الولاية لأصبحت الحياة غابة، فتفسد على أهلها من كل وجه.

وقد قال الإمام بدر الدين ابن جماعة عند قوله - تعالى - : ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض))^(١) ما نصه: (لولا أن الله - تعالى - أقام السلطان في الأرض، يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه، لتواثب الناس بعضهم على بعض، فلا ينتظم لهم حال، ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله - تعالى - على عباده بإقامة السلطان لهم بقوله: ((ولكن الله ذو فضل على العالمين))^(٢)، قال الآلوسي في تفسير هذه الآية: (وفي هذا تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه ما استتب أمر العالم)^(٣).

وفي هذا المعنى يقول الإمام القلعي الشافعي: (نظام أمر الدين والدنيا مقصود، ولا يحصل ذلك إلا بإمام موجود)^(٤)، ويدل لهذا ما رواه أبو

١ سورة البقرة ٢٥١

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام: ص ٤٩

٣ روح المعاني: ١٧٤/١

٤ تهذيب الرياسة: ص ٩٤ - ٩٥

هريرة - رحمه الله - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : ((إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ، ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل ، فإنه له بذلك أجراً ، وإن قال بغيره فإن عليه منه))^(١).

وولي أمر المسلمين أعظم الناس أجراً إذا عدل ، وفي هذا يقول الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله - : (وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجراً من جميع الأنام ، بإجماع أهل الإسلام ؛ لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل ، ودرء كل فاسد شامل...)^(٢).

ومما يدل على عظيم أجر ولاة أمر المسلمين ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل...)) الحديث^(٣).

قال الحافظ ابن حجر : (المراد به صاحب الولاية العظمى ، ويلحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين ، فعدل فيه)^(٤).

وقال ابن جماعة : (ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب)^(٥).

١ أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب يقاتل من وراء الإمام : (٢٩٥٧)

٢ قواعد الأحكام : ١٠٤/١

٣ أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ١٤٣/٢ (٦٦٠) وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة : ٧١٥/٢.

٤ فتح الباري : ١٤٥/٢

٥ قواعد الأحكام : ص/٥٠

المبحث الخامس

حقوق ولاية الأمر على الرعية

لما كان لولي الأمر هذه المكانة العظيمة عند الله - تعالى - ، ولما كان وجوده له أعظم الأثر في استقامة حياة الناس وسياستهم وانتظام مصالحهم ، بل لا تقوم لهم حياة إلا به ، ولما كان الدين لا يقوم إلا بحراسة الإمام وقوته ، فلما كان ذلك كله علمنا يقيناً أنه لا قيام للدين والدنيا في حياة الناس إلا بالسلطان.

ومن هنا فقد أوجب له الشرع المطهر حقوقاً لا يسع أحداً من الناس التحلُّل منها ، أو الخروجُ عليها ، أو التقيُّصُ فيها.

وفي هذا نقل القرطبي - رحمه الله - عن سهل التستري قوله : ((لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فإن عظموا هذين ، أصلح الله دنياهم وأخراهم ، وإن استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم))^(١).

فإذا قامت الرعية بحقوق ولاية الأمر ، قويت الأمة ، واجتمعت كلمتها ، وظهر دين الله في الأرض ، قال ابن جماعة بعد أن ذكر حقوق ولاية الأمر : ((وإذا قامت الرعية بهذه الحقوق الواجبة ، وأحسنَت القيام بمجامعها ، والمراعاة لمواقعها صفت القلوب ، وأخلصت ، واجتمعت الكلمة وانتصرت))^(٢).

وهذه الحقوق نذكرها إجمالاً في المطالب التالية هي :

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٢٦٠/٥ - ٢٦١

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام : ص/٦٤

المطلب الأول: وجوب البيعة لولي الأمر والوفاء بها ظاهراً وباطناً

إن من أولى وأهم حقوق ولادة الأمر على الرعية ما يجب على المسلم من وجوب البيعة للإمام والوفاء بها ظاهراً وباطناً، قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : ((إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد، أو بواحد على ما تقدم، وجب على الناس كافة مبايعته على السمع والطاعة، وإقامة كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ومن تأبى على البيعة لعذر عذر، ومن تأبى لغير عذر جبر وقهر؛ لئلا تفترق كلمة المسلمين))^(١).

وقد جاء التحذير الشديد والوعيد لمن ليس في عنقه بيعة للإمام، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((من مات ليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية))^(٢).

والبيعة: أن تباع الرعية الحاكم أو الراعي أو الوالي المسلم على السمع والطاعة، في مقابل أن يحكمهم بما فيه مصلحة الأمة، وسياستها على أساس من الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة.. وهي إنما تحصل من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء والوجهاء وغيرهم، ويلزم باقي أفراد الرعية ذلك، ولا يشترط أن يبايع كل فرد بعينه، ويدل لذلك فعل الصحابة - رضوا - ، حيث بايع من حضر منهم أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - ، ولم ينقل عن الذي لم يبايعوه مباشرة من الصحابة والتابعين أنهم خالفوا ذلك.

١ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٧٢/١.

٢ أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة الجماعة: (١٨٥١)

وعليه فلا يحل لأحد أن يخالف أوامر ولي الأمر بحجة أنه لم يبايعه مباشرة، فإن هذه شبهة باطلة.

المطلب الثاني: وجوب السمع والطاعة لولادة الأمر:

أجمع أهل السنة والجماعة في كل عصر وفي كل مصر على وجوب السمع والطاعة لولادة الأمر من المسلمين، وإن جاروا وظلموا، وإن فجروا وفسقوا، ما لم يأمرُوا بمعصية، وهذا أصل عظيم من أصولهم، خلافاً لأهل الأهواء والبدع^(١).

وهذا الحق لولادة الأمر دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أ- القرآن الكريم:

قوله - تعالى - : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً))^(٢).

والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف: أن المراد بأولي الأمر هنا هم الأمراء والولاة؛ لورود النصوص الصحيحة الصريحة في ذلك، قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة؛ لصحة الإخبار عن رسول الله - ﷺ - بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين فيه مصلحة، إلى قوله ((..... كان معلوماً أن الذين أمر بطاعتهم - تعالى ذكره - من ذوي أمرنا

١ المغنى لابن قدامة: ٢٣٨/١٢ شرح النووي على مسلم: ٣٢٢/١٢ مجموع فتاوى ابن تيمية:

١٢/٣٥

٢ النساء: ٥٩

هم الأئمة، ومن ولاية المسلمون دون غيرهم من الناس))، ثم قال: ((وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر أو نهى فيما لم تقم حجة وجوبه، إلا للأئمة الذين أَلَزَمَ الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيته، مما هو مصلحة لعامة الرعية، فإن على من أمروا بذلك طاعتهم، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية))^(١). وهنا نجد أن الإمام الطبري - رحمه الله - ينبه على أمر مهم جداً، ألا وهو طاعة ولاية الأمر مطلقاً، سواء فيما ورد فيه نص من الشارع بأمر أو نهى، أو لم يرد به نص، فأمر الإمام يجب طاعته، كما يجب طاعة أمر الشارع في حالتين:

الأول: إذا كان أمره محققاً للمصلحة العامة، وإن لم يكن في ذلك نص من الشارع.

الثاني: إذا أمر بأي أمر كان، وإن كان من الأمور المباحة أو المندوبة ونحوها ما لم يكن فيه معصية لله - تعالى - .
فأي أمر يصدر عن الإمام تجب طاعته أبداً، إلا في حال واحد، وهو أمره بمعصية.

ب - السنة النبوية:

١ - عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - أنه قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))^(٢).

١ جامع البيان للطبري: ١٥٠/٥. انظر تفسير ابن كثير: ٥١٧/١ - ٥١٨

٢ أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية:

١٢١/١٣ ومسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق: ١٤٦٩/٣

(١٨٤٦).

٢- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((عليك السمع والطاعة ، في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك))^(١).

قال الإمام النووي - رحمه الله - في معنى الحديثين السابقين : ((معناه : تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره ، مما ليس بمعصية ، فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة...، والأثرة : الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم ، أي : اسمعوا وأطيعوا ، وإن اختص الأمراء بالدنيا ، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم ، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال سببها اجتماع كلمة المسلمين ، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم))^(٢).

فإذا أمر ولاة الأمر بأي أمر كان مما هو ليس بمعصية لله ، فإن الواجب على الرعية السمع والطاعة في كل أحوالهم ، من الرضا والسخط ، والعسر واليسر ، والخير والشر ، وافق طبعهم أو لم يوافق.

٣- عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله ! إنا كنا بشرٍ ، فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل وراء هذا الخير شر؟ قال نعم قلت : هل وراء ذلك الشر خير؟ قال : نعم قلت : فهل وراء الخير شر قال : نعم قلت : كيف؟ قال : ((يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال ، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس)) قال : قلت : كيف

١ أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة : ١٤٦٧/٢

٢ شرح النووي على مسلم : ٣٢٥/١٢.

أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: ((تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع))^(١).

وهذا من أظهر النصوص على وجوب طاعة الأئمة، وعدم معصيتهم، فإنه أوجب طاعتهم مع كونهم مخالفين لهدي النبي وسنته، ومع كونهم ظلمة للرعية، ومع كل ذلك أوجب على الرعية السمع والطاعة، فعلم من ذلك أن السمع والطاعة واجبان حتى لو كان الإمام ظالماً فاجراً فاسداً، فإن ضلالهم وظلمهم وفسادهم عليهم يحاسبون عليه عند الله يوم القيامة.

فلم يرتب الشارع الحكيم السمع والطاعة للأئمة على عدلهم، بل تجب مع ظلمهم ومخالفتهم هدي النبي ﷺ - .

هذا، وإن من لوازم وجوب طاعة الإمام، العمل بكل ما سنه وأصدره من أنظمة محققه للمصلحة العامة، وإن لم يكن منصوباً عليها في الكتاب الكريم أو السنة النبوية المطهرة، وإن لم تكن واجبة بإيجاب الشرع لها.

وعليه، فكل ما يجتهد فيه الإمام، ويراها محققاً للمصلحة فيأمر به أو ينهى عنه، فإنه يلزم الرعية العمل به، ولا يسع أحداً الخروج عليه في ذلك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني))^(٢).

١ أخرجه مسلم كتاب الإمارة: ١٤٧٦/٣

٢ أخرجه البخاري، حديث رقم: (٧١٣٧)، ومسلم، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء: (١٨٣٥).

ففي هذا الحديث دليل على وجوب طاعة الأمير، وأن من عصاه في غير معصية فقد عصى الله ورسوله.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : ((إن من طاعة ولاية الأمر التي أمر الله بها: أن يتمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة، إذا لم تخالف الشريعة، فمتى تمشى على ذلك كان مطيعاً لله ورسوله، ومثاباً على عمله، ومن خالف ذلك كان عاصياً لله ورسوله، وآثماً بذلك))^(١).

المطلب الثالث

وجوب نصره ولي الأمر ظاهراً وباطناً

إذا تم اختيار ولي الأمر، وتمت مبايعته وجب على الرعية نصرته في كل أموره؛ لما في ذلك من نصره للمسلمين، ورفع راية الإسلام قال الماوردي - رحمه الله - : ((إذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة فقد أدى حق الله - تعالى - فيما لهم عليه، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة))^(٢).

ويجب على الرعية القيام بهذا الحق، سواء أكان الإمام صالحاً أم لا، وسواء كان عادلاً أم لا، لما في ذلك من نصره للمسلمين، وكف أيدي المعتدين^(٣)، واستقامة أمر الدنيا والدين.

١ حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين: ص/١٨.

٢ الأحكام السلطانية للمارودي: ص/١٨.

٣ مفهوم الجماعة والإمامة للأستاذ الدكتور/ سليمان أبا الخيل: ص/١٠٨.

المطلب الرابع

معرفة عظيم حقه وتعظيم قدره

الإمام له مكانة عظيمة عند الله - تعالى - وعند رسوله - ﷺ - ، وجاءت النصوص الكثيرة في الحث على إكرامهم ، وتعظيم قدرهم ، ومن ذلك ما رواه أبو بكره - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ((السلطان ظل الله في الأرض ، فمن أكرمه أكرمه الله ، ومن أهانه أهانه الله))^(١).

وفي هذا الحديث تنبيه على علو مكانة السلطان ، وشرف منزلته ، حيث إن الإضافة إلى الله هنا إنما هي إضافة تشريف وتكريم ، ولذا قال الإمام ابن جماعة في بيان حقوق ولادة الأمر : (الحق الرابع : أن يعرف له عظيم حقه ، وما يجب من تعظيم قدره ، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام ، وجعل الله - تعالى - له من الإعظام ، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ، ويلبون دعوتهم ، مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم)^(٢).

المطلب الخامس

بذل النصيحة الخالصة لولي الأمر

الإمام هو أولى من تبذل له النصيحة ، وذلك لتعلق مصلحة عموم الرعية به ، ولهذا وجب على العلماء وغيرهم النصيحة له ، وتبصيره بما قد يخفى

١ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة : ٤٩٢/٢ وحسنه الألباني في ضلال الجنة في تخريج أحاديث

السنة ، وأخرجه البيهقي في الكبرى : ١٦٤/٨ .

٢ تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام : ص ٦٣ .

عليه، وهذا الأمر جاء النص عليه من كلام النبي - ﷺ - ، كما جاء في حديث تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: ((الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))^(١).

قال الإمام النووي - رحمه الله - في بيان المراد بالنصيحة لأئمة المسلمين: ((وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب الناس لطاعتهم))^(٢).

ومن الأمور التي يجب التنبيه عليها هنا: أن النصيحة لولي الأمر لا تكون إلا سراً، كتابة أو مشافهة، لا جهرًا كما في حديث عياض بن غنم - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبيده علانية، وليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا فقد أدى الذي عليه))^(٣).

المطلب السادس

حرمة الخروج على ولي الأمر

الخروج على ولاة الأمر ومنازعتهم ونزع اليد من طاعتهم حرام بإجماع المسلمين، وبهذا جاءت النصوص الكثيرة المستفيضة عن النبي - ﷺ - ،

١ أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة: رقم (٥٥).

٢ شرح مسلم على النووي: ٣٨/٢ وانظر معالم السنن للخطابي: ١٢٦/٤.

٣ أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٥٤٠٨) والبيهقي في الكبرى: ١٦٤/٨ وصححه الشيخ شعيب في تحريجه للمسند.

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : ((وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت النصوص بما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق..، وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين..))^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : ((المشهور من مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي - ﷺ - ؛ لأن الفساد في القتال، والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفاسدين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته))^(٢).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله - في عقيدته المشهورة (العقيدة الطحاوية): ((ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - ﷻ - فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة))^(٣).

١ شرح النووي على مسلم: ٢٢٩/١٢.

٢ منهاج السنة النبوية: ٣٩١/٣.

٣ العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز: ٥٤٠/٢.

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا يسع أحداً الخروج عليها، ومن خالفها كان من أهل البدع والأهواء، ومن النصوص التي دلت على وجوب الطاعة وحرمة الخروج على ولاة الأمر: ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))^(١).

فهذا الحديث الصحيح الصريح فيه دليل واضح على حرمة الخروج على ولاة الأمر، وأن ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبه إذا مات على ذلك كانت ميتته كميتة أهل الجاهلية، نعوذ بالله من ذلك.

المطلب السابع

الذب عن ولي الأمر بالقول والفعل

جاء الشارع الحكيم كما في قوله - ﷺ - : ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم...))^(٢).

وهذا في حق آحاد المسلمين، ويتأكد ذلك في حق ولاة الأمر؛ لعظم شأنهم ورفيع مكانتهم، ووجوب طاعتهم ومحبتهم.

ويدل لهذا ما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (كان الأكابر من أصحاب رسول الله - ﷺ - ينهوننا عن سب الأمراء)^(٣).

١ أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين: (١٨٥١).

٢ تقدم تخريجه.

٣ أخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ٢٨٧/٢١.

وفي رواية عنه : (لا تسبوا أمراءكم ، ولا تغشوهم ، ولا تبغضوهم ،
واتقوا الله واصبروا ، فإن الأمر قريب))^(١).

وعليه فلا يحل لأحد - عملاً بعموم النصوص الدالة على حرمة
الأعراض ، والنصوص الدالة على وجوب الذب عن أعراض المسلمين - أن
يقدم على الطعن في إمامه ، أو الإساءة إليه ، لا بالقول ولا بالفعل ، ويجب
على كل أحد أن يذب عنه الإساءة ونحوها ؛ لقوله - ﷺ - : ((من رد عن
عرض أخيه رد الله عنه النار يوم القيامة))^(٢).

المطلب الثامن

الدعاء لولادة الأمر في خطب الجمع وغيرها

اهتم السلف الصالح بالدعاء للسلطان ، وهو ولي أمر المسلمين ، وقد كان
عمل المسلمين على ذلك.

وما ذلك إلا لأن صلاح الأئمة يعود على الناس والوطن بالصلاح
والخير ، وهذا أمر مشاهد معروف.

ومن أسباب صلاح الأئمة الدعاء لهم من الرعية ، لا سيما من أولي
العلم منهم^(٣).

ومن الأدلة على ذلك :

١ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة : ٤٨٨/٢.

٢ أخرجه الترمذي وحسنه : حديث رقم (١٩٣٢) وأحمد في مسنده : (٢٨٠٩٣) وصححه
الألباني في صحيح الجامع : (٦٢٦٢).

٣ ينظر : إعانة الخطباء والأئمة بفقهاء إمامة الأمة لمحمد بن زيد المدخلي / ٧٨.

- ١ - ما ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال :
 ((اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير ما استقامت لهم ولا تههم
 وهداتهم))^(١).
- ٢ - عن أبي مسلم الخولاني - رحمه الله - قال عن الأمير : ((إنه مؤمّر
 عليك مثلك ، فإن اهتدى فاحمد الله ، وإن عمل بغير ذلك فادع له
 بالهدى ، ولا تخالفه فتضل))^(٢).
- ٣ - وعن الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه قال : ((لو أن لي دعوة
 مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام))^(٣).
- ٤ - وعن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إمام أهل السنة قال عن
 إمام المسلمين : ((وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار
 والتأييد ، وأرى ذلك واجباً عليّ))^(٤).
- ٥ - ويقول العلامة البربهاري - رحمه الله - : ((إذا رأيت الرجل
 يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا رأيت الرجل
 يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة))^(٥).

المطلب التاسع

وجوب الصبر على من جار من الأئمة

-
- ١ المرجع السابق / ٧٨.
 - ٢ المرجع السابق / ٧٨.
 - ٣ المرجع السابق / ٧٨ ، ٧٩.
 - ٤ المرجع السابق / ٧٩.
 - ٥ شرح السنة ، ينظر المرجع السابق / ٧٩.

الصبر على جور الأئمة أصل متفق عليه عند أهل السنة والجماعة ، وقد
 دل على هذا الأصل كثير من النصوص ، ومن ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنه -
 أن النبي - صلى الله عليه وآله - قال : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من
 فارق الجماعة شبراً فمات فميتته ميتة جاهلية))^(١) .

وفي رواية لمسلم : ((من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه..))^(٢) .
 وغير ذلك من النصوص :

قال ابن أبي الأزرق : (فالصبر على السلاطين إذا جاروا من عزائم
 الدين ، ومن وصايا الأئمة الناصحين)^(٣) .
 وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (الصبر على جور الأئمة
 أصل من أصول أهل السنة والجماعة)^(٤) .

المطلب العاشر

جمع محبة الناس عليهم ، ورد القلوب النافرة إليهم

ذكر الإمام ابن جماعة - رحمه الله - أن من حقوق ولادة الأمر : (رد
 القلوب النافرة عنه إليه ، وجمع محبة الناس عليه ؛ لما في ذلك من مصالح
 الأمة ، وانتظام أمور الملة ، والذب عنه بالقول والفعل ، وبالمال والنفس
 والأهل في الظاهر والباطن والسر والعلانية)^(٥) .

١ تقدم تخريجه .

٢ أخرجه مسلم : ١٤٧٧/٣ .

٣ بدائع السلك في طبائع الملك : ٧٦/١ .

٤ مجموع الفتاوى : ١٧٩/٢٨ .

٥ تحرير الأحكام : ص / ٦١ - ٦٤ .

المبحث السادس

وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة مفارقتها :

جاء الوعيد الشديد من الله - تعالى - ورسوله - ﷺ - من مفارقة الجماعة.

وقد فرض الله على كل مسلم ومسلمة لزوم الجماعة، قال - تعالى - :
واعتصموا بجلل الله جميعاً ولا تفرقوا ^(١).

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (عليكم جميعاً بالطاعة والجماعة، فإنها حبلى الله الذي أمر به) ^(٢).

وقد تقدم مراراً قوله - ﷺ - : ((من فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية)) ^(٣).

وفي رواية : ((من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)) ^(٤).
قال ابن عبد البر : (الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه، يريق الدم، ويبحبه ويوجب قتال من فعل ذلك)) ^(٥).

١ سورة آل عمران : ١٠٣ .

٢ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) : ١٨٢/٣ .

٣ تقدم تخريجه .

٤ تقدم تخريجه .

٥ التمهيد ٢٨٢/٢١ - ٢٨٣ .

المبحث السابع

شبهة تتعلق بمصطلح الوطنية والرد عليها

من المفاهيم التي أشكلت على البعض ، فظن أنها تتعارض مع مفهوم الجماعة - الذي ورد ذكره في النصوص التي سبق الإشارة إلى بعض منها - : مفهوم الوطنية... فنقول - وبالله التوفيق - : إن مفهوم الوطنية واضح في أذهاننا لا غبش فيه ، ولا غبار عليه... ، ولا يتعارض مع غيره من المفاهيم والمصطلحات الإسلامية أو غيرها ، ولسنا في حاجة عند البحث فيه أو استعماله إلى أن نبحث عن ألفاظ مرادفة له محتملة غير واضحة كلفظ الجماعة أو غيرها... أو أن نغالي فيه فنقول : إنه من الألفاظ المستوردة الدخيلة على لغتنا ومفاهيمنا ، بل إن أصوله ضاربة في القدم في لغتنا العربية ، ومصادرنا الإسلامية ، وتراثنا التاريخي... ، فمصطلح (الوطن) و(البلد) و(الديار) و(الأقطار).. تعج بها اللغة ، والتراث الإسلامي ، وهي محددة مفهومة لنا بالفطرة والجلبة ، فضلاً عن التعلم والبحث والتنقيب والتأصيل... ، ألا ترى إلى إجماع الأمة قاطبة على جواز تعدد الأئمة في الأقطار أو البلدان ، وأن من تغلب على قطر أو وطن ، وتمت البيعة له وجبت طاعته ، ونفذ أمره ونهيه فيه. فإن قام من ينازعه في القطر أو البلد الذي ثبتت فيه ولايته له ، وبايعه أهله ، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب ويعد ويرجع... ، كما قرر ذلك الأئمة الأعلام من فقهاءنا كشيخ الإسلام ابن تيمية والجويني والشوكاني ومحمد بن عبد الوهاب ، وغيرهم من الأئمة ، فيرد عندها لزماً مفهوم الوطن وحدوده ، وكيانه ، وحمايته ، ومولاته ؛ إذ أن ذلك من الطاعة الواجبة لإمامه

وولي أمره التي أمر الله - تعالى - بها في قوله - تعالى - : **ثيا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ، وأجمع عليها فقهاء الأمة ، ومن ثم لا يرد هنا القول بأن هذا المصطلح ((الوطنية)) يفرق الأمة ، ويعد عائقاً أمام وحدتها ؛ لأننا نقول بأن هذا المصطلح متعلق بالحدود التي اقتضاها القول بتعدد الأئمة والأوطان ، أما الولاية والمحبة للمؤمنين ، فإن ذلك متعلق بعقيدة المسلم ، حيث يلزمه ذلك على الجملة ، وإن تعددت الأوطان ، كما هو مفصل في كتب أهل العلم ، فلا يحول دونه تعدد الأوطان أو الأقطار أو الولايات كما هو واقع المسلمين اليوم ، ومنذ انقضاء الخلافة الراشدة .
وعليه فإن مصطلح الوطنية يتعلق بولي الأمر في وطنه أو قطره الذي ثبتت له فيه الولاية ، ولزم بها حقوق وواجبات على الرعية .

وعليه فإننا نقول بفخر وبلا تردد : إن وطننا (المملكة العربية السعودية) محدد المعالم ، معروف الأماكن ، واضح الميزات والخصائص والفضائل ، غني بخيراته وثرواته منذ وحده المؤسس الباني الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - ، نعيش كما عاش أسلافنا تحت ظله عيشة كريمة ، وارفة الظلال ، استغنيا بها - بحمد الله - عن غيرنا ، حيث توفر لنا فيه - بحمد الله وفضله ومنته - كل مقومات الحضارة والحياة الآمنة المطمئنة ، والرعاية اللائقة المستقرة ، وتحصيل العلم بمختلف فنونه وأقسامه ، دستوره الإسلام ، ومصدر الحكم فيه الكتاب والسنة ، تطبق فيه الحدود والتعزيرات ، ويسود فيه العدل والوسطية ، والأمر والنهي ، ويحارب فيه الإرهاب والتشدد والتطرف والغلو.. يجمع بين الأصالة والمعاصرة.. فيحافظ على الثوابت الدينية

والتقاليد العربية الأصيلة، ويأخذ بكل جديد مفيد من شتى فنون الحضارة والمدنية الحديثة...

فواجب علينا حبه، والاعتزاز به، والنصح له وحمايته، والدفاع عنه، والذب عنه والموت دونه، والعمل على رقيه وتقدمه وتنميته، والحفاظ على حرماته، ووحدته وتماسكه وائتلافه، وأمنه وسلامته واستقراره وراحته... فضلاً عن مكتسباته ومقدراته وممتلكاته... واحترام كل وافد إليه أو مقيم فيه، مسلماً كان أو غير مسلم وفق الضوابط الشرعية، والأنظمة والآداب المرعية، وعدم التعرض لأي من ذلك بأي نوع من أنواع الأذى..

وكل هذا لا يتعارض مع حبنا لله ولرسوله، وتقديم جبهما على من سواههما مصداقاً لقول الله - تعالى - : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^١، وتمسكنا بمعتقدنا الحق، وحبنا حباً شرعياً لكل من ينتمي إليه ويدين به كما لا يتعارض مع انتمائنا لأمتنا الإسلامية، وانضوائنا تحت لواء أهل السنة والجماعة من أهل الملة والديانة من أبناء أمتنا المسلمة فوق كل أرض وتحت كل سماء، ومعرفتنا ما لنا وما علينا تجاه ذلك من حقوق وواجبات، فلكل مكانته وحقوقه وواجباته من غير تداخل أو تناقض، بل تكامل وتعاون وتكافل ومصالح مشتركة..

الخاتمة

من خلال ما تقدم من مباحث هذا الموضوع وما تم تقريره فيه وما تم من ذكره من كلام أهل العلم نستطيع أن نخلص إلى أهم النتائج التي ظهرت من ذلك، وهي :

١ - أن مصطلح العقيدة يعني : الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس ، حتى تصبح يقيناً ثابتاً لا يمازجه ريب ، ولا يخالطه شك.

٢ - أن العقيدة الإسلامية تعني : الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره.

٣ - أن مصطلح السنة مصطلح معروف ، وردت به النصوص والآثار عن الصحابة الكرام ، وتداوله علماء الأمة الأخيار ، خلفاً عن سلف وإلى يومنا هذا.

٤ - أن مصطلح الجماعة مصطلح معروف كذلك ، وردت به السنة النبوية في أكثر من حديث ، وله مفهوم واضح محدد عند السلف ، وهو الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة.

٥ - أن مصطلح ولاية الأمر تعني : الولاية العامة على الناس ، ويطلق على صاحبها ولي الأمر أو الخليفة أو السلطان أو الملك ونحو ذلك من الألقاب العامة المعلومة.

٦ - موضوع ولاية الأمر له أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية ؛ إذ لا تستقيم حياة الناس إلا بولي أمر يضطلع بأمرهم ، ويقوم على

- مصالحهم ولا يستقيم الدين كذلك ، ولا تقوم له قائمة إلا بولي أمر ،
 فلا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة .
- ٧- أن التمسك بمنهج أهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة سبيل
 النجاة والفلاح .
- ٨- أن أهل العلم قاطبة أجمعوا على وجوب تنصيب إمام للمسلمين .
- ٩- نقل بعض أهل العلم الإجماع على جواز تعدد الأئمة في الأقطار ، وأن
 كل إمام تنفذ أحكامه في قطر ، ويعطى من الحقوق ما يعطاه الإمام
 الأعظم .
- ١٠- حاجة الخلق إلى ولاية الأمر فوق كل حاجة ؛ إذ لولا الولاية لأصبحت
 الحياة غابة ، ففسد على أهلها من كل وجه .
- ١١- لولاة الأمر حقوق متفق عليها عند أهل العلم ، ومن هذه الحقوق
 السمع والطاعة والبيعة والنصرة وحرمة الخروج عليهم ، والدعاء لهم
 وجمع القلوب على محبتهم وغيرها من الحقوق .
- ١٢- أن الالتزام بطاعة ولي الأمر والدعاء له والقيام بحقوقه ، وتأليف
 القلوب عليه طاعة لله وعملاً بهدي الرسول - ﷺ - ، يعد عملاً من
 أعمال القلوب ، وأن الخروج عليه بأي وسيلة من وسائل الخروج سواء
 أكان بالقول أم بالفعل محرم بنصوص الكتاب والسنة .
- ١٣- يجب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، ويحرم مفارقة الجماعة ، ومن
 فعل فقد حل دمه ، وخلع ربقة الإسلام من عنقه .

١٤ - أن مصطلح الوطنية مصطلح لا يتعارض مع الشرع، بل يوافقه، وهو لازم من لوازم القول بتعدد الأئمة في الأقطار، وأن لكل منهم كافة حقوق وواجبات الولاية في حدود هذا القطر.
والله أعلم وأحكم.
وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحابه وسلم.

المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية لأبي يعلي الغراء.
٢. الأحكام السلطانية للإمام الماوردي.
٣. إعانة الخطباء والأئمة بفقه إمامة الأمة للشيخ محمد بن زيد المدخلي.
٤. الاعتصام للإمام الشاطبي.
٥. بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق - وزارة المعارف - السعودية.
٦. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام.
٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير - دار طيبة - الرياض.
٨. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
٩. التمهيد للحافظ ابن عبد البر - تحقيق قلنجي - دمشق.
١٠. تهذيب الرياسة للقلعي.
١١. جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت.
١٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الفكر العربي - بيروت.
١٣. الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الفكر - بيروت.
١٤. حقوق الراعي والرعية للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
١٥. الدرر السنية - جمع ابن قاسم.
١٦. سبل السلام للصنعاني - طبع جامعة الإمام بالرياض.
١٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - المكتب الإسلامي.
١٨. السنة لأبن أبي عاصم - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي.
١٩. سنن ابن ماجه القزويني.
٢٠. سنن أبي داود السجستاني.
٢١. سنن الترمذي.
٢٢. السبل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني.
٢٣. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.
٢٤. شرح الإمام النووي على مسلم.

٢٥. شرح السنة للعلامة البرهاري.
٢٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن العز - طبع المكتب الإسلامي.
٢٧. صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل - دار إحياء التراث.
٢٨. صحيح الإمام مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث.
٢٩. عقيدة التوحيد للشيخ الدكتور صالح الفوزان.
٣٠. غياث الأمم للجويني.
٣١. فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني - القاهرة.
٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي - قطر.
٣٣. القاموس المحيط للفيروز أبادي.
٣٤. قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام - دار الفكر - بيروت.
٣٥. كتاب الشكر لابن أبي الدنيا - مكتبة السنة - مصر.
٣٦. لسان العرب لابن متطور الأفرقي.
٣٧. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل.
٣٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق ابن قاسم - الرياض.
٣٩. المحرر الوجيز لابن عطية.
٤٠. مستدرک الإمام الحاكم - دار الكتاب العربي - بيروت.
٤١. مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٤٢. مسند الشهاب.
٤٣. المطالب العالية للحافظ ابن حجر - دار الفكر - بيروت.
٤٤. معالم السنن للإمام الخطابي.
٤٥. المعرفة والتاريخ للنسوي.
٤٦. المغني لابن قدامة - دار هجر - القاهرة.
٤٧. مفهوم الجماعة والإمام للدكتور سليمان أبا الخيل.
٤٨. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - جامعة الإمام - الرياض.
٤٩. الوجيز في عقيدة السلف لعبد الحميد الأثري.



الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء

إعداد

الأستاذ الدكتور: صالح بن محمد الحسن

أستاذ الفقه بجامعة القصيم

السلفية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد
فتستمد الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء وترسم صورتها من خلال
الاطلاع على نصوص الكتاب ، والسنة. وتطبيقات سلف الأمة.
وبالاطلاع على الكتاب الكريم : (القران المجيد) يدهش المرء من كثرة
وجود كلمة (العلم) وما يتصرف عنها من اشتقاقات لغوية ، وكلها في مقام
التكريم ، والدعم للعلم والعلماء. فضلا عن الكلمات التي تضاد هذه
الكلمة : كالضلال ، والعمى ، والجهل التي وردت في مقام الذم والتبكي ،
وهي في مفهوم تكريم ودعم للعلم والعلماء. وب نظرة سريعة لمادة علم
ومشتقاتها في جزء من القران الكريم : نجد تكرارها في هذا الجزء أكثر من
أربعين مرة مما يعني تكرارها في القران الكريم أكثر من ألف و مئتي مرة. وهذا
التكريم أصدق دلالة وأوضح إشارة على مكانة العلم والعلماء عند الله عز
وجل.

ويكمل رسم ملامح صورة التكريم والدعم للعلم والعلماء : سنة
المصطفى عليه الصلاة والسلام القولية والفعلية ، ومنهج سلف الأمة في تفسير
القران الكريم ، والسنة النبوية ، سواء أكان تفسيرا قوليا أم تفسيرا علميا.
وستتناول بإيجاز إيضاح صورة الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء ،
معنويا ، وماديا من خلال محورين :

الأول: الدعم المعنوي للعلم والعلماء:

يعجز الباحث عن إيضاح الصورة كاملة لما ورد في القرآن الكريم من دعم للعلم، وبيان لمكانته، ولكنه قد يوفق في إيضاح بعض معالم هذه الصورة، وإيضاح هذه الرؤية؛ ولهذا سأكتفي بذكر مواضع من المنهج القرآني المبين لمكانة العلم والعلماء؛ تعطي القارئ الكريم صورة جيدة، وإن كان المنهج القرآني المبين لذلك يفوق ما سأذكره بكثير مما يجعل المجال أمام القارئ مفتوحاً للاطلاع على بحوث ودراسات في الموضوع ترسم صورة أجمل وأوضح وأكبر وإليك - أخي الكريم - أهم الأمور التي توضح مكانة العلم والعلماء

أ - العلم من صفات الله عز وجل:

ربنا جل وعلا وتقدس موصوف بصفات الكمال والجمال والجلال منزّه عن العيوب والنقائص، ومشابهة المخلوقين (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)^١ وقد وصف الله عز وجل نفسه في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين بصفات معلومة مدركة تؤمن بها ونعتقد بها ومن ذلك صفة العلم، فالله تعالى عالم بما كان وما يكون، وقد سمي الله نفسه عليهما في ثلاثمائة وخمسين آية^٢ ومن هذه الآيات قول الله عز وجل (والله يعلم وأنت لا تعلمون)^٣ وقوله سبحانه (وما يعلم تأويله إلا الله)^٤ وقوله سبحانه (وما تفعلوا من خير يعلمه الله)^٥ وقوله سبحانه (قل إنما

١ (الآية ١١ من سورة الشورى .

٢ (انظر كتاب الهدى والبيان في أسماء القرآن ص ٢٢٤

٣ (في آيات كثيرة منها ٢١٦ ، ٢٣٢ من سورة البقرة ، ٦٦ من سورة آل عمران .

٤ (الآية ٧ من سورة آل عمران .

٥ (الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

علمها عند ربي^١ وقوله سبحانه (وهو السميع العليم)^٢ وقوله سبحانه (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)^٣ وقوله سبحانه (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء الله)^٤ وقوله سبحانه (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)^٥ وقوله تعالى (قل إنما العلم عند الله)^٦ وفي حديث الخضر^٧ وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام (قال: وجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر)

فنسبة علم الخضر وموسى عليهما السلام إلى علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما لا يبلغ في المقدار إلا كما يبلغ أخذ هذا العصفور من البحر فهو جزء يسير وعلم الله لا يدرك قدره^٨.

ب - العلم منة الله على أنبيائه ورسله :

اختار الله عز وجل ، واصطفى طائفة من بني ادم ليكونوا رسله وأنبياءه إلى قومهم ليبلغوا لهم شرع الله ودينه ؛ فاصطفى سبحانه وتعالى هؤلاء

(١) الآية ١٨٧ سورة الأعراف .

(٢) في آيات كثيرة منها ١٣٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٣٢ من سورة النحل .

(٤) الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .

(٥) الآية ٧ من سورة غافر .

(٦) الآية ٢٦ من سورة الملك .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير - باب (وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى

أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) - ٨ / ٤٠٩ ح ٤٧٢٥ .

(٨) انظر كتاب الأسماء والصفات ١ / ١٨٧ .

الأنبياء والرسل واختارهم وخصهم بهذا الفضل والتكريم (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) ^١ وعصمهم الله سبحانه من الوقوع في الخطأ، وعلمهم ما فيه صلاحهم وصلاح أممهم. فمنحهم الله سبحانه أكرم المنح، وجملهم بأحسن الأخلاق؛ ليقوموا بواجب الرسالة والنبوة فكان العلم حيلتهم والذي به يهدون غيرهم من بني قومهم.

وأولهم آدم عليه السلام (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣)) ^٢

ويقول سبحانه عن نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) ^٣

روى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) ^٤ قال: بالعلم.

وقال ابن وهب عن مالك: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يرضعه الله في قلب من يشاء.

(١) الآية ٧٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٣١ - ٣٣ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .

والذي أوتي إبراهيم من العلم بالحجة - وهي التي تذكر للخصم على طريق المقابلة - كان في الدنيا بظهور دلالة التوحيد، وبيان عصمة إبراهيم عن الجهل بالله تعالى والشك فيه^١.

وقد ذكر يوسف عليه السلام منة الله عليه بالعلم في قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)^٢ يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي: وفي تضاعيف القصة - يعني قصة يوسف عليه السلام - فضيلة العلم من وجوه كثيرة، وبيان أنه سبب الرفعة في الدنيا والآخرة وسبب صلاح الدين والدنيا فيوسف عليه الصلاة والسلام لم ينل ما نال إلا بالعلم.

ولهذا قال له أبوه (وكذلك يجتنيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) وامتن عليه وقت مكثه عند عزيز مصر بالتجرد للعلم، وحاز مقام الإحسان بالعلم، وخرج من السجن في حال العز والكرامة بالعلم، وتمكن عند ملك مصر، واستخلصه لنفسه حين كلمه وعرف ما عنده من العلم، ودبر أحوال الخلق في الممالك المصرية بإصلاح دنياهم، وحسن تدبيره في حفظ خزائن الأرض وتصريفها وتوزيعها بالعلم، وعند نهاية أمره توسل إلى ربه أن يتولاه في الدنيا بالعلم حيث قال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل

(١) انظر كتاب أحكام القرآن ٧٤١/٢.

(٢) الآية ١٠١ من سورة يوسف.

الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) ^١

ويقول سبحانه عن نبيه: داوود وسليمان عليهما السلام (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠)) ^٢ فقد امتن الله سبحانه على نبيه عليهما السلام بما آتاهما من العلم الواسع والحكم بين العباد.

ويقول الله سبحانه عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) ^٣

قال الشوكاني - رحمه الله - تعالى: والكتاب: الكتابة، والحكمة: العلم.

وروى في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (ويعلمه الكتاب) قال: الخط بالقلم. ^٤

وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم

(١) الآية ١٠١ من سورة يوسف .

(٢) الآيات ٧٨ - ٨٠ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٤٨ من سورة آل عمران .

(٤) انظر كتاب فتح القدير ١/٣٤١ ، ٣٢٣ .

الإنسان ما لم يعلم (٥)»^١، وهذه الآيات الكريمة أول ما نزل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في صحيح البخاري^٢، وفيها أمره صلى الله عليه وسلم بالقراءة، وذكر نعمة الله عليه وعلى أمته بالعلم والقلم الذي يتم به تقييد العلم.

قال ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره: ثم عدد تعالى نعمة الكتابة بالقلم على الناس، وهي موضع عبادة، وأعظم منفعة في المخاطبات وتخليد المعارف، وقوله (علم الإنسان ما لم يعلم)^٣ قيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: اسم الجنس وهو الأظهر، وعدد تعالى نعمة اكتساب المعارف للإنسان بعد جهلهم بها^٤.

وقال ربنا جل وعلا على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين)^٥ فقد ذكر الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يدعو إلى الله على طريقة قائمة على العلم واليقين من غير شك ولا مرأى ولا مرية^٦.

(١) الآيات من ١ - ٥ من سورة العلق .

(٢) انظر صحيح الإمام البخاري مع الفتح كتاب التفسير - سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق - ٧١٤/٨ .

(٣) الآية (٥) من سورة العلق .

(٤) المحرر الوجيز ٥١٠/١٥ .

(٥) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٦) انظر كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٣/٤ .

وامتن الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بالهداية إلى الصراط المستقيم والحفظ من الضلال بالعلم والحكمة (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) ^١.

ج - العلم طريق السعادة في الدنيا والآخرة :

الإنسان في هذه الحياة - المؤمن والكافر - ينشد السعادة ويبحث عنها ويتفياً ظلالها سواء طالت هذه الحياة ، أو قصرت فهو يأكل ليسعد ، ويشرب ليسعد ، وينام ليسعد ، ويبحث عن المال ليسعد وهكذا بقية سعيه وحركته يبحث عن السعادة والطمأنينة والرضا.

ولا شك أن الإنسان ينال في حياته قسطاً من السعادة يقل أو يكثر ، متأثراً بعوامل عدة تحيط به ، ويتعامل معها.

وإن أفضل الطرق وأقصرها لنيل السعادة إنما هو طريق العلم : العلم الذي يهدي إلى الإيمان.

ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والدار الآخرة يدرك أن طريق السعادة إنما هو الصراط المستقيم الذي بينه الله تعالى في كتابه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى

(١) الآية ١٦٣ من سورة النساء .

صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣) ^١.

والروح - في هذه الآية - : القرآن، وهدى الشريعة سماه روحا من حيث يحيا به البشر والعالم كما يحيا الجسد بالروح ^٢.

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - : فجاءك هذا الكتاب الذي جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق ويهتدون به إلى الصراط المستقيم ^٣ ويقول الله جل وعلا (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) ^٤

فمن علم العلم الذي ينفعه، ويهديه إلى الصراط المستقيم جاء يوم القيامة إلى نعيم ربه وما أعد له ولأمثاله من أهل الجنة وهو ممتلئ سعادة وفرحا، وأمنا. وضدهم - والعياذ بالله - وبضدها تتمايز الأشياء : أهل الجهل والضلال والإلحاد فجزاؤهم يوم القيامة الجحيم والخوف والعذاب. ولهذا قال ربنا جل وعلا عن القرآن الكريم، وفضل تعلمه والعمل به (قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) ^١

(١) الآية ٥٢، ٥٣ من سورة الشورى .

(٢) انظر كتاب المحرر الوجيز ١٣ / ١٩٤ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦ / ٦٣١ .

(٤) الآية ٤٠ من سورة فصلت .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : قوله تعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير)^٢ قال مقاتل : نزلت في أبي جهل.... ثم قال : قوله تعالى (لا يخفون علينا) هذا وعيد بالجزاء (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) وهذا عام غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال :

أحدها : أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق رواه الضحاك عن ابن عباس... والثالث : أبو جهل و رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله السائب ومقاتل ، والرابع : أبو جهل وعثمان بن عفان حكاه الثعلبي... والسابع : الكافر والمؤمن حكاه الماوردي ١. هـ ٣.

ويتضح بالمقارنة في أقوال المفسرين بين أهل الشقاء وأهل السعادة : أن الطريق الحق الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة إنما هو في المنهج الذي أنزله الله عز وجل على رسله وأنبيائه ، فمن تعلم وعمل بما فيه فقد تعلم ما ينفعه ويسعده في دنياه وأخراه نسأل الله عز وجل الهداية إلى الصراط المستقيم. ويقول سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله -^٤ : وإنما يعبد الله ، ويؤدى حقه ، وينشر دينه ، وتحارب الأفكار الهدامة ، والدعوات المضللة ، والأنشطة المنحرفة : بالعلم النافع المتلقى عن كتاب الله عز وجل

(١) الآية ٤٤ من سورة فصلت .

(٢) الآية (٤٠) من سورة فصلت .

(٣) زاد المسير ٢٦١/٧ .

(٤) انظر مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد السادس السنة الثانية سنة ١٤١١ هـ ص ٧ .

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا إنما تؤدي الفرائض بالعلم ويتقى الله بالعلم ، وبه تكتشف الحقائق الموجودة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال جل وعلا في كتابه العزيز (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) اهـ.

وكذا بين المصطفى صلى الله عليه وسلم في سنته قيمة العلم ومكانته في حياة الإنسان ، وكيف يوصله إلى السعادة الدائمة فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين...)^١ فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من تفقه في الدين - والفقه في الدين من أجل العلوم وأنفعها للفرد والأمة - فقد أراد الله به خيرا ومن أراد الله به خيرا فقد أوتي السعادة الحقة لأنه قد استجمع أبواب الخير كلها المادية والمعنوية في حاضره ، ومستقبله.

يقول الحافظ ابن حجر^٢ : قوله : يفقهه : أي يفهمه كما تقدم وهي ساكنة الهاء لأنها جواب الشرط ، يقال : فقهه - بالضم - إذا صار الفقه له سجية ، وفقهه - بالفتح - إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقهه - بالكسر - إذا فهم ، ونكر خيرا ليشمل القليل والكثير ، والتكثير للتعظيم لأن المقام يقتضيه.

ومفهوم الحديث : أم من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حُرِم الخير ، وقد أخرج أبو يعلى حديث

١ (صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ١/١٦٤)

٢ (فتح الباري ١/١٤٦ ، ١٦٥ .)

معاوية من وجه آخر - ضعيف - وزاد في آخره (ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به) والمعنى صحيح ، لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه ، فيصح أن يوصف بأنه ما أراد به الخير ، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس ، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم. ١.هـ

وفي الحديث الأخير يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (... ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة...) رواه مسلم^١.

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -^(٢) : قوله طريقا نكرها ، ونكر علماً : لتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية ، وليندرج فيه القليل والكثير ، قوله (سهل الله به طريقا) أي في الآخرة أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة ، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه ، لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة ، أهـ

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - في كتابه الصحيح بقوله : باب الاغتباط بالعلم والحكمة ، وأورد فيه حديثاً أن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا في اثنتين ؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الدعوات باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ١٧/ ١٦٠ .

(٢) فتح الباري ١/ ١٦٠ .

والمراد بالاغتباط بالعلم: أن يتمنى المرء أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه، وهو المراد بالحسد الذي أطلق في الحديث وهذا يسمى منافسة. فإن كان في الطاعة فهو محمود، وإن كان في المعصية فهو مذموم، وإن كان في الجائزات فهو من مباح.

فدل هذا الحديث على الحث على المنافسة في طلب العلم لنفع الناس والعمل به. وذلك لأن العلم نور يهتدي به صاحبه ويهدي به الخلق إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة^١.

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا)^٢. ومعناه؛ تفقهوا وأنتم صغار قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الأنفة عن الأخذ بمن هو دونكم فتبقوا جهالا. فهي وصية للطالب باغتنام الزيادة قبل وصول درجة السيادة، فالعلم يوصل صاحبه إلى السيادة والرفعة في الدنيا والآخرة^٣.

وقد مثل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم النبوة وما جاء به من الوحي والحكمة بالغيث في نفعه للأرض وما يؤثر فيها من الحياة والنماء، ومثل المتلقي لهذا العلم بأنواع الأرض من حيث خصوبتها وارتفاعها بالمطر فالخلق كذلك منهم من أوتي فقها ووعيا يحصل به علما كثيرا فينفع نفسه وينفع غيره ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من لا يستفيد شيئا.

(١) انظر كتاب فتح الباري ١/١٦٦، ١٦٧.

(٢) انظر صحيح الإمام ١/١٦٥. وقد أورده - منقطعا - في ترجمة الباب ووصله ابن أبي شيبة وغيره وإسناده صحيح كما ذكره ابن حجر في الفتح.

(٣) انظر كتاب فتح الباري ١/١٦٦.

يقول عليه الصلاة والسلام (مثل ما يثني الله به من الهدى والعلم ؛ كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، وأنبتت الكأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) متفق عليه ^١ .
والأجادب : الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء.

د - العلماء ورثة الأنبياء :

خلق الله عز وجل الإنسان وكرمه بالعقل الذي به يتميز عن سائر المخلوقات في الأرض مما جعله بعقله سيد الأرض المتصرف فيها ، وسائر المخلوقات خدم مسخرة لأجله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) ^٢ .
ولتأهله بالعقل الذي يميز به بين النافع والضار كلفه الله عز وجل بحمل الأمانة التي هي أمر الله وشرعه (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) ^٣ .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب فضل من علم وعمل ١٧٥/١ ح ٧٩ . ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى العلم ٤٥/١٥ .

(٢) الآية ٢٩ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

ولأن الله عز وجل الذي خلق الكون كله عالم بما فيه ، ما يرى منه ، وما لا يرى ، وما يدرك منه ، وما لا يدرك ، كما أن الإنسان بما جبل عليه من الخير والشر ، والحب والكره وغرائزه المختلفة ونوازعه المتعددة ، ولأن عقله قاصر عن الإحاطة بكل شيء متفاوت في إدراكه من شخص لآخر : اصطفى ربنا جل وعلا فئة من خلقه ليكونوا أنبياءه ورسله يبلغون وحيه ، وما يصلح لعمارة هذه الأرض ، يبلغهم منها يسرون عليه في عقائدهم ، وأعمالهم وما شرعه الله عز وجل لهم من عبادات يحتاجون إليها ، ويتقربون بها إلى خالقهم.

ولأن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشر من آدم يجري عليهم ما يجري على غيرهم فيموتون. وما جاؤوا به باق متعبد به إلى يوم القيامة فإن العلماء – وبخاصة علماء الدين – : هم الذين يتعلمون وحي الله القرآن الكريم بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغوها للناس ، ويعلموها للخلق ، فيكونوا بهذا ورثة للأنبياء والرسل في إبلاغ وحي الله وشرعه وهداية الخلق ودلائلهم عليه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ^١.

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم – ٥٧/٤ ح ٣٦٤١ والترمذي في سننه في باب فضل الفقه على العبادة ٣١٢/٤ ح ٢٦٩١ .

فهذا الحديث ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فسائر الناس يرثون المال ، ويرثون الجاه ، ويرثون المناصب وغير ذلك من حظوظ الدنيا القصيرة. والعالم يرث الأنبياء ، ويرث علمهم ويرث أخلاقهم ، ويرث فضلهم ، ويرث محبتهم للخلق ، ونصحهم للخلق ، وهدايتهم للخلق ، وتيسير سبل الحياة الكريمة والعاقبة الحسنة ، ولهذا فإنهم أهل الحظ والوافر الغني الممتد الذي تنال به السعادة في الدارين.

ولهذا قال الحسن البصري ، - رحمه الله - : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم^١.

وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم ، قيل كيف ذلك ؟ قال : لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : حاجه الإنسان إلى العلم أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب^٢.

يقول سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في بيان فضائل العلم : إنه إرث الأنبياء. فالأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام - لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء ، فأنت الآن في القرن الخامس عشر - إذا كنت من أهل العلم - ترث محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر الفضائل^٣.

١ (الرسول والعلم ص ١١).

٢ (الرسول والعلم ص ١١ ، ١٢).

٣ (مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢٠/٢٦).

د - الرفعة والمكانة في الدنيا والآخرة :

العلم نور، ومعرفة وهداية إلى ما يكون به صلاح الفرد والمجتمع في الأمور الاعتقادية، والفكرية، وفي الأمور السلوكية والعملية، وفي الأمور المهنية، والفنية؛ فمن اعتقد على علم نفعه اعتقاده ودله على ما يجب عليه نحو خالقه ورازقه، ونحو نفسه، وإخوانه المسلمين، وما خلقه الله من ملائكة وجنة ونار وبعث ونشور... الخ ومن نظر إلى القضايا التنظيرية في علم النفس والاجتماع والسلوك وغيرها بعلم وبصيرة تمكن منها، وحكم على الأمور بصدق واعتدال وتوسط، ومن عبد الله على علم وبصيرة قام بما يجب عليه نحو خالقه جل وعلا.

وكذا في الأمور المهنية كالطب، والهندسة، وغيرها: إنما ينفع الناس من يعمل بعلم وخبرة.

وبضدها تتميز الأشياء فالجاهل يتخبط في الظلمات يضر بنفسه وبالآخرين، ويقصر بحق نفسه وفي حق خالقه، وفي حقوق العباد، ويكون وبالاً على نفسه، وعلى غيره.

وقد بين ربنا جل وعلا في كتابه الكريم أنه يرفع بالعلم درجات يرتقي فيها العالم نورا وبصيرة وهداية (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)^١.

وروى مسلم^١ في صحيحه أن عمر رضي الله عنه سأل أحد ولاته قائلاً: من أستخلف على أهل هذا الوادي؟ يريد مكة قال: استخلف ابن أبي أبزى

(١) الآية ١١ من سورة المجادلة .

رجل من موالينا، فقال عمر: أستخلف عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين: (إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص) فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: يرفع الله بهذا الكتاب قوما ويضع آخرين.

وروى مسلم^٢ - أيضا - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... أو علم ينتفع به...)

فالعلم يجعل العمل الصالح النافع مستمرا لصاحبه حتى بعد مماته يزيد به ذكرا حسنا، ودرجات في منزلته عند ربه وكفى بذلك رفعة ومكانة.

وأخرج الإمام البخاري^٣ - رحمه الله - في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) فالمعدن النفيس يزيده العلم نفاسه وخيريه تجعله قريبا من كل خير، وبعيدا عن كل شر، وجاء في كتاب الحث على طلب العلم: فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة، وتلتمس عزا لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه - ٩٨/٦ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٨٤/١١ .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) ٤١٧/٦ ح ٢٣٨٣ .

غير عشيرة، وأعوأناً بغير أجر، وجندا بلا ديوان وفرض: فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه... ولأمر ما: اجتهد فيه طائفة من العقلاء، وتنافس عليه الحكماء، وتحاسد فيه الفضلاء^١ أهـ.

وقد قال علي رضي الله عنه: إن قيمة كل امرئ ما يحسنه.
وقال سليمان بن مهران الأعمش التابعي المشهور: أنا ممن رفعه الله بالقرآن لولا القرآن لكان على رقبتى دن من صحناء أبيعه.
وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، وذلك أن المملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على المملوك.
قال الشيخ أبو هلال العسكري: ولعمري إن شيئاً ينزل المملوك منزلة المملوك، ويحل التابع محل المتبوع، ويحكم به السوق على الملك العظيم لحقيق أن ينافس فيه، ويحسد صاحبه عليه، ويجتهد في طلبه أشد الاجتهاد.
وقال - أيضاً - ولفضل العلم ذلت في التماسه الأعزاء، وتواضع الكبراء، وخضع لأهله ذوو الأحلام الراجحة، والنفوس الأبية، والعقول السليمة، واحتملوا فيه الأذى، وصبروا على المكروه. ومن طلب النفس خاطر بالنفيس وصبر على الخسيس^٢.

وانظر - أخي الكريم - لقصة موسى عليه السلام وهو نبي يوحى إليه كيف تواضع مع الخضر وصبر معه، وانتظر حتى نفذ صبره من أجل طلب العلم، والزيادة فيه قال تعالى: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع

(١) الحث على طلب العلم ص ٤٣ .

(٢) الحث على طلب العلم ص ٥٤، ٥٣، ٥١، ٤٥ .

البحرين أو أمضي حقبا (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذا سبيله في البحر سربا (٦١) فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢) قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٦٥) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبرا (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا (٦٩) ١.

قال القاضي أبو بكر بن العربي^٢ - رحمه الله - عند ذكر قصة الخضر: المسألة الثالثة: فيه الرحلة في طلب العلم ليس بفرض، وقد رحلت الصحابة فيه وأذن لهم في الترحل في طلب الدنيا فضلا عن الدين. أهـ

وقال ابن عطية^٣ في تفسيره: وفي هذه القصة من الفقه: الرحلة في طلب العلم، والتواضع للعالم. أهـ

وقال ابن الجوزي^٤ - رحمه الله - : وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم، واتباع المفضول للفاضل طلبا للفضل، وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب اهـ.

(١) الآيات (٦٠ - ٦٩) من سورة الكهف .

(٢) أحكام القرآن ١٢٤٤/٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٣٤٩/٩ .

(٤) زاد الميسر ٣٤٩/٥ .

وإذا كان الحديث عن الرفعة والمكانة العالية للعلم والعلماء في المنهج الإسلامي فلا بد من الإشارة إلى أن الولاة في الدولة الإسلامية كانوا ينزلون العلم والعلماء هذه المكانة ، ويرفعونهم إلى هذه المنزلة ، عملاً بالمنهج الإسلامي ، وتهيئةً للمناخ المناسب للتنافس في العلم والجد في التحصيل ، والبذل لأبناء الأمة تعليمًا ، وتوجيهًا ونصحًا وإرشادًا.

ومن النماذج المشرقة - في تاريخنا الإسلامي - في إكرام العلماء ، واحترامهم ، وإعلاء شأنهم منهج الدولة السعودية المباركة منذ قيامها في دورها الأول حيث رعت هذه الدولة - مدارس العلم ، وشجعت العلماء على التفرغ للعلم ، وتعليم الناس ، ونشر المعروف ورعت الدولة السعودية المباركة - منذ قيامها - مدارس العلم في بلادنا ، وشجعت العلماء على تعليم الناس الخير ، ونشر المعروف ، والآداب الشرعية في المساجد ، والكتاتيب ؛ حيث قامت مدارس الدعوة في أكثر المدن والقرى ، يتعلم الناس فيها العلم ، ويحفظون القرآن والسنة ، كما برز كثير من العلماء بالفقه في الدين والدعوة إليه ، وتأليف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة.

وقد كان لعلماء الشريعة - في هذه البلاد - المكانة العالية والتقدير والاحترام من قبل ولاة الأمر مما جعل عامة الناس يحترمونها ويحفظونهم ويصدرون عنهم ، ويقبلون على الانتفاع بهم.

ولهذا أقبل الناس على العلم ، وفرغ كثير منهم أبناءهم لطلب العلم منذ الصغر ينتقلون من مدرسة إلى أخرى ومن معلم إلى آخر بحسب مستويات هذه المدارس وهؤلاء المعلمين.

ولقد ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - مجموعة من الكتب القيمة النافعة: ككتاب التوحيد، وكشف الشبهات نفع الله تعالى بها في عصره وبعده إلى يومنا الحاضر، كما اختصر كتباً أخرى يرى حاجة الناس إليها: كالسيرة النبوية، والإنصاف والشرح الكبير، وعرف الناس بوجوب التعلق بالكتاب والسنة وكتب سلف هذه الأمة، وبخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (٧٢٨هـ) وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية (٧٥٧هـ) فأكب الناس على هذه الكتب تعليماً ونشراً.

يقول المؤرخ عثمان بن عفان بن بشر في ترجمة الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود (١١٧٩ - ١٢١٨هـ) ^١ وكان متواضعاً يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم. وقال عنه أيضاً: وكان يوصي عماله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع... وكان مع ذلك كثير العطاء والصدقات للريعية، والوفود، والأمراء، والقضاء، وأهل العلم، وطلبته، ومعلمة القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد.

وقال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى - عند ذكر الإمام بن تركي ^٢: وكان إماماً عادلاً حليماً مهاباً وافر العقل سمحاً كريماً حسن السيرة سهل الأخلاق محباً للعلماء مجالساً لهم.

وفي كتاب عنوان المجد ^٣: وكان الإمام فيصل - متع الله به - له مع ربه سر يلتجئ في الشدائد إليه، وثقة به في كل نازلة يرجوه ويعول عليه، وقد

(١) عنوان المجد في تأريخ نجد ١/١٧١.

(٢) عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر ص/٤٩.

(٣) ٧٩/٢.

كان حفظ القرآن عن ظهر قلب - وهو صغير - وحافظ على تلاوته والتهجد به شابا وكبيرا ، وكان له حظ من الليل والقيام فيه.. إلى أن قال : وكان يحب العلماء ومجالستهم فلهذا أقاموا عنده أي قضاة البلدان النجدية أكثر من شهر فأظفر إعزازهم ، وإكرامهم وتوقيرهم ، واحترامهم.

وأما الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي وحد هذا الكيان الكبير - المملكة العربية السعودية - فإن العلماء عنده لهم مكانة عالية ومنزلة رفيعة حيث كان رحمه الله تعالى يجالس العلماء ويحترمهم ، ويعلي قدرهم ، ويشعر بهيبتهم ويستشيرهم فيما يعرض له من قضايا وأمور تستدعي المشورة. وكان - رحمه الله - يخصص في مجلسه حلقات علم ؛ في القرآن والتفسير وسائر العلوم الشرعية ، كما خصص - رحمه الله - يوما في الأسبوع وهو يوم الخميس ، للالتقاء بالعلماء والمشايخ ؛ للسمع إلى نصائحهم وإرشادهم ، وإطلاعهم على ما يحتاجون إليه من أمور الدولة وأخبار المناطق^١.

وقد حذا أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله - حذوه ، واستنوا بسنته في احترام العلماء وتوقيرهم ، والثناء عليهم ، والسمع منهم ، واتخاذهم مستشارين يشاركون في بذل النصيحة وبيان المعروف ، ولا يزال خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - وسمو ولي عهده الأمين يستقبلان العلماء كل أسبوع تقديرا لهم ، ورغبة في سماعهم ، والإفادة منهم.

١) انظر بحث توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي ضمن بحوث جائزة المدينة للدكتور محمد بن عبد الله السليمان .

الفصل الثاني : الدعم للعلم والعلماء

وإذا كان الإسلام ينزل العلم والعلماء المنزلة التي تمت الإشارة إليها في الفصل السابق ، وأنهم ورثة الأنبياء ومكلفون بهداية البشرية ودلائها على الخير ، والأخذ بها إلى مدارج الرقي والسعادة في مختلف مناحي الحياة فإن المال - بلا شك - سيكون أحد الخدم المسخرين لخدمة العلم والعلماء متى وجدت الحاجة إليه. وإذا كان المال خادما والعلم مخدوما ، كما أن العلم ينظم الأموال في موارد ، ومصارفها. فهو يحفظها ، وينظمها ، وينميها.

ولقد ذكر العيني في كتابه المدارس في تاريخ المدارس : أن العلم سبب لسوق الرزق إلى أهله من سائر البشر^١.

ولهذا فإنك ستجد نصوص الكتاب والسنة داعمة وداعية إلى صرف الأموال في أبواب العلم ، ومجالاته وكذا نصوص علماء الإسلام كما أن نهج المسلمين قديما وحديثا الصرف بسخاء في مجال العلم والتعليم.

وسأتناول - إن شاء الله - باختصار - إيضاح هذا الأمر في النقاط التالية :

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الكتاب والسنة.

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص علماء الإسلام.

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في منهج السلف.

(١) انظر كتاب المدارس في تاريخ المدارس ٥/١ .

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الكتاب والسنة :

وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تحث على الصدقة ، وعلى النفقة في سبيل الله ، وعلى القرض الحسن لله تعالى وهي وإن لم تنص على العلم والعلماء بشكل خاص فإن ذلك يدخل دخولا أوليا إذا قامت الحاجة إلى المال لإقامة دور العلم ، أو الإنفاق عليها ، وعلى معاهدها وأبحاثها ، أو على طلابها وعلمائها ؛ لأن النفقة تطيب بطيب موردها ومصرفها ، وأطيب المصارف : ما صرف على العلم ومن هذه الآيات قول الله عز وجل في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ^١.

يقول الإمام الطبري -رحمه الله - : وآتى المال على حبه : وأعطى المال في حين محبته إياه وضنه به وشحه عليه ^٢.

ثم نقل تفسير ابن مسعود رضي الله عنه : وآتى المال على حبه : أي يؤتيه وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر ^٣.

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٣٤٠ .

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٧٧ ، ٧٨ .

(٤) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

وقال ابن عطية - رحمه الله - : وقوله تعالى (وآتى المال على حبه...) هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة، وبها كمال البر، وقيل: هي الزكاة... والمعنى المقصود: أن يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى^٣.

وقوله تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين)^٤.

قال الطبري - رحمه الله - تعالى في تفسير هذه الآية: (كتب عليكم) فرض عليكم أيها المؤمنون الوصية (إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية) والخير: المال، للوالدين والأقربين الذين لا يرثون، (بالمعروف) وهو ما أذن الله فيه وأجازه في الوصية مما لم يجاوز الثلث، ولم يتعمد الموصي ظلم ورثته، (حقا على المتقين) يعني بذلك: فرض عليكم هذا وأوجبه، وجعله حقا واجبا على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به^١. أهـ

قال ابن عطية - رحمه الله - : وقال مالك - رحمه الله - وجماعة من العلماء: الوصية ماضية حيث جعلها الميت^٢. أهـ

وقوله سبحانه (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون)^٣.

(١) تفسير الطبري ٣/٣٨٤.

(٢) المحرر والوجيز ٢/٩٤.

(٣) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

قال الطبري - رحمه الله - : يعني تعالى بذلك : من ذا الذي ينفق في سبيل الله فيعين مضعفاً ، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله ، ويعطي منهم مقتراً وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه^١. أھـ

وقوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)^٢.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : وفي المراد بـ (سبيل الله) قولان ؛ أحدهما : أنه الجهاد ، والثاني : أنه جميع أبواب الخير^٣. أھـ

وقال ابن عطية - رحمه الله - : هذه الآية في نفقة التطوع ، وسبيل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة ، وعائد بمنفعة على المسلمين والملة ، وأشهرها وأعظمها غناء : الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

وقوله تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)^٤.

يقول الطبري - رحمه الله - : ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ، وفي غير ذلك من طاعات الله^٥. أھـ

(١) تفسير الطبري ٢٨٢/٥ .

(٢) الآية ٢٦١ من سورة البقرة .

(٣) زاد المسير ٣١٦/١ .

(٤) الآية ٢٦٥ من تفسير البقرة .

(٥) تفسير الطبري ٥٣٠/٥ .

ومثل قول الله تعالى في سورة آل عمران (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) ^١.

قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره: يعني بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا أيها المؤمنون البر، وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجون منه، وذلك تفضله بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر: الجنة، لأن بر الرب بعبده في الآخرة: إكرامه إياه بإدخاله الجنة.

ثم قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: لن تنالوا البر أيها المؤمنون جنة ربكم حتى تنفقوا مما تحبون، يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم ^٢. أهـ

ثم روى أبو جعفر الطبري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر...) أو هذه الآية (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قال أبو طلحة رضي الله عنه: يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا صدقة، ولو استطعت أن أجعله سراً لم أجعله علانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في فقراء أهلك ^٣. أهـ وهو حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري وغيره.

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- : المراد بالنفقة ثلاثة أقوال: أحدها أنها الصدقة المفروضة قاله ابن عباس والحسن والضحاك، والثاني: أنها جميع

(١) الآية ٩٢ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير الطبري ٥٨٧/٦.

(٣) تفسير الطبري ٥٨٩/٦.

الصدقات قاله ابن عمر، والثالث: أنها جميع النفقات التي يتغى بها وجه الله سواء كانت صدقة أو لم تكن نقل عن الحسن واختاره القاضي أبو يعلى^١. أهـ

وإن الناظر في الآيات السابقة ومثلها كثير في القرآن الكريم: يدرك أن القرآن الكريم يحث المسلمين، ويدعوهم، ويرغبهم في البذل والسخاء في جميع وجوه الخير. ووجوه الخير: باب واسع لا يمكن أن يحد بنوع معين أو أنواع معينة، لكن الضابط: إنما هو الخير.

فمتى كان هذا الإنفاق ينفع المسلمين عامة أو يسد خلة أو حاجة لفئة منهم: فإن ذلك سبيل النفقة والبر والبذل لكل خير ومعروف من القول والعمل، أو المال.

ولا شك أن البذل والعطاء فيما ينفع الأمة في الجانب العلمي؛ سواء كان بتهيئة المعامل والمختبرات، والمكتبات والمباني للمدارس ودور العلم، أو كان ذلك بالبذل والنفقة على المحتاجين من طلاب العلم لإسكانهم وإعاشتهم وتهيئة ما يعينهم على طلب العلم، ويفرغهم لنفع المسلمين: أن ذلك من أفضل البر والمعروف.

كما يلاحظ في الآيات السابقة أنها تحض المسلمين على النفقة بوجه عام سواء ما كان منها واجبا على المنفق؛ كالزكاة ونفقة الزوجة والأقارب، أو كان ذلك مندوبا كالوصية بالثلث فما دون ليكون في أعمال البر بعد الوفاة، والوقف المنجز الذي يوقفه المرء وهو صحيح شحيح فيخرجه من ماله وقفا

(١) زاد المسير ١/ ٤٢١.

على أعمال الخير الخاصة والعامة بحسب ما يراه ، وكذا الصدقة المنجزة التي يبذلها المسلم من ماله أو بدنه للمحتاجين من إخوانه المسلمين.

ومن نصوص السنة النبوية التي تدل على فضل النفقة ، والبذل لدعم العلم ، والعلماء :

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق... الحديث) رواه البخاري^١.

قال ابن حجر - رحمه الله - : في هذا الحديث حجة على جواز إنفاق جميع المال وبذله في الصحة والخروج منه بالكلية في وجوه الخير ما لم يؤد إلى حرمان الوارث ونحو ذلك مما منع منه الشرع^٢. أهـ

ومن ذلك - أيضا - حديث عبد الله بن معقل رضي الله عنه قال : سمعت عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) رواه البخاري^٣.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب اتفاق المال في حقه ح ١٤٠٩ .

(٢) فتح الباري ٢٧٧/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة و القليل من الصدقة ح ١٤١٧ .

أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا) أخرجه الإمام مسلم^١.

قال النووي - رحمه الله - : قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيغان والصدقات، ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى إسرافا، والإمساك المذموم: هو الإمساك عن هذا^٢. أهـ

ومن نصوص السنة النبوية الشريفة في الحث على الوصية وبيان مقدارها حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني النبي صلى الله عليه السلام فقلت: أوصني بمالي كله قال: لا، قلت: فالنصف قال: لا. فقلت فالثلث؟ فقال: نعم والثلث كثير^٣ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له) رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

قال النووي - رحمه الله - : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: إن كان الورثة أغنياء استحب أن يوصي بالثلث تبرعا وإن كانوا فقراء استحب أن ينقص من الثلث^٣. أهـ

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب البيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٥/٧.

(٢) أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - في كتاب الوصية.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٧/١١.

وإذا كان الحديث السابق دليلا على الوصية والوقف : فإن من نصوصها في الوقف حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : أصاب عمر رضي الله عنه أرضا بخير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمر فيها ، فقال : يا رسول الله إني أصبت أرضا بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه ، فبم تأمرني به ؟ ، فقال (إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها) قال : فتصدق بها عمر ، ألا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب ، قال : فتصدق عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل ، والضيف ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعمه صديقا غير متمول)^١

قال النووي - رحمه الله - : وفي هذا الحديث : دليل على صحة أصل الوقف وأنه مخالف لشوائب الجاهلية ، وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير ويدل عليه أيضا إجماع المسلمين وعلى صحة وقف المساجد والسقايات... وفيه فضيلة الوقف وهي الصدقة الجارية^٢. أهـ

○ الدعم المادي للعلم والعلماء في نصوص الفقهاء :

إن من ينظر في كتب الفقه ، أو يراجع فهارسها : فإنه سيجد أن جميع هذه الكتب دون استثناء المطولات منها ، أو المختصرات : قد تضمنت أبوابا فقهية يعالج من خلالها الدعم المادي للعلم والعلماء ؛ بمعنى أنك ستجد في هذه الكتب - كتاب الزكاة - وستجد أن من مصارفها الفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل ، وفي سبيل الله.

(١) أخرجه مسلم في باب الوقف ٨٦/١١ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٦/١١ .

وهذه المصارف الأربعة يدخل فيها العلماء دخولا أوليا إذا كانوا ضمن هذه الأصناف ؛ لأنهم أولى الفئات بصرف الزكاة لهم إذا كانوا من مستحقيها ، كما أن مصرف (في سبيل الله) : مصرف واسع - عند كثير من العلماء - يشمل : كل ما تحتاج الأمة لرفعة شأنها ، وحفظ أمنها ، والعلم من أهم الأمور التي توصل بها إلى ذلك.

وسيجد الباحث في كتب الفقه : الحث على صدقة التطوع في جميع وجوه الخير ، وما تحتاج إليه الأمة من مساجد ومدارس وغيرها. ولا شك أن العلم والعلماء في مقدمة من يحث الإسلام على بذل الصدقة والمعروف لهم ؛ لما لهم من الأثر الطيب على الأمة بكاملها من حيث تقدمها ورفعة شأنها ، وحفظ دينها وأمنها ، ولأن العلم من أقوى الأسباب التي تحصل بها الأمة مطلوبها ، وتتفوق بها على الأمم التي تعاديتها.

ولا تقتصر الأبواب الفقهية التي تنظم الدعم المادي للعلم والعلماء على أبواب الزكاة والصدقة بل ستجد - أيضا - أبوابا خاصة بالوقف ، والوصية ، في جميع كتب الفقه.

ويتناول الفقهاء في الأبواب : من مشروعية الوصية والوقف في المصارف العامة ، والخاصة ، ومن ضمن هذه المصارف ، بل من أولاهما ما كان في وجوه العلم وتشجيع العلماء ؛ من المساجد والمعاهد ، ودور العلم ، والمكتبات ، والكتب وغيرها.

ففي كتب الحنفية : يعقدون بابا خاصا بالوقف للوصية ضمن كتب المعاملات ، وإذا نظرت في كتاب المبسوط - من أمهات كتب الحنفية - وجدت السرخسي - رحمه الله - قد خص الوقف بباب ضمن الموضوعات

الفقهية عرف فيه الوقف وبين حكمه وأدلتها التي تدل على جوازه ولزومه، وذكر أن أبا يوسف -رحمه الله- لما حج مع هارون الرشيد -رحمه الله- وروى وقوف الصحابة رضوان الله عليهم بالمدينة ونواحيها رجع فأفتى بلزوم الوقف، وقد كان في السابق يقول أبي حنيفة أن الوقف لا يلزم، واستدل بوقف عمر رضي الله عنه وقال: ثم أمر رسول الله عليه السلام بالوقف بقوله: تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث، فهو من حجة من يقول: بلزوم الوقف، ثم ذكر جواز الوقف بالعقار والمنقول، وجواز بيعه إذا تعطلت منافعه لينقل إلى غيره^١.

وفي كتب المالكية يعقدون لذلك أبواباً مستقلة باسم (كتاب الأحباس) وكتاب الوصايا وهكذا فعل ابن عبد البر -رحمه الله- من المالكية في كتابه الكافي، حيث قال: في كتاب الأحباس -الذي عقده في آخر أبواب المعاملات- ثم قال: والحبس، أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربه ونخله، وكرمه، وسائر عقاره لتحري غلات ذلك وخراجه، ومنافعه في السبل التي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل، ويكون الأصل موقوفاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبداً من باقي شيء منه^٢. أهـ

وقال ابن العربي -المالكي- رحمه الله-: من سعة كرم الله أن يثيب على ما بعد الحياة كما يثيب على ذلك في الحياة وذلك في ستة: صدقة

(١) انظر كتاب المبسوط ٢٧/١٢ - ٤٧.

(٢) انظر كتاب الكافي ١٠١٢.

جارية، أو علم ينتفع به بعد موته، أو ولد صالح يدعو له، أو غراس، أو زرع، أو رباط، فاللمرابط ثواب عمله إلى يوم القيامة^١ وإذا نظرت في كتاب المذهب -من كتب الشافعية- للشيرازي وجدته قد عقد بابين الأول للوقف، والثاني للوصية في آخر أبواب المعاملات. وقد ذكر أن الوقف: قرابة مندوب إليها وبين جواز الوقف للعقار والمنقول وكل عين ينتفع بها على الدوام، بل يجوز وقف الدراهم والدنانير عند بعض الشافعية، ثم ذكر مصارف الوقف وقال: ولا يصح الوقف إلا على بر ومعروف كالقناطر، والمساجد، والفقراء والأقارب^٢. هـ. وفي كتب الحنابلة -رحمهم الله- عقدوا أبواباً للأوقاف، والوصايا ضمن أبواب المعاملات. ففي كتاب المغني لابن قدامة -رحمه الله- نجده عقد كتاب الوقوف، والعطايا، ثم كتاب الوصايا. وقد ذكر فيه حكمه، ودليله، وأمثلة لوقف كبار الصحابة ثم قال: وهذا جابر رضي الله عنه: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف ثم قال: وهذا إجماع منهم^٣. هـ. وذكر جواز وقف العقار والمنقول مما يجوز بيعه والانتفاع به مع بقاء عينه. وقال: لو خص المشتغلين بالعلم من أولاده بوقفه تحريضا لهم على طلب العلم... فلا بأس^٣. هـ.

(١) انظر مجلة دار الحديث الحسينية ص ٣٣٠.

(٢) انظر كتاب المذهب ٤٤٨/١.

(٣) انظر كتاب المغني ٢٠٦/٨، ٢٣١.

ولما سئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن الوقوف قال : جائزة ، لم يزل المسلمون يفعلونه عمر بن الخطاب و عثمان و طلحة و الزبير رضوان الله عليهم وهذه وقوفهم بالمدينة^١.

وهذه إطلالة سريعة على نماذج من كتب الفقه والمذاهب الأربعة توضح أن الوقف في الشريعة الإسلامية عبادة مالية مشروعة ومرغب فيها. دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - كما سبق بيانه - ووقف النبي صلى الله عليه وسلم أرضا له في سبيل الله.

ووقف الخلفاء الراشدون ، وحبس معاذ بن جبل ، وحبست عائشة وأختها أسماء ، وأم سلمة وأم حبيبة وصفية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وحبس سعد بن أبي وقاص ، وخالد بن الوليد وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعا وغيرهم وهذا إجماع على جواز الوقف ولزومه^٢.

ففي الوقف تحقيق لأهداف سامية وأغراض خيرية شاملة يمتد نفعها لعموم المجتمع كالوقف على دور العلم ، وطلبة العلوم الشرعية وغيرها من العلوم النافعة ، وعلى المكتبات ، ومراكز البحث التي يعود نفعها على الأمة جمعاء ، يكون فيها تنمية المجتمع وتقدمه ، وعلو شأنه مما جعله أحد القنوات المالية الثابتة في مجال التكافل الاجتماعي والتقدم الحضاري في النظام الإسلامي.

(١) انظر كتاب الوقوف من مسائل الإمام أحمد الخلال ٢١٤/١ .

(٢) انظر كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف ص ١٣ .

وقد عقد أحد الباحثين المغاربة في بحث بعنوان الأحباس المعقبة والمشاركة، عقد مبحثا بعنوان: أحباس مشتركة خاصة بنشر العلم ومما قاله فيه: نعم يمكن للمحبس أن يقف ما شاء وبالأخص في ميدان التعليم... ويستفيد منه بطبيعة الحال القائمون على التعليم من معلمين، وأساتذة وموظفين، وكذا جميع التجهيزات كالبنيات والأثاث والكتب ووسائل التعليم بصفة خاصة^١.

ولم يقتصر عمل فقهاء الإسلام على إدراج أبواب الزكاة، والوصايا والأوقاف في مؤلفاتهم الفقهية مبنية مشروعاتها، وأحكامها ومصارفها. لكنهم -أيضا- ألفوا مؤلفات مستقلة خاصة بهذه الأبواب لبسطها ومزيد العناية بها وبذلها بين المسلمين ليتفقهوا فيها، ويعملوا بمقتضاها ومن هذه المؤلفات:

- ١- كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (١١٣) - (١٨٢).
- ٢- كتاب الوقوف والوصايا للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤) - (٢٤١).
- ٣- كتاب الوصايا لمحمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ - ١٩٨)
- ٤- كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- ٥- كتاب الأموال لحميد بن زنجويه (١٨٠ - ٢٥١).
- ٦- أحكام الأوقاف لأحمد بن عمر الشيباني (ت ٢١٦).

(١) مجلة دار الحديث الحسينية ص ٣٤٨.

- ٧- الإسعاف في أحكام الأوقاف لإبراهيم بن موسى الطرابلسي
_ت (٩٢٢).
 - ٨- رسالة في جواز وقف النقود لأبي السعود محمد بن محمد الحنفي
(ت ٩٨٢).
 - ٩- أحكام الأوقاف لحسن الأعظمي.
 - ١٠- تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف لمحمد بن عبد
الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١).
 - ١١- أحكام الأوقاف للأستاذ حسن رضا.
 - ١٢- أحكام الأوقاف للأستاذ محمد شفيق العاني.
 - ١٣- أحكام الأوقاف للدكتور مصطفى الزرقا.
 - ١٤- أحكام الوقف للشيخ عبد الوهاب خلاف.
 - ١٥- أحكام الوقف في الشريعة للدكتور محمد عبيد الكلبي.
- ومما تقدم على إيجازه يدرك القارئ الكريم أن الشريعة الإسلامية تولي العلم والعلماء ما يستحقون من رعاية وعناية سواء بذلك الجانب المعنوي والمثوبة الأخروية، أو الجانب المادي قال زيد بن ثابت رضي الله عنه (لم نر خيراً للميت ولا للحى. من هذه الحبس الموقوفة؛ أما الميت فيجري أجرها عليه وأما الحى فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها^١).

(١) انظر كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف ص ١٥.

ويحسن الإشارة هنا -أيضا- إلى أن الفيء والكنوز وغيرها من موارد الدولة الإسلامية يجب أن يصرف منها للعلم: معاملته ومدارسه ومكتباته وغيرها وعلى العلماء ما يكفي لقيام الأمة بفروض الكفاية في كافة مجالات العلم والتي تحتاجها الأمة.

وفي كتاب الأموال لابن زنجويه عقد باباً خاصاً في فرض العطاء من مخارج الفيء ومصارفه وذكر أن أهل الحضارة يفضلون العطاء على أهل البادية^١ وما ذلك إلا حث للمسلمين على الاجتماع والعلم والعمل والتعاون.

○ الدعم المالي للعلم والعلماء في نهج المسلمين:

لقد بذل المسلمون قديماً وحديثاً من أموالهم وأوقاتهم الشيء الكثير في سبيل دعم العلم والعلماء، بل وفي كافة وجوه الخير التي يأتي العلم والعلماء في مقدمتها.

ومع وجود الدعم المالي للمشروع العلمي لدى الأمة الإسلامية: فإن هذا الدعم يتفاوت من وقت لآخر ومن دولة لدولة ومن بلد لبلد.

وكانت بدايتها وقودتها وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأوقاف صحابته الكرام، وفي العهدين: الأموي والعباسي اتسعت الوقوف، ورغب الناس في الأعباس، ولم تعد الوقوف قاصرة على الوقوف في جهة الفقراء والمساكين، بل تعدى ذلك إلى تأسيس دور العلم والإنفاق على طلابه، والقائمين عليه من مدرسين وغيرهم، وإنشاء المساجد والملاجئ والمكتبات^٢.

١) انظر كتاب الأموال لابن زنجويه ٥١٠/٢

٢) انظر كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ٣٣/١.

ولقد بلغ من كثرة الأوقاف في عهد المماليك أن جعل لها ثلاثة دواوين /
ديوان لأوقاف المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر
المختلفة، وديوان الأوقاف الأهلية^١.

قال النعمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس : وقد استخرت الله تعالى
في جمع كتاب في ضبط الأماكن التي وقفها بدمشق من ساق الله تعالى الخير
على يديه ، وأوقفوا على ذلك أوقافا دارة تدر كل حين على حكم ما أوقفوها
عليه إعانة لنشر علم علماء الشرعية الغراء ، ومآخذها الزهراء جزاهم الله
تعالى أحسن الجزاء^٢.أهـ

وقد ألف كتابه هذا في هذا الموضوع الخاص بدعم المسلمين للعلم
والعلماء في مجلدين كبيرين.

فالمسلمون يدينون بهذا الدين العظيم ، الذي حث على فعل الخير في
جميع وجوه الخير ونظم لذلك عبادات يتعبد بها المسلمون بإخراج أموالهم في
وجوه الخير بعضها واجب ، وبعضها مندوب ، وبعض مصارفها خاص ،
وبعضها عام. وبقدر وعي الأمة في دينها تزداد أعمالها ومشاريعها الخيرية.

وإذا كان التركيز بالبحث على الرؤية السلفية لدعم العلم والعلماء : فإني
سأختم هذا البحث بالإشارة إلى نماذج من نهج المسلمين في الدعم المادي
للمشروع العلمي.

وسأبدأ بالمساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى في الدولة الإسلامية.

(١) انظر كتاب محاضرات في الوقف ص ١٤ .

فالمسجد أول بيت بناه المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة ، وتأسيس الدولة الإسلامية ليكون بيتاً للعلم والعبادة ، تؤدي فيه الصلوات الخمس ، ويعلم فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته الهدى والنور الذي جاء به ، ويعلم فيه الناس بعضهم بعضاً.

فأول مسجد بناه المصطفى صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، ثم بنى مسجده عليه الصلاة والسلام ، ثم تتابع بناء المساجد لهذا الغرض في بلاد الإسلام ، وفي غيرها من البلاد التي يوجد بها المسلمون. وهذه المساجد تبنى وقفاً لله عز وجل من بيت مال المسلمين ومن أوقاف المسلمين الخاصة ، وهي بحمد الله كثيرة جداً في بلاد المسلمين تعد بمئات الآلاف وكلها مدارس للعلم والعبادة.

ومن أشهرها وأعظمها وأكبرها أثراً: المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة والمسجد الأقصى - فك الله أسره وأعاده إلى حظيرة الإسلام - ، والجامع الأزهر في مصر وجامع القرويين في فاس واستمر معظمها - بحمد الله - مئات السنين يتخرج فيه العلماء في كل فن من فنون المعرفة التي تحتاجها الأمة ويتناوب فيها العلماء وسائر التخصصات التي تنفع الأمة ، وبخاصة علوم الشريعة ، ويفد إليها طلاب العلم من أهل البلاد ومن غيرهم ، ويجدون فيها أحياناً كثيرة الإقامة والسكنى والإعاشة ويقوم على خدمتهم محتسبون وموظفون من أموال الأوقاف التي حبست لذلك.

○ المدارس والجامعات :

أنشأ المسلمون قديماً وحديثاً المدارس ، والمعاهد والجامعات : لتعليم أبنائهم أحكام هذا الدين وآدابه وتعليمهم ما تحتاجه الأمة في شؤون الحياة.

أنشئت هذه المدارس والمعاهد والجامعات : من قبل الدول الإسلامية من بيت مال المسلمين ، كما أنشئ كثير منها من أوقاف المسلمين.

جاء في كتاب أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية : وقد قام على الوقف جامعات علمية نشرت نورها على الأرض ، وحملت رسالة الإسلام إلى الناس ، وبسبب الوقف وحده نشطت في البلاد الإسلامية حركة علمية منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي سادت بلاد المسلمين ، فوفرت للمسلمين نتاجاً علمياً ضخماً وتراثاً إسلامياً خالداً، وفحولاً من العلماء لمعوا في التاريخ العالمي كله^١. أهـ

ومن أشهر هذه المدارس : المدرسة النظامية ببغداد التي أنشأها نظام الملك السلجوقي سنة ٤٥٧هـ.

والمدرسة النورية بدمشق التي أنشأها نور الدين محمود زنكي سنة ٥٦٣هـ على مساحة تقدر بـ ١٥٠٠ متر مربع ، ولا زالت قائمة إلى وقتنا الحاضر^٢.
والمدرسة الظاهرية القديمة التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ في القاهرة ، وهياها بما تحتاجه من المدرسين والكتب.

والمدرسة الظاهرية البروقية التي أنشئت بالقاهرة سنة ٧٨٦هـ وضمت ما يحتاجه الطلاب من الكتب.

والمدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون بين عامي ٦٨٣ ، ٦٨٤ بالقاهرة وزودها بما تحتاجه من المدرسين والكتب.

١ (أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية ١/ ١٣٨ .

٢ (انظر كتاب تاريخ التربية والتعليم ص ١١٦ .

ومدرسة الأشرفية بالقاهرة التي أنشئت فيما بين عامي ٨٢٦، ٨٢٩ وأنشأها السلطان أبو النصر الدقماقي وألحق بها مكتبة كبيرة^١.
والمدرسة الصلاحية وهي من أعظم المدارس المصرية القديمة بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢هـ وعين لها ناظرا ومدرسين، وكان ممن ولي التدريس فيها الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد — رحمه الله —^٢.
○ المكتبات والأربطة:

ومن الدعامات الأساسية المهمة في الميدان العلمي: المكتبات التي تبنى وتهياً لجميع الكتب والمؤلفات العلمية فيها، في جميع الفنون، وتهياً فيها أماكن خاصة للدارسين والمطالعين، وربما تكون مكانا يلتقي فيه الطلاب بالعلماء لسؤالهم والأخذ عنهم، وكذا الأربطة والمساكن التي يقفها القادرون على طلاب العلم والغرباء للسكن فيها، وقد تؤمن لهم الأغذية والملابس.
ولقد كانت بغداد ودمشق والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة من حواضر العالم الإسلامي، ومثابة للعلم والعلماء في مختلف فنون العلوم والمعارف، واستمرت قروناً من الزمان لا يضاهيها بلاد أخرى، فقامت فيها دور الكتب والمكتبات العامة والخاصة، وغصت تلك الدور بالمصنفات النادرة والكتب الكثيرة في شتى فروع المعرفة.

بل كانت المكتبات تقام في كل مدرسة، وجامع، إضافة إلى الدور الخاصة بالمكتبات. ومع ما تعرضت له بغداد في كل مدرسة وغيرها من هجمات التتار

١) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٩١، ٩٢.

٢) انظر كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/ ٢٥٧.

والنصارى وما أُلّف فيها من كتب وكنوز علمية: فقد احتفظت بعض المكتبات بكنوزها العلمية النافعة.

ومن هذه المكتبات مكتبة الحرم المكي، والحرم النبوي، والجامع الأزهر، والجامع الأموي ودار الحكمة التي أنشأها هارون الرشيد ببغداد وتابعها ابنه المأمون وظلت قائمة إلى سنة ٦٥٦هـ.

ومكتبة قرطبة بالأندلس جمع فيها أكثر من أربعمئة ألف مجلد^١. ومن المكتبات الوقفية المهمة -أيضا- : مكتبة الأزهر التي أنشئت بعد عشرين عاما من إنشاء الجامع الأزهر ٣٨١هـ، ونقل إليها كثير من الكتب والمصاحف، وقد كلف بشؤونها إمام الأزهر، واستمرت هذه المكتبة في نفعها وعطائها والعناية بها إلى يومنا الحاضر وعمادها على الأوقاف التي رتبت لها، والكتب الموقوفة فيها^٢.

بل لقد زودت كثير من المساجد بخزائن الكتب لتوضع فيها المصاحف، وكتب الأحاديث والتفسير والفقه، وغير ذلك من العلوم لاستخدامها من قبل المصلين باعتبارها أداة للتعلم والتعليم^٣.

كما أقيمت المكتبات في المدارس التي أنشأها المسلمون في كل قطر من أقطارهم لتكون مرجعا للمدرسين والطلاب يفدون إليها وينهلون من معينها.

(١) انظر كتاب لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٩ - ٣٥.

(٢) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٣ - ٨٤.

(٣) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٢.

ومن أهم المكتبات المدرسية في مصر: مكتبة المدرسة الظاهرية القديمة التي أسسها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ ووقف عليها خزانة كتب جليلة وحمل إليها أمهات الكتب في سائر العلوم والمذاهب.

والمدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ وجعل بها خزائن كتب عظيمة في مختلف العلوم والمعارف، ومدرسة الخيل بقلعة مصر التي أنشأها السلطان حسن بن قلاوون سنة ٧٨٥هـ لدراسة المذاهب الفقهية الأربعة والحديث والقراءات، وقد زودها بمكتبه حوت كتباً كثيرة أوقفها السلطان على طلبة العلم^١.

ولقد كان لهذه المكتبات التي أقيم معظمها بأموال الأوقاف التي حبسها المسلمون في كل عصر، ومصر كان لهذا الأثر المبارك في حفظ خزائن الكتب، وتيسيرها للعلماء والمتعلمين مما يعد أكبر دعامة للعلم والعلماء، بقي نفعها إلى يومنا الحاضر وسيبقى -إن شاء الله- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما سيبقى نفعها للواقفين لها، والساعين لوقفها، والحافظين لها عملاً صالحاً لا ينقطع يجدونه محفوظاً لهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

وكذا الأربطة، والمسكن التي يقيمها المحسنون بجوار المدارس والمعاهد والمساجد لسكنى طلاب العلم والمغتربين يستعينون بها على طلب العلم والتفرغ له، وكانت منتشرة في العالم الإسلامي، في مكة والمدينة وبغداد

(١) انظر كتاب تاريخ المكتبات في مصر ص ٨٩ - ٩١.

ودمشق والقاهرة وفارس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي مما يعد مفخرة للمسلمين في دعم العلم والعلماء وتشجيعهم على القيام بدورهم المهم.

ولقد كان لبلادنا -بلاد الحرمين الشريفين- حفظها الله قدحها المعلى في هذا الجانب، وبخاصة بعد النهضة الأخيرة التي قامت على يد الزعماء من آل سعود منذ حصل الاتفاق المبارك سنة ١١٥٧هـ على يد الإمام محمد بن سعود مع الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله- على نشر التوحيد والعلم ونصرة لا إله إلا الله فقامت دولة العلم والتوحيد، وانتشر الأمن والعلم في ربوع هذه البلاد بجهود العامة والخاصة، ولا زالت بحمد الله في مقدمة دول العالم الإسلامي في هذا المجال المبارك أعني دعم العلم والعلماء بشتى أنواع الدعم المالي والمعنوي من قبل الدولة ومن قبل الولاة والمصلحين والتجار.

وفي مجال الدعم المادي للعلم والعلماء: نجد الشواهد الحية في هذه البلاد المباركة على المستوى الشعبي وعلى المستوى الرسمي منذ تأسيس هذه الدولة المباركة ١١٥٧هـ وإلى وقتنا الحاضر، فقد استمر عطاء الحرمين الشريفين في ظل الدولة السعودية، واستمر دعم العلماء فيها الدعم المادي والمعنوي، واتجه التعليم فيهما نحو الاتجاه السلفي المستمد من الكتاب والسنة.

ولم يقتصر الدعم والتشجيع على علماء الحرمين الشريفين وطلابهما، بل شمل المدارس الأهلية بالحجاز كمدرسة الفلاح، والمدرسة الفخرية بمكة المكرمة وغيرهما من مدارس الحجاز، وكذا نشر الكتب والمكتبات وبلغ التشجيع والعطاء ذروته بإنشاء المدارس والمعاهد والكليات والجامعات في هذه المنطقة المهمة حتى أصبحت تحتضن ثلاث جامعات وعددا من الكليات ومئات المدارس والمعاهد.

وإذا انتقلنا إلى المناطق الأخرى نجد الشواهد -أيضا- في مساجدها ومدارسها التي في المدن والهجر: تعلم الناس الخير، وتؤصل عقيدة السلف منذ ظهور الدعوة السلفية المباركة وتأسيس الدولة السعودية؛ فقد ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه وتلاميذه: المؤلفات النافعة المفيدة لتعليم الناس عقيدة السلف ومنهج الكتاب والسنة، مثل كتاب التوحيد، وشرحه، وكشف الشبهات، والمسائل الثلاث، ومختصر السيرة النبوية، ومختصر الإنصاف والشرح الكبير، فأقبل الناس على العلم وقرؤوا كتب السلف وجلسوا للتعليم في المساجد والمدارس.

ولما وحد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه دولة التوحيد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري: واصل دور أسلافه وتوسع فيه؛ لإدراكه -رحمه الله- أهمية التعليم في حياة الأمة، حتى انتقلت البلاد في عهده، وعهد أبناؤه في الجانب التعليمي نقلة نوعية وعددية ففتح في منطقة الرياض سبع جامعات، وعشرات الكليات وألوف المدارس والمعاهد وامتدت الشواهد المباركة إلى بقية مناطق المملكة العربية السعودية بنفس المستوى في سائر مدن المملكة حتى زاد عدد الجامعات الحكومية عن خمس وعشرين جامعة، وفتح الباب لمثلها من الجامعات الأهلية مما يضع المملكة العربية السعودية نموذجا يحتذى به في تشجيع العلم والعلماء، ماديا ومعنويا من قبل الدولة، ومن قبل ولاية الأمر بصفتهم الفردية ومن قبل رجالات البلد المبارك. وإن ميدان العلم برجاله، ومعداته، وآلياته: ميدان واسع كبير يفتح للأمة أبواباً من أبواب الخير مشروعة لمن ينافس فيها في البذل والعطاء، وبخاصة أبواب الوصايا، والأوقاف التي تبقى عملاً صالحاً مستمراً لصاحبه لا ينقطع بوفاته، ولكنه

يبقى الانتفاع به ، ولقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لأصحابه الذين قالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم والقيم ، فدلهم المصطفى صلى الله عليه وسلم لما يدركون به من سبقهم وذلك بالتسبيح والتحميد والتكبير أدبار الصلوات ، فرجع الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ^١.

فهنيئاً لأهل الأموال التي استعملوا أبدانهم وأموالهم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهنيئاً لمن أوقف ماله ، أو بذله في سبيل تعليم الناس الخير وتشجيعهم على طلب العلم والاستزادة منه ، فذلك مساهم في رفعة شأن أمته وحرى بأن يرفع الله شأنه ويعلي مكانته وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) انظر لفظ الحديث كاملاً - في صحيح الإمام البخاري - كتاب الأذان - باب الذكر بعد الصلاة - ٣٢٣/٢ ح ٨٤٢ ، وفي صحيح الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب الذكر بعد الصلاة - ٩٢/٥ .

ثبت المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق علي محمد البجاوي الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٢. أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد عبيد الكلبي مطبعة الإرث د- بغداد ١٣٩٧هـ.
٣. الإسعاف في أحكام الأوقاف لإبراهيم بن موسى الطرابلسي (ت ٩٢٢).
٤. الأسماء والصفات للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي حققه وعلق عليه الدكتور: عبد الرحمن عميرة الناشر دار الجليل بيروت.
٥. الأموال لحמיד بن زنجويه تحقيق الدكتور شاكر ذيب فياض الطبعة الأولى الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. سنة ١٤٠٦هـ.
٦. تاريخ التربية والتعليم للدكتور سعد مرسي والدكتور سعيد إسماعيل الناشر عالم الكتب بالقاهرة.
٧. تأريخ المكتبات في مصر للسيد النشار الطبعة الأولى الناشر الدار المصرية اللبنانية سنة ١٤٠٣هـ.
٨. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر الناشر دار المعارف بمصر.
٩. توحد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار السياسي والاجتماعي بحث ضمن بحوث المدينة للدكتور محمد عبد الله السليمان.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي الناشر مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة ١٤٠٧هـ.
١١. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري تحقيق الدكتور مروان قباني الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت.
١٢. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للحافظ جلال الدين السيوطي الناشر دار إحياء الكتاب سنة ١٣٨٧هـ.

١٣. الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي تحقيق جعفر الحسنى الناشر المكتبة الثقافية بالقاهرة.
١٤. الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوي الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٦ هـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.
١٥. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي الطبعة الأولى الناشر المكتب الإسلامي.
١٦. شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم للإمام النووي الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ الناشر دار إحياء التراث العربي ببيروت.
١٧. صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية.
١٨. صحيح الإمام مسلم مع شرح للإمام النووي الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ الناشر دار إحياء التراث العربي.
١٩. عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر لإبراهيم بن صالح بن عيسى.
٢٠. عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر - الناشر دار المعارف.
٢١. فتح الباري للحافظ ابن حجر تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني الناشر محفوظ علي بيروت.
٢٣. الكافي في فقه أهل المدينة لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي تحقيق محمد أحمد ولد مايك الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ.
٢٤. لمحات في المكتبة والمصادر للدكتور محمد عجاج الخطيب الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
٢٥. المبسوط لشمس الدين السرخسي الناشر دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٦ هـ.

٢٦. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. مجلة عملية متخصصة في الفقه الإسلامي تصدر في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية صاحبها ورئيس تحريرها: د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة.
٢٧. مجلة دار الحديث الحسنية مجلة تعنى بشؤون الفكر الإسلامي تصدر عن دار الحديث الحسنية في المغرب.
٢٨. مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين - المكتبة الشاملة.
٢٩. محاضرات في الوقف.
٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي تحقيق عبد الله الأنصاري وآخرين الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ على نفقة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.
٣١. مسند الإمام أبي داود للحافظ أبي داود السجستاني الطبعة الأولى.
٣٢. مسند الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي الناشر دار الفكر.
٣٣. المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض سنة ١٤٠١هـ.
٣٤. المذهب في الفقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي وبمحاشيته النظم المستعذب في غريب المذهب لابن بطلال الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ الناشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٣٥. الوقوف من مسائل الإمام أحمد للخلال تحقيق د. عبد الله بن أحمد الزيد الناشر دار المعارف بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٦. الهدى والبيان في أسماء القرآن للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.



خصائص المنهج السلفي

إعداد

أ.د. عبدالعزيز بن عبدالله الهليل

الأستاذ بقسم السنة وعلومها

الشيعة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدا عبده
ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، فما ترك خيرا إلا ودلّ الأمة عليه ، ولا
شرا إلا وحذرنا منه ، حتى تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ
عنها إلا هالك.

ولم يمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركنا على طريق
ناهجة^(١) : واضحة بينة.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه
واقتنى أثره إلى يوم الدين .
أما بعد :

فإن المنهج السلفي يعني فيما يعنيه : الطريق الواضحة البينة^(٢) لما كان عليه
النبي ﷺ وأتباعه من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
فالمنهج السلفي ليس حقبة تاريخية مضت وانقضت ، بل هو منهج له
أصوله وقواعده وخصائصه ، وليس له وقت ينتهي إليه ، ولا يتقيد بمكان
ينحصر فيه .

(١) ورد بمعناه من قول العباس رضي الله عنه : أخرجه الخطابي في غريب الحديث (٢/٢٤١).

(٢) انظر: لسان العرب (٦/٤٥٥٤) مادة : نهج.

وإن معرفة خصائص المنهج السلفي تعين على تحديد معالمه ، وتمييز هويته في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعاوى :

فكل يدعي وصلا لليلي وليلى لا تقر لهم بذاكا(١).

فأصبحنا نقرأ ونسمع في هذا الزمان من ينسب بعض المناهج المتطرفة التي غلت في دين الله تعالى إلى منهج السلف ، فيشوهون صورة هذا المنهج الشرعي المعتدل الذي ارتسم خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان في في فهم القرآن والسنة ، والعمل بما دلا عليه في شتى نواحي الحياة.

حتى أضحي المنهج السلفي يمثل حقيقة الإسلام في صورته الصحيحة ؛ بعيدا عن جفاء المعرضين ، وعن غلو الجانحين.

ومن هنا أحببت أن أشارك في ندوة "السلفية منهج شرعي ومطلب وطني" والذي تنظمه مشكورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، بتوجيه سديد من معالي مديرها الأستاذ الدكتور/ سليمان بن عبدالله أبا الخيل ، وذلك بالكتابة في العنصر الرابع من المحور الثاني ، وأسأل الله تعالى العون والتوفيق ، وسداد القول والعمل.

(١) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧١/٤) ونسبه لمجنون بني عامر.

المبحث الأول: المنهج السلفي امتداد لمنهج النبي ﷺ وأصحابه.

لقد بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالحنيفية السمحة؛ ملة إبراهيم عليه السلام، وسمى هذه الأمة من أتباع نبينا محمد ﷺ: المسلمين، كما قال تعالى: ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))^(١).

فأمر الله تعالى عباده المسلمين أتباع سيد المرسلين، بأن يجاهدوا لله تعالى حق الجهاد وهو إخلاصه وأصدقاه، وأسلمه من التقصير^(٢). بأموالهم وألستهم وأنفسهم^(٣).

والجهاد أنواع كثيرة؛ ومنها: الجهاد في بيان منهج الحق، وجهاد المناهج المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم بين الله تعالى في هذه الآية أنه ((هو اجتباكم)) أي اختاركم للذب عن دينه والتزام أمره؛ وهذا تأكيد للأمر بالمجاهدة^(٤) ويظهر أن هذا موجّه لأصحاب رسول الله ﷺ أصالة، ويشركهم فيه كل من جاء بعدهم بحكم اتّحاد الوصف في الأجيال، كما هو الشأن في مخاطبات التشريع^(٥).

(١) سورة الحج: ٧٨

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٧/٣٤٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٠/٩٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٠٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٧/٣٤٩).

وبين تعالى في هذه الآية أنه ((هو سماكم)) المسلمين في هذا القرآن وفيما قبله من الكتب التي أنزلها^(١) من أجل أن يكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم : خيرها وشرها^(٢).

وفي هذا إشارة إلى أن المسلمين أتباع المنهج الحق هم المتبعون للنبي ﷺ في كل شؤون الدين وأحواله ، من غير أن يبتدعوا في شرائع دين الإسلام شيئا لم يكن في دين النبي ﷺ ، ولذا جاء التنبيه بكون الرسول ﷺ شهيدا عليهم ليكون أبلغ في الحث على الاتباع والبعد عن الابتداع.

وفي ختام هذه الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالاعتصام به فقال تعالى : ((وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ)) أي : اعتضدوا بالله ، واستعينوا به ، وتوكلوا عليه ، وتأيدوا به ، ((هُوَ مَوْلَاكُمْ)) أي : حافظكم وناصركم ومُظفركم على أعدائكم ، ((فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)) يعني : نعم الوليُّ ، ونعم الناصر من الأعداء^(٣).

ولقد مضى هذا الدين بصورته التي أنزله الله تعالى عليها في عهد النبوة ، والعصور المفضلة ، واستمر بعون الله تعالى ظاهرا إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة ؛ مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : ((إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ

(١) انظر : أضواء البيان (٧٥٠/٥).

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن (٥٤٦).

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (١٠١/١٠).

لَحَافِظُونَ»^(١) : أي : وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ، أو ما ليس منه ، أو أن ينقص منه ما هو من أحكامه ، وحدوده ، وفرائضه^(٢) .

ولقول النبي ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك^(٣) .

وقد نصَّ غير واحد من الأئمة أنَّ المراد بهم أهل الحديث^(٤) ، وهم على وجه العموم : أهل الاتباع ؛ الذين عملوا بالكتاب والسنة على وفق فهم سلف الأمة ، ولم يتدعوا في دين الله شيئاً .

وتعدُّ الدعوة السلفية في هذا العصر : دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب التي جاهد من أجل إقامتها الإمام محمد بن سعود رحمهما الله تعالى ، تُعدُّ هذه الدعوة الإصلاحية المباركة امتداداً للدعوة السلفية ؛ حيث انبثقت من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، قائمة على الدعوة إلى اتباعهما على منهاج النبوة وسلف الأمة : فهما وعلماء وتطبيقاً .

فدين الإسلام قائمٌ بإذن الله تعالى منذ أن بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ وحتى قيام الساعة ؛ غضاً طرياً ، لا تشوبه البدع والمحدثات ، ولا تؤثر فيه الدعاوى الباطلات .

(١) سورة الحجر : ٩

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٤/١٨) .

(٣) رواه جمعٌ من الصحابة منهم : ثوبان ؓ : عند مسلم (١٩٢٠) ، والمغيرة بن شعبة ؓ :

عند البخاري (٧٣١١) ، ومسلم (١٩٢١) ، وجابر بن عبد الله ؓ : عند مسلم (١٥٦) ،

ومعاوية ؓ : عند مسلم (١٠٣٧) بألفاظ متقاربة .

(٤) انظر : جامع الترمذي (٢١٩٢) .

والسلف الصالح هم : الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم من التابعين وأتباع التابعين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم ممن سار على الحق ، وتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة ، في باب التوحيد ، وباب الأسماء والصفات ، وفي جميع أمور الدين^(١) .

ولذا فليس من الممنوع شرعا الانتساب إلى هذا المنهج ، والاعتزاء إليه ، لأنه منهج شرعي ، يمثل حقيقة الإسلام في نقائه وصفائه ووضوحه .

وفي ذلك يقول شيخ ابن تيمية رحمه الله : لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً^(٢) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٣٨/٩) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤٩/٤) .

المبحث الثاني : أهمية معرفة خصائص المنهج السلفي.

من الأهمية بمكان تتبع خصائص المنهج السلفي ، ودراستها دراسة عميقة ، وإبرازها بشكل أوضح ، حتى تتحدد ملامح هذا المنهج ، ويتميز عن غيره من المناهج الأخرى التي قد يلبس أصحابها ودعاتها في القول ، فيلبسوها لباس الحق والاتباع ، وهي في حقيقتها مناهج قائمة على الباطل والابتداع. وفي وقتنا الحاضر كثرت الدعاوى الباطلة التي تزين الباطل ، وتدعوا إليه ، وتشوه صورة الحق وتحذر منه بكل الطرق والوسائل.

ويمكن تقسيم تلك الدعاوى الباطلة في دعاواها إلى قسمين رئيسين :
القسم الأول : مناهج مبتدعة ، تتسمى بأسماء أهل الحق ؛ حتى يروج باطلها على عموم المسلمين ومن لا يميز الأمور على حقائقها ، فتدعوا إلى البدعة باسم السنة ، وتزعم الاتباع وهي أقرب إلى الابتداع ، حتى اختلط الحق بالباطل في كثير من بلدان المسلمين ، بسبب هذه التسميات التي لا تطابق مسمياتها^(١).

وينتظم في سلوك هذا المسلك طوائف كثيرة لا تعدُّ من المنتسبين للسنة والاتباع ، وهم في الحقيقة أهل الفرقة والبدعة والنزاع. وبنظرة سريعة فاحصة ، يستطيع المرء أن يتحقق من دعاوى تلك الطوائف المبتدعة ، التي تدعي الاتباع ، وهي أبعد ما تكون عن سلوك أسبابه.

(١) انظر في بيان كثير من هذه الفرق : الفرق بين الفرق للبغدادي.

والقسم الثاني : مناهج مبتدعة ، تشوه صورة المنهج الحق ، وتصفه بأقبح الصفات وأشنعها ، وترسم صورة مشوهة لأتباع المنهج الحق ؛ بما ينافر عنها قلوب المسلمين ، ويكرس الكراهية والبغضاء لأتباع هذا المنهج المستقيم . فتجد أرباب هذه المناهج المبتدعة لا يتورعون عن إلصاق كل قبيح من الأقوال والأفعال بالمنهج الحق وأتباعه ، فتارة يصفونهم بالغلو والتطرف ، وتارة أخرى يلمزونهم بالمداينة للباطل وكنتم الحق والخنوع والخضوع لما يخالف الشرع^(١) .

وكل هذا منهم من أجل تشويه صورة المنهج الحق ، وتصوير أتباعه بأبشع الصور وأشنعها ، حتى يُزهدوا عامة الناس في دعوتهم ، وينفروا القلوب عنهم وعن منهجهم .

وفي المقابل تروج تلك المناهج الباطلة ، ويكثر أتباعها على غير هدى ولا استقامة .

وينتظم في هذا المسلك كل مخالف للمنهج الحق ؛ ممن نصب له العدا ، وحاول بكل ما يستطيع دفع الناس عنه ، وعن سلوكه .

(١) ومن ذلك إلصاق بدعة تكفير المسلمين ، والغلو في الدين ، واستحلال الدماء المعصومة ؛ للمنهج السلفي ، وهذه دعوى عريضة لا تروج إلا عند من قلَّ علمه ؛ إذ إنَّ قواعد وأصول المنهج السلفي مبنية على اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة .

المبحث الثالث: خصائص المنهج السلفي.

للمنهج السلفي خصائص تميزه عن غيره من المناهج المبتدعة، وبها يمكن لكل مطلع أن يحكم على هذا المنهج من حيث اتباعه للسنة وقربه منها، أو مخالفته لها وبعده عنها.

ولو أردنا استقصاء خصائص المنهج السلفي لطال بنا المقام؛ لأن هذا المنهج يمثل دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، بكل ما في هذا الدين من خصائص ميزته عن سائر الأديان. والمقصود هنا أن نسلط الضوء على أهم خصائص المنهج السلفي التي تميز بها عن غيره من المناهج والدعوات والحركات التي تنتسب إلى الإسلام.

فمن أهم خصائص المنهج السلفي:

أولاً: لزوم اتباع الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة، والحذر من اتباع الأهواء والبدع.

امثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا))^(١).

ولقول النبي ﷺ: فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً.

ثم قال ﷺ: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة^(٢).

(١) سورة النساء: ٥٩

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح.

ثانياً: تقديم النقل على العقل ، مع الاعتقاد بعدم تعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح ، ولا النقل الصحيح مع العقل الصريح.
وقد قال الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر، وقال عمر!^(٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))^(٣).

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك^(٤).

ثالثاً: ثبات أتباع المنهج السلفي على الحق، وعدم تلونهم كما يتلون أهل الأهواء.

كما قال حذيفة رضي الله عنه: إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله تعالى؛ فإن دين الله واحد^(٥).

(١) سورة الحجرات: ١

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٣٧٣) بنحوه.

(٣) سورة النور: ٦٣

(٤) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٣٤).

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (١٢٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وبالجمله فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة^(١).

وقال أيضاً: إنّ ما عند عوام المسلمين وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم بالحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين^(٢).

رابعاً: حرص أتباع المنهج السلفي على نشر العقيدة الصحيحة، وتعليم الناس ونصحهم، والتحذير من البدع والمحدثات، والرد على المخالفين والمبتدعين.

وهذا منهم امتثال واتباع لهدي النبي ﷺ في الدعوة؛ إذ اعتنى رسول الله ﷺ أولاً بتحقيق توحيد الله تعالى، وحذر من الشرك والبدع.

وأتباع المنهج السلفي يقتدون بالنبي ﷺ في طريقة دعوته، فيحرصون على ما حرص عليه رسول الله ﷺ أولاً.

كما قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))^(٣).

خامساً: اتفاق أتباع المنهج السلفي على مسائل العقيدة، وعدم اختلافهم، حتى مع اختلاف الزمان والمكان.

(١) مجموع الفتاوى (٥١/٤).

(٢) المرجع السابق (١٩/٤).

(٣) سورة الأنبياء: ٢٤

ففقيدة أتباع المنهج السلفي في كل عصر ومصر هي العقيدة الثابتة في الكتاب ، والسنة ، لا تختلف على اختلاف الأزمان والأماكن ؛ لأن مصدرها واحد ، ومنهجهم في تلقيها وفهمها لا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن.

سادساً : البُعد عن التأويلات الكلامية التي تؤدي إلى نقْص عُرَى الإسلام ، وتمييع عقيدته وشرائعه ، فما خرج الخوارج إلا من هذا الباب ؛ فاستحلوا به دماء الصحابة ، وقتلوا الأنفس التي حرم الله تعالى.

سابعاً : العناية بلزوم الجماعة ، والسمع والطاعة لولاة الأمر في المعروف. امثالاً لقول الحق تبارك وتعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا))^(١).

ولقوله تعالى : ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))^(٢).

ويرون السمع والطاعة لولي الأمر ديناً يتعبدون الله تعالى به ، وطاعة لرسوله ﷺ ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! إنا كنا بشر ؛ فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم. قلت : هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم. قلت : فهل وراء ذلك الخير شر ؟

(١) سورة النساء : ٥٩

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣

قال : نعم. قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس . قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمر ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع^(١) .

ثامناً : من خصائص المنهج السلفي العناية بالبيعة لولي الأمر على السمع والطاعة.

وفي نفس الوقت يحذر المنهج السلفي من البيعات المبتدعة للجماعات والأشخاص والأحزاب على اختلاف أنواعها وتعدد مسمياتها.

وذلك منهم امثال لقول الحق تبارك وتعالى : ((مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) ((مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ))^(٢) .

ولقوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))^(٣) .

وقوله تعالى : ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون))^(٤) .

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٨٤٧) .

(٢) سورة الروم : ٣١ ، ٣٢

(٣) سورة الأنعام : ١٥٩

(٤) سورة آل عمران : ١٠٣

تاسعاً: أن أتباع المنهج السلفي يرون النصيحة لولاة الأمر سراً، ويرون حرمة إحداث الفرقة بين المسلمين بإشاعة معائب الولاة، وتكثيرها، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم، ولذلك يرون حرمة المظاهرات والاعتصامات، والخروج على ولاة الأمر بأي نوع من أنواع الخروج التي تؤدي إلى الفوضى وإثارة الفتنة في المجتمع الآمن.

وعن عياض بن غنم قال قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي كان عليه له^(١).

عاشراً: من خصائص أتباع المنهج السلفي أنهم يرون وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على وفق ما دلّ عليه الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، من غير غلو ولا جفاء.

ذلك أن أهل البدع انقسموا في باب الأمر والنهي إلى قسمين: قسمٌ غلوا في هذا الباب، حتى خرجوا على ولاة الأمر، وقسمٌ تساهلوا فيه حتى تركوه بالكلية.

الحادي عشر: أن أتباع المنهج السلفي هم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ، وأقواله، وأفعاله، وأعلم الناس بصحيح ما روي عنه من ضعيفه، ويتميزون عن سائر الطوائف بشدة محبتهم للسنة النبوية وعلومها التفصيلية، وبتابعهم للسنة وحرصهم عليها.

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٩٦)، والطبراني في مسند الشاميين (٩٧٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولاً وحالاً، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق^(١).

الثاني عشر: اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم، والأحكم، والأسلم، بخلاف ما يدعيه أهل البدع من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فوائح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخرية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيراً، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلتهم: **أَنْ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ أَسْلَمَ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ! وَلَا كَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْهُمْ مِنَ الْمُتَتَسِّبِينَ إِلَى الْفَقْهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لِمُتَنَبِّاطِ الْفَقْهِ وَضَبْطِ قَوَاعِدِهِ وَأَحْكَامِهِ اشْتِغَالًا مِنْهُمْ بغيره! والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفاقه!**

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت هممة القوم مراعاة أصولها، وضبط

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٤٠).

قواعدها، وشد معاقدها، وهمهمهم مشمّرة إلى المطالب العالية في كل شيء،
فالتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدراً^(١).
وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الدعوى بقوله: لقد كذبوا
على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل
بطريقة السلف بالكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة
الخلف^(٢).

الثالث عشر: أن أتباع المنهج السلفي وسط بين الفرق.

لأنهم يمثلون دين الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ، والذي وصفهم الله
تعالى في كتابه بذلك فقال تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))^(٣).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال بعض السلف:
أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام بين الملل^(٤).

فدين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط بين أهل
الملل^(٥).

فأهل الإسلام كما أنهم وسط بين أهل الملل الأخرى من اليهود والنصارى،

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢٥/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/٥).

(٣) سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) مجموع الفتاوى (١٤٠/٤).

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (١٠٥/١).

فكذلك أهل السنة والجماعة ؛ أتباع المنهج السلفي هم وسط بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : بل هم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ؛ فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة ، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى ، بين القدريّة والجبريّة ، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية : من القدريّة وغيرهم ، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج^(١).

الرابع عشر: أن المنهج السلفي منهج يجمع بين الأصالة والمعاصرة ؛ فهو منهج تأصيلي تجديديّ، يقوم على تعظيم نصوص الوحيين ، ويحذر من التقليد الأعمى والتبعية بغير حجة وبرهان ، ويدعو إلى فتح باب الاجتهاد بضوابطه وشروطه.

ولذا فليس من العدل والإنصاف ، ما يرميه به أعداؤه من أنه منهج قائم على الجمود ، أو أنه غير قادر على مواكبة العصر !

وهذه فرية لا أساس لها من الصحة ؛ بل هي مخالفة لأصول ومبادئ هذا المنهج التي قام عليها.

الخامس عشر: أن المنهج السلفي منهج قائم على الوضوح والعلانية في الدعوة.

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٤١).

وهم بذلك يفارقون الفرق الأخرى البدعية، التي تقوم في دعوتها على السر والتكتم؛ حتى يصل تكتمها في بعض مسائلها وشؤونها إلى بعض المنتسبين لها من أتباعها.

وأما المنهج السلفي فهو منهج لا أسرار فيه ولا تكتم؛ كما قال الله تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(١).

وكما قال النبي ﷺ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيضَاءِ؛ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِرِّي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَبَدَ انْقَادًا^(٢).

(١) سورة يوسف: ١٠٨

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧١٤٢).

المبحث الرابع: حقوق المنهج السلفي على أتباعه.

إِنَّ أَيْ دَعْوَةَ مَهْمَا كَانَتْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ وَتُظْهَرَ إِلَّا بِعَزِيمَةِ أَتْبَاعِهَا وَصَدَقَهُمْ فِي انْتِمَائِهِمْ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ بَعْدَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى.

وإنَّ المنهج السلفي قائم بإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْذُ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَاعْتَنَقَهُ أَصْحَابُهُ الْبِرَّةِ الْمَكْرُمِينَ، ثُمَّ التَّابِعُونَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ إِلَى وَقْتِنَا الْحَاضِرِ، وَإِلَى قِيَامِ النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هَذَا الدِّينَ دُونَ سِوَاهُ، وَجَعَلَهُ خَيْرَ الْأَدْيَانِ وَخَاتَمِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))^(١).

وقد أوجب الله تعالى على أتباع هذا الدين، المتبعين لسيد المرسلين، السائرين على ما سار عليه الصحابة والتابعون: أَنْ يَقُومُوا بِحَقِّ هَذَا الدِّينِ، وَيَحَافِظُوا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ تَنَالَهُ دَعَاوَى الْمَغْرُضِينَ، أَوْ يَشُوهُ صُورَتُهُ وَنَقَاءُهُ وَصَفَاءُهُ كَيْدِ الْمَنَافِقِينَ وَالْمُبْطِلِينَ.

وَحَثَّ نَبِيُّ الْهُدَى عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، أَتْبَاعَهُ عَلَى حَمْلِ رَايَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَنَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (سورة النحل: ١٢٥).

وقال تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (١٠٨) سورة يوسف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً^(١).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِعَلِيِّ رضي الله عنه: فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ^(٣).

ومن هنا يمكن أن نستخلص بعض النقاط في حقوق المنهج السلفي على أتباعه:

١ - العناية بتعلم العلم؛ أعني علم الكتاب والسنة، والتفقه فيهما؛ لأن هذا الدين قام على العلم ورغب فيه، ولا يمكن المحافظة عليه إلا بمعرفته المعرفة الحققة من كل جوانبه، كما فهمه الرسول ﷺ وأتباعه من بعده.

وفي هذا السبيل رغب الله تعالى في كتابه المبين في العلم وطلبه، فقال تعالى: ((فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً))^(٤).

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢٦٥٧) وقال: حسن صحيح.

(٤) سورة طه: ١١٤.

وجعل الله تعالى العلم طريقا لحشيته وتقواه، فقال تعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ))^(١).

٢- العناية بالدعوة إلى هذا المنهج الحق، وبيانه للناس، فالحق أبلغ، ويكفي أن نعرضه على الناس ليعرفوا مكانته وصدقه، فيكثر أتباع الحق، وتظهر السنة، ويقل أصحاب الباطل، وتندثر البدعة.

٣- ردُّ الدعاوى الباطلة التي قامت ولا تزال للنيل من الحق وأهله، أصحاب المنهج السلفي النقي، القائم على منهج النبوة، ومن تبعه إلى يوم الدين.

وإنَّ التصدي لتلك الدعاوى الباطلة، التي تشوه صورة المنهج السلفي، وتنفر الناس عنه: لهو من أعظم أبواب الجهاد باللسان، جهاد القلم والبيان، لنصرة سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وكشف زيف الباطل وأتباعه، والردُّ عليهم بالحجة والبرهان.

والباطل لا حجة لديه، ولا تقوم له قائمة أمام حجج القرآن والسنة، وأقوال سلف الأمة، التي تدلُّ على المنهج الصحيح وتبين مكانه، وتصدُّ الباطل وتظهر للناس عواره.

٤- كشف زيف الدعاوى والمناهج المبتدعة، والتي تزعم زورا وبهتانا اتباعها لهذا الدين بصورته الحقيقية، وهي في الحقيقة مناهج مبتدعة مخالفة لهدي الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

(١) سورة فاطر: ٢٨

وإن كشف زيف باطل أهل البدع والمحدثات من أهم واجبات الدين ،
وخصوصا في هذا الزمن الذي زيف فيه أهل الباطل باطلهم ، وأظهره
بصورة الحق ، وهو في حقيقته أبعد ما يكون عن منهاج النبوة.

٥ - الصبر على الأذى في سبيل نشر دعوة السلف الصالح ، وكف الباطل
وأهله عن النيل من هذا المنهج المستقيم.

فكل دعوة للحق لا بد وأن تجد من يقف في طريقها ، ويحاول وضع
العراقيل التي تحد من تقدمها.

وإن التسلح بسلاح الصبر في مواجهة أعداء هذا المنهج هو وحده الكفيل -
بعد عون الله تعالى - باستمرار ظهور هذا المنهج السلفي النبوي على مر
العصور وتعاقب الدهور.

وقد أمر الله تعالى بالصبر في كتابه المبين في غير ما آية ؛ ومن ذلك قول
الحق تبارك وتعالى : ((فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))^(١).

وقال تعالى : ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا
يُوقِنُونَ))^(٢).

وقال تعالى : ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ))^(٣).

(١) سورة هود : ٤٩

(٢) سورة الروم : ٦٠

(٣) سورة غافر : ٥٥

وقال تعالى : ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا
الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))^(١).

وقال تعالى : ((فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا))^(٢).

وقال تعالى : ((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا))^(٣).

(١) سورة الأحقاف : ٥٥

(٢) سورة المعارج : ٥

(٣) سورة الإنسان : ٢٤

الغاية

بعد هذا العرض الموجز لأهم خصائص المنهج السلفي يمكن استخلاص النتائج الآتية :

- ١ - ضرورة بيان حقيقة المنهج السلفي ؛ وتجليته أمام المسلمين.
- ٢ - يجب العناية ببيان أن المنهج السلفي يمثل حقيقة دين الإسلام كما جاء به النبي ﷺ.
- ٣ - ضرورة العناية برّد الشبهات المثارة حول المنهج السلفي.
- ٤ - ضرورة إبراز خصائص المنهج السلفي بما يحقق معرفة الناس به.
- ٥ - تميز المنهج السلفي بخصائص متعددة تميزه عن غيره من المناهج المبتدعة.

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - أبو داود: السنن. لأبي داود ؛ سليمان بن الأشعث السجستاني. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ. دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
- ٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. ط ١٤٠٨ هـ مكتبة ابن تيمية. القاهرة.
- ٣ - التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور. ط ١٩٩٧ م. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.
- ٤ - تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء ؛ إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق مصطفى السيد ، وآخرون. الطبعة الأولى. عام ١٤٢٥ هـ. دار عالم الكتب. الرياض.
- ٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. الطبعة الأولى. ١٤٢٠ هـ. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ٦ - جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. مكتب التحقيق بدار هجر. الطبعة الأولى. دار هجر. مصر.
- ٧ - جامع الترمذي: الجامع. للإمام أبي عيسى ؛ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. بإشراف الشيخ/صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية . عام ١٤٢١ هـ . دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
- ٨ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق د/عبدالله التركي. الطبعة الأولى. عام ١٤٢٧ هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ٩ - السنة. للحافظ أبي بكر ؛ عمر بن أبي عاصم الشيباني. خرجه الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الأولى. عام ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامي. بيروت.
- ١٠ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. لأبي القاسم ؛ هبة الله ابن الحسن اللالكائي. تحقيق د.أحمد سعد حمدان. الطبعة الأولى. عام ١٤٠٩ هـ. دار طيبة. الرياض.

- ١١ - شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي. تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرياض.
- ١٢ - صحيح البخاري: الصحيح. للإمام أبي عبدالله؛ محمد بن إسماعيل البخاري. بإشراف الشيخ/ صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
- ١٣ - صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين؛ مسلم بن الحجاج النيسابوري. بإشراف الشيخ/ صالح آل الشيخ. الطبعة الثانية. عام ١٤٢١ هـ دار السلام للنشر والتوزيع. الرياض.
- ١٤ - غريب الحديث. لأبي سليمان؛ حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. تحقيق عبدالكريم إبراهيم عزباوي. ١٤٠٢ هـ جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- ١٥ - الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية. لأبي منصور؛ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي. الطبعة الثانية ١٩٧٧ م دار الآفاق الجديدة. بيروت.
- ١٦ - الفقيه والمتفقه. لأبي بكر؛ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري. الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ درا الكتب العلمية. بيروت.
- ١٧ - القول السديد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. الطبعة الثانية. ١٤٢١ هـ وزارة الشؤون الإسلامية. الرياض.
- ١٨ - لسان العرب. لمحمد بن مكرم بن منظور. طبعة عام ١٤٢٤ هـ دار عالم الكتب. الرياض.
- ١٩ - مجموع الفتاوى. لشيخ الإسلام أبي العباس؛ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني. جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم. نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة النبوية.
- ٢٠ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. إشراف د. محمد بن سعد الشويعر. نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء. الرياض.
- ٢١ - المسند. للإمام أبي عبدالله؛ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. الطبعة الأولى. عام ١٤٢١ هـ مؤسسة الرسالة. لبنان.
- ٢٢ - مسند الشاميين. لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. تحقيق خمدي عبدالمجيد السلفي. الطبعة الأولى. ١٤٠٥ هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ٢٣ - معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. تأليف د. محمد بن خليفة التميمي. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ مكتبة أضواء السلف. الرياض.



المنهج السلفي

نشأته واستمراره وخصائصه

إعداد

د. منيرة بنت محمد المطلق

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

بجامعة الأميرة نورة

الشيعة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 (آل عمران: ١٠٢). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] (٢) (٣).

١ - أخرج هذا الجزء من خطبة الحاجة: مسلم ٥٩٣/٢.

٢ - أخرجه أبو داود ج ٢/ص ٢٣٨ ، وابن ماجه ج ١/ص ٦٠٩ ، و الترمذي ج ٣/ص ٤١٣ بزيادة (وَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ) وقال الترمذي: (حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - ، وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - ، وَكِلَا الْحَدِيثَيْنِ صَحِيحٌ لِأَنَّ إِسْرَائِيلَ جَمَعَهُمَا).

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢/ص ٢٣٨ ، ح / ٢١١٨ كِتَاب: النِّكَاح ، بَاب: فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ وابن ماجه ج ١/ص ٦٠٩ ح / ٢١١٨ ، كِتَاب: النِّكَاح ، بَاب: خُطْبَةِ النِّكَاح ، و الترمذي ج ٣/ص ٤١٣ ، ح / ١١٠٥ ، كِتَاب: النِّكَاح ، بَاب: مَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ بزيادة: (وَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ) وقال الترمذي: (حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثٌ حَسَنٌ ...).

أما بعد : فالحمد لله الذي أرسل رسوله ليبين للناس العقيدة الصحيحة التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الرسائل السماوية ، وتفضل سبحانه بخاتمة الرسائل على هذه الأمة ، وهياً لها من العلماء من يحمل عقيدتها جيلاً بعد جيل ، ويذل روحه رخيصة دونها ؛ لتصل إلينا نقية كما أنزلت ، وهذه هي عقيدة السلف الصالح ، وقد أحببت أن يكون لي جهد بسيط في ندوة السلفية التي تقيمها جامعة الإمام بيان (المنهج السلفي نشأته واستمراره وخصائصه) ، سائلة الله - ﷻ - الإعانة والتوفيق والسداد ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به وما كان صواباً فمن فضله - سبحانه ، وما كان من خطأ فمن نفسي وأسأله العفو والمغفرة.

منهجي في هذا البحث :

اتبعت فيه المنهج الاستقرائي.

خطة البحث :

تشتمل خطة البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول : نشأة منهج السلف ، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : التعريفات.

المطلب الثاني : نشأة مصطلح السلف.

المطلب الثالث : الأسماء المرادفة لاسم السلف.

المبحث : الثاني المراحل الزمنية لمنهج السلف ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : مراحل القوة والضعف.

المطلب الثاني مراحل تدوين المذهب.

المبحث الثالث : استمرار المنهج السلفي.

المبحث الرابع خصائص المنهج السلفي ، وفيه :
المطلب الأول : تميز المنهج السلفي بخصائص من ناحية التلقي.
المطلب الثاني تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الاسم.
المطلب الثالث : تميز منهج السلف بخصائص من ناحية الأخلاق والمعاملة.
المطلب الرابع : تميز منهج السلف بخصائص من ناحية العقيدة.
المطلب الخامس : تميز منهج السلف بخصائص من ناحية العمل والعبادة.

المبحث الأول: نشأة منهج السلف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريفات:

لا بد قبل البدء بتحديد النشأة من التعرف على بعض المصطلحات لضرورة ذلك لهذا المبحث وهذه التعريفات هي.

أولاً: تعريف المنهج:

معنى المنهج في اللغة: النهج؛ الطريق المستقيم الواضح، والنهج: الربو وتواتر النفس يصيب الإنسان من شدة الحركة، ونهج الثوب: بلي ولم يتشقق^(١).

وفي الشرع يقول الطبري^(٢) عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٤٨) (سورة المائدة)...، أما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح... ثم يستعمل في كل شيء كان بينا واضحا يعمل به^(٣). وقال ابن الجوزي^(٤): (والمنهاج الطريق المستمر)^(٥). (والطريق المستقيم الواضح

(١) انظر: لسان العرب/ ابن منظور: ج ٢/ ص ٣٨٣، دار صادر - بيروت، الطبعة:

الأولى، والمعجم الوسيط/ مجموعة من المؤلفين: ج ٢/ ص ٩٥٧، دار الدعوة.

(٢) محمد بن جرير الإمام العالم المجتهد أبو جعفر الطبري، من أهل آمل طبرستان، وكان من أفراد الدهر علما، من تصانيفه: جامع البيان، وتاريخ الأمم. ت: ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٤ / ٢٦٧.

(٣) جامع البيان/ الطبري: ج ٦/ ص ٢٦٩، وانظر: غريب القرآن/ أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني: ج ١/ ص ٤٥٥، دار قتيبة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٤) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي، علامة عصره في التاريخ والحديث من مؤلفاته: تلبس إبليس وزاد المسير. ت: ٥٧٩م انظر الكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ١٢ / ١٧١، ط/ ١٣٨٦هـ - دار صادر. بيروت.

(٥) زاد المسير/ ابن الجوزي: ج ٢/ ص ٣٧٢.

يقال: هذا نهجي لا أحيد عنه^(١)، (وفي حديث العباس لم يمت رسول الله حتى ترككم على طريق ناهجة)^(٢): أي واضحة بينة^(٣).

ثانيا: تعريف السلف:

السالف في اللغة هو: المتقدم، والسلف السليف السلفة: الجماعة المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون^(٤)، وفي الاصطلاح: (السلف المتقدم، ولزيد سلف كريم أي: آباء متقدمون جمعه أسلاف)^(٥).

ويقصر بعض الناس معنى السلف في الاعتقاد:

١ - على الصحابة: (يقول القلشاني^(٦)): (السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبي - ﷺ - ، الحافظون لسنته، اختارهم الله لصحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه)^(٧).

(١) المعجم الوسيط / مجموعة من المؤلفين: ج ٢ / ص ٩٥٧، وانظر: لسان العرب / ابن منظور: ج ٢ / ص ٣٨٣.

(٢) أخرجه الخطابي في غريب الحديث: ٢ / ٢٤١، رقم: ٨٤٦ وأورده ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية: ٤ / ٤٢٨، وقال: "إسناده صحيح"، والصنعاني في سبل السلام: ١٤٠٣ ج ٥ ص ٣٤٣.

(٣) لسان العرب / ابن منظور: ج ٢ / ص ٣٨٣.

(٤) انظر: مشارق الأنوار / القاضي عياض: ج ٢ / ص ٢١٩، ولسان العرب / ابن منظور: ج ٩ / ص ١٥٨، ومقاييس اللغة / ابن فارس: ج ٣ / ص ٩٥.

(٥) التعاريف / المناوي: ج ١ / ص ٤١٢.

(٦) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي. تولى القضاء بتونس. له: شرح المدونة. توفي سنة ٨٦٣ هـ. انظر: نيل الابتهاج / التنبكتي المالكي: ٧٨.

(٧) تحرير المقالة من شرح الرسالة / أحمد القلشاني: ٣٦، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٦٠٤، وانظر: عون المعبود ج ١٢ / ص ٢٤٠، والتوضيح عن توحيد الخلاق / سليمان بن عبد الله: ٦٤، وحاشية البجيرمي / لسليمان بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١ هـ): ج ١ / ص ١٦٧، وإعانة الطالبين / أبو بكر الدمياطي (المشهور بالبكري المتوفى: بعد ١٣٠٢ هـ): ج ٢ / ص ٦٩.

٢- على القرون الثلاثة المفضلة :

يقول محمد بن سلوم^(١) : (السلف مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين)^(٢) ، وهو قول البجيرمي^(٣) : (السلف هم أهل القرون الأولى الثلاثة الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين)^(٤) ، وهو المشهور^(٥) . فاسم السلف

(١) محمد بن علي بن سلوم التميمي النجدي له مختصرات كثيرة منها: مختصر عقيدة شرح عقيدة السفاريني، ت: ١٢٤٦ هـ. انظر: الأعلام / الزركلي: ٦ / ٢٩٧ - ٢٩٨ ، ومعجم المؤلفين / كحالة: ١١ / ١٣ .

(٢) مختصر لوامع الأنوار البهية / محمد بن علي بن سلوم: ١٥ ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م، وانظر: إجماع العوام عن علم الكلام / الغزالي ٥٣ ، وانظر: العقيدة الطحاوية / الطحاوي: ٤٩ ، والاعتصام / الشاطبي: ١ / ٢٣ ، وحاشية الجمل على شرح المنهج / سليمان بن عمر الجمل (المتوفى: ١٢٠٤ هـ): ج ١ / ص ٢٩٦ .

(٣) سليمان بن محمد البجيرمي: فقيه مصري. ولد: ١١٣١ هـ في بجزير (من قرى الغربية بمصر) وقدم القاهرة صغيراً، فتعلم في الأزهر، ودرس. له كتاب التجريد (حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية)، و(تحفة الحبيب حاشية على شرح الخطيب). ت: ١٢٢١ هـ. انظر الأعلام / الزركلي: ٣ / ١٣٣ .

(٤) حاشية البجيرمي / سليمان بن محمد البجيرمي (المتوفى: ١٢٢١ هـ): ج ١ / ص ٣١٧ .

(٥) انظر: حاشية البجيرمي / سليمان بن محمد البجيرمي (ت: ١٢٢١ هـ): ج ١ / ص ١٦٧ ، وقواعد الفقه / محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ١٢٥ ، الصدف بيلشرز، كراتشي، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ ، وحاشية الجمل على شرح منهج الطلاب / سليمان الجمل، ت: ١٢٠٤ هـ: ج ٢ / ص ١٧٦ ، والإمام ابن تيمية وقضية التأويل / محمد السيد الجليلند: ٥٢ ، ط / ٥ ، ٢٠٠٠ م دار قباء للطباعة، القاهرة، وفي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة / الدكتور محمود أحمد الخفاجي: ٢٠ ، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩ م.

يشمل الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وأيضاً من سار على دربهم إلى قيام الساعة يشملهم اسم السلف ، لا يطلق عليهم اسم الخلف ؛ لأنهم جعلوا القرآن والسنة أصولاً لهم وفهموها وفقاً لمن سلف من الأئمة.

هل تكفي النسبة الزمنية لئنتسب إلى مذهب السلف؟

لا ، لا تكفي النسبة الزمنية للانتساب لمذهب السلف ، بل لا بد من الموافقة في المعتقد الذي عليه الصحابة ، ومن سار على ذلك من أصحاب القرون المفضلة. يقول الإمام الذهبي ^(١) : (السلفي...هو من كان على مذهب السلف) ^(٢). ويقول السمعاني ^(٣) : (السلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء : هذه النسبة إلى السلف ، وانتحال مذهبهم على ما سُمعت منهم) ^(٤). ويقول الدكتور محمود أحمد الحفاجي : (ليس هذا التحديد الزمني كافياً في ذلك ، بل لا بد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة...، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي ، وإن عاش بين

(١) هو : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي التركماني ، حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق ، تصانيفه تقارب المائة منها : سير النبلاء ، وتذكره الحفاظ. ت ٧٤٨هـ. انظر : فوت الوفيات / الكتبي : ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ ، ط / ١٩٥١ ، مطبعة السعادة - مصر.

(٢) سير أعلام النبلاء / الذهبي : ج ٢١ / ص ٦.

(٣) هو : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، أبو سعد : مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث. (بطن من تميم). من كتبه ، (الأنساب) و(تبيين معادن المعاني). ت : ٥٦٢هـ. انظر : سير أعلام النبلاء / الذهبي : ٢٢ / ١٠٧ - ١٠٩ ، والأعلام / الزركلي : ٤ / ٥٥.

(٤) الأنساب / السمعاني : ج ٣ / ص ٢٧٣.

أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين^(١)، فالمقصود بالمنهج السلفي هو: اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح إلى يوم القيامة، والخلف يطلق على من عداهم من أهل المقولات والمعتقدات المبتدعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢): (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، ما دل عليه الكتاب والسنة وهو: الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة)^(٣). ويقول السفاريني^(٤): (المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - ،

(١) وفي العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة/ الدكتور محمود أحمد الخفاجي: ٢٠، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩م، وانظر: وسطية أهل السنة/ باعبد الله: ١٠١، ط / ١، ١٤١٥هـ، دار الراية.

(٢) هو: أحمد بن عبد الحليم النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد: ٦٦١هـ في حران ومات معتقلاً بقلعة دمشق: ٧٢٨هـ. فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث، داعية. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها: السياسة الشرعية، ومجموع الفتاوى، ومجموع الرسائل، ومنهاج السنة والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والواسطة بين الحق والخلق، والصارم المسلول على شاتم الرسول، وغيرها كثير. انظر: مرآة الجنان/ الياضي: ج: ٤ / ص ٢٧٧، والأعلام/ الزركلي: ١ / ١٤٤.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: ج ١٢ / ص ٣٧.

(٤) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. من كتبه: غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، ولوائح الأنوار البهية. ت: ١١٨٨هـ. انظر الأعلام/ الزركلي: ٦ / ١٤.

وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف ، دون من رمي ببدعة ، أو اشتهر بلقب غير مرضي^(١) . ويقول الشيخ ابن عثيمين (ت : ١٤٢١ هـ) : (فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً ، حتى المتأخر إلى يوم القيامة ، إذا كان على طريقة النبي - ﷺ - وأصحابه ، فإنه سلفي^(٢) .

فالمراد من التعبير بالسلفية هو : اتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ، والتابعين ومن سار على دربهم من هذه الأمة المسلمة ، الذين هم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، على فهم السلف الصالح ، وهم أهل السنة والجماعة ، أجمعوا واجتمعوا على اتباع سنة رسول الله - ﷺ - وآثاره ، باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، واتباع وصية رسول الله - ﷺ - في ذلك ، فكل من التزم بعقائد هؤلاء الأئمة وفقههم كان منسوباً إليهم ، وإن

(١) لوامع الأنوار البهية / السفاريني : ٢٠ / ١ ، وانظر : التمهيد / ابن عبد البر ج ٢٣ / ص ٣٢٢ ، ومجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١ / ص ٢٦٥ ، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل / محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة : ٤٠ ، دار السلام ، ط / ١ ، ١٩٩٠ . وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية / حمود بن أحمد الرحيلي : ٦ - ٧ ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٢٤ هـ ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٤٠ / ١٧٥) ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل : ١ / ٢٢٥ ، والعقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي : ص ١١ ، ط / ٢ ، ١٩٧٠ .

(٢) كتب ورسائل الشيخ ابن عثيمين : ١١٢ / ص ٢٦ ، وشرح العقيدة الواسطية / ابن عثيمين : ٥٤ / ١ .

باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم، وجمع بينهم الزمان والمكان نفسه.

ويكون المراد بالسلف الصحابة - ﷺ - ، لكن توسّع في هذا المصطلح، فشمّل من تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم من أئمة الدين ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، سواء أكانوا من القرون الخيرية أم ممن جاء بعدهم، قال - تعالى - : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠) سورة التوبة، وقال - ﷺ - : (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)^(١)، وقال - ﷺ - أيضا: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة)^{(٢)(٣)}.

-
- (١) أخرجه البخاري: ٢ / ٩٣٨، رقم ٢٥٠٩، مسلم: ٤ / ١٩٦٣، رقم ١٩٦٢.
- (٢) أخرجه ابن ماجه ج ١ / ص ١٥، رقم ٤٢، والترمذي ج ٥ / ص ٤٤، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وأحمد ٤ / ١٢٦، رقم: ١٧١٨٢، والحاكم: ج ١ / ص ١٧٧، رقم: ٣٣٣، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، رقم: ١٦٥.
- (٣) انظر: التحفة المهدية / فالح بن مهدي ص ١٠، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي / صالح بن عبد الله العبود: ١ / ٩٢١، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٠ / ١٧٦، وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية / حمود بن أحمد الرحيلي: ٦ - ٧، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ٤٠ / ١٧٦، وسطية أهل السنة / باعبد الله: ١٠١ - ١١٤، والدعوة

فالخلاصة هي : أن (السلفية ؛ نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله - ﷺ - وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى - ﷺ - ، الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخير في قوله : (...خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته)^(١) ... ، والسلفيون : جمع سلفي نسبة إلى السلف... ، وهم الذين ساروا على منهاج السلف ، من اتباع الكتاب والسنة ، والدعوة إليهما ، والعمل بهما ، فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة)...^(٢) ، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - (ت : ١٤٢٠هـ) : (إن السلف هم أهل القرون المفضلة ، فمن اقتفى أثرهم ، وسار على منهجهم فهو سلفي ، ومن خالفهم في ذلك فهو من : الخلف)^(٣) ، وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ت : ١٤٢٩هـ) : (والثابتون على منهج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك ، فقليل لهم : (السلف والسلفيون) لا يعني المتأخر ، بل لفظ (الخلف)

السلفية / محمود عبد الحميد العسقلاني : ١ / ١ ، الناشر : الموقع الرسمي الدكتور. محمد بن إسماعيل المقدم ، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد : [www. m-ismail. com](http://www.m-ismail.com) .
www. saaid. net

(١) أخرجه البخاري برقم ٢٦٥١ و ٣٦٥٠ و ٦٤٢٨ و ٦٦٩٥ ومسلم برقم ٢٥٣٥ ، وأبو داود برقم ٤٦٥٧ ، وأحمد ٤٢٦٤ و ٤٢٧ و ٤٧٩ .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية - العدد الرابع والثلاثون - الإصدار : من رجب إلى شوال سنة ١٤١٢هـ - الفتاوى - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - ما هي السلفية (الفتوى رقم : ١٣٦١ جزء : ٣٤ صفحة : ٩٣) .

(٣) العقيدة الحموية ص ٢٠٣ من كلام المحقق حمد بن عبد المحسن التويجري. دار الصمعي - الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

يعني (الطالح) في أحد معنييه ، إذا كان (بفتح اللام) ، أما بإسكان اللام (خلف) فهو (للطالح) لا غير ، ولا تكون (للصالح) ، وكما في قوله - تعالى - : { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ } (٥٩) سورة مريم).
وعليه فإن لفظ (السلف) هنا يعني (السلف الصالح) ، بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء للصحابة - ﷺ - ، حتى ولو كان في عصرنا وهكذا^(١).

(١) حكم الانتماء / بكر أبو زيد: ٥٩.

المطلب الثاني: نشأة مصطلح السلف:

تمهيد:

وعلى ما سبق بيانه فإن النشأة تطال الاسم لا المسمى، فيكون المقصود هنا بيان متى بدأ التسمي بالسلف، لا متى بدأ مذهب السلف، فالسلف قديم قدم الإسلام نفسه، فالسلف هم أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وأهل الحديث والأثر؛ لأن منهجهم ومسلكتهم واحد، فلا اختلاف بالاسم، لكن المسمى والمعنى واحد كما مر، فهذه الطائفة هي التي حافظت بعد ظهور الفرق المختلفة على العقيدة والمنهج الإسلامي الأصيل، وهو التمسك بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، والابتعاد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه، طبقاً لفهم الأوائل من الصحابة - رضي الله عنهم - الذين عاصروا الرسالة، والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، والذي كانت سيرته العطرة هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح، وحولوه إلى منهج حياة، وهذا المنهج نزل به الأمين جبريل على صدر رسولنا - صلى الله عليه وسلم - من عند الله - تبارك وتعالى - ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ (النجم: ٤). وقوله - تعالى - : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٠) فالسلفية إذاً ليست من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علماً وعملاً وهي تمسك بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، لا تخرج عما كانوا عليه.

فالدعوة السلفية إذًا هي محاولة قولية وفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى الحق والصراط المستقيم، أي إلى دين النبي - ﷺ - وشرعه الذي جاء به، بفهم السلف الصالح أصحاب رسول الله - ﷺ - ؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله - ﷺ - ، فالقرآن نزل بلغتهم التي يجيدونها ونزل بين أظهرهم، وهم يعلمون: متى نزل؟ وفيما نزل؟، مع فهمهم لمعانيه ومقاصده، وما خفي عليهم من شيء سألوا عنه رسول الله - ﷺ - ، فبين لهم، فالدعوة إلى هذا الدين، وبهذا الفهم دعوة إلى الحق وإلى صراط مستقيم وإلى دين القيمة^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة^(٢) ومالكا^(٣) والشافعي^(٤) وأحمد^(٥))

(١) انظر: قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي / مصطفى حلمي: في مقدمة طبعة كتابه الثالثة وص ٢٦ و٢٠٩ و٢١١ دار الدعوة، الإسكندرية، ط /، ١٩٩٦ م، والدعوة السلفية / محمود عبد الحميد العسقلاني: : ١ / ٣ - ٤، الناشر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ د. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد. WWW. M- .www. saaid. net ، ismail. com

(٢) هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، لم ير أحدا من الصحابة باتفاق أهل الحديث، وإن كان عاصر بعضهم ولد: سنة ثمانين من الهجرة وتوفي ببغداد ستة مائة وخمسين، وقال البغدادي: إمام أصحاب الرأي وفقه أهل العراق، انظر / تهذيب الأسماء / النووي: ٢ / ٥٠١، ط / ١.

(٣) هو: الإمام الجليل الحافظ مالك بن أنس الأصبحي عالم المدينة، له كتاب الموطأ، وإليه ينسب المذهب المالكي، ولد عام: ٩٣ هـ ت: ١٧٩ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ٨ / ٤٨ - ١٢٠.

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي القرشي، العالم الجليل، وناصر الحديث، وفقه الملة، ت: ٢٠٤ هـ انظر مناقب الشافعي / لأبي بكر بن الحسين البيهقي، ط / ١، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، دار التراث.

(٥) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، شيخ الإسلام صدقا. قال قتيبة بن سعيد: (أحمد بن حنبل إمامنا، ومن لم يرض به فهو

فإنه مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ، ومتنازعون في إجماع من بعدهم^(١) .

نشأة اسم السلف وفيه :

الأول : أسباب ظهور هذا الاسم وهي :

١ - ظهور الفرق وقوتها وانتشارها :

ظهرت كثير من الفرق وانتشرت البدع بسبب :

أ- توسع رقعة الإسلام ، ودخول الناس فيه أفواجا ، مع عدم التخلص من كثير من موروثاتهم الاعتقادية ، وبعضهم دخله كيدا للإسلام كعبد الله ابن سبأ^(٢) ، والجهم بن صفون^(٣) ، والجعد بن درهم^(٤) وغيرهم .

(مبتدع). أحد الأئمة الأربعة الأعلام. ت: ٢٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١٧٧ / ١ ، حلية الأولياء / الأصبهاني: ٩ / ١٦١ .

(١) منهاج السنة / ابن تيمية: ٦٠١ / ٢ .

(٢) هو: عبد الله بن سبأ ، من يهود اليمن ، ادعى الإسلام نفاقاً ، وكان السبب في معركة الجمل ، وهو مؤسس فكرة التشيع والغلو في التشيع ، وأول من قال بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، وأظهر قول أن لكل نبي وصيا ، وأن عليا وصي الأمة ، وادعى ألوهيته ، وتنسب إليه إشعال الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان - عليه السلام - ، وهو أول من أظهر الطعن والشتم في الصحابة ، وخصوصاً في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعائشة زوج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، مات بعد ٤٠هـ. انظر: تاريخ الرسل والملوك ، / لأبي جعفر محمد ، الطبري: ٢٨٣ / ٤ ، ولسان الميزان / ابن حجر: ٢٨٠ / ٣ .

(٣) هو: أبو محرز ، الجهم بن صفوان الترمذي ، كان صاحب جدال ومراء ، صحب الجعد بن درهم بعد قدومه إلى الكوفة وتأثر بتعاليمه ، وبعد مقتل الجعد بن درهم عام ١٠٥هـ حمل لواء (المعطلة) ، وكان رأس الجهمية ، وهو معطل لصفات الله ، ويقول بخلق القرآن ، وله كلام في القدر والإيمان وغيرها من أصول العقيدة ، مخالف لأهل السنة والجماعة ، قتل سنة ١٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦ / ٦ - ٢٧ . والبداية والنهاية ٣٥١ / ٩ و ٦٤٣ / ١٠ .

(٤) هو: الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، أسلم أبوه ، ولد في خراسان ، وعاش في دمشق في حي للنصارى ، ومذهبه تعطيل الله من صفاته ، والقول بخلق القرآن ، قال المدائني :

ب - ترجمة كتب الفلسفة والمنطق: بدأ المسلمون بترجمة الكتب في عهد المنصور، وبلغت أوجها في عهد المأمون، وسمي بالعهد الذهبي لها، وقد ترجمت الكتب اليونانية، فدخلت المفاهيم الفلسفية والمناهج العقلية، فزادت العقيدة انحرافاً مع غلو الخوارج والشيعة السابق للترجمة، وظهر التصوف بمذاهبه المتطرفة، كالحلول، ووحدانية الوجود، وفشت عبادة القبور، والتوسل بأصحابها، واختلط علم الكلام لدى المعتزلة^(١) بمصطلح الفلسفة اليونانية، فضعفت العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، فرأى أهل الحديث في هذه الفرق خطراً يهدد صفاء الإسلام ونقاءه، وينذر بتفكك الأمة وانهارها، فانبروا للدفاع عن العقيدة الصحيحة، فألفوا المؤلفات العديدة حولها^(٢).

"كان زنديقاً"، وقد قتله خالد بن عبد الله القسري والي هشام بن عبد الملك على دمشق عام ١٢٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥ / ٤٣٠ - ٤٣٣ هـ ٦٤٣.

(١) المعتزلة هي: فرقة من الفرق التي تنتسب للإسلام، وسموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد من رؤسائهم مجلس الحسن البصري، لقولهما بأن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، وهو من أصولهم الخمسة، ومن أصولهم أيضاً: التوحيد، ويقصدون فيه نفي الصفات عن الله - تعالى -، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف. انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة، أبو المظفر الإسفرائيني: ١٤٠٣، ٦٣ - ٦٧، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط / ١، بيروت، عالم الكتب.

(٢) انظر: التمهيد / ابن عبد البر ج ٢٣ / ص ٣٢٢، ومجموع الفتاوى / ابن تيمية ج ١ / ص ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء / الذهبي: ج ٦ / ص ٢٠٩، ولوامع الأنوار البهية / السفاريني: ١ / ٢٠، وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل / محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة: ٤٠، دار السلام، ط / ١، ١٩٩٠، وأثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية / حمود بن أحمد الرحيلي: ٦ - ٧، مكتبة

(ولهذا ذكر المحققون أن مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لا بد من ظهور قواعد واضحة لاتجاه السلف تميزه عن مدعي الانتساب إلى السلفية)^(١)، يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (الدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصحيح نفسه، دعوة الكتاب والسنة التي جاء بها محمد - ﷺ -، وكانت خاتمة الدعوات، وآخر الشرائع وخاتم الأديان...، ولم تكن هناك حاجة في هذه القرون الثلاثة الأولى لإظهار هذا المصطلح، فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الصحيح، فلم تكن هناك حاجة لذلك، ولم يوجد داع لقول: (الإسلام السلفي)، أو (الدعوة السلفية)، فمثلاً العلوم الأخرى مثل علوم العربية، كان الناس يتكلمون فيها العربية الفصحى دون لحن ودون خطأ، فلم تكن هناك حاجة إلى وضع قواعد النحو. والدعوة السلفية كان الناس يقبلون عليها ولم يكن هناك شذوذ إلا قليلاً؛...ولكن صور الانحراف بدأت تظهر شيئاً فشيئاً عندما بدأت الأفكار

العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - (٤٠ / ١٧٥)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ١ / ٢٢٥. انظر: العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي: ص ١١، ونقض أصول العقلانيين: ٢ / ٢٨، وتكوين العقل، : ٢٢٩ - ٢٣٥، والأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري / خالد كبير علال: ١ / ٤٣٩ الجزائر، دار المحتسب، ط / ١، ٢٠٠٨ م، وقواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي / مصطفى حلمي ٦٧ - ٦٨.

(١) قواعد المنهج السلفي / مصطفى حلمي: ٣٥، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء / إبراهيم الرحيلي: ١ / ٦٢ - ٦٤، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط / ١، ١٤١٥هـ.

الأخرى (المستوردة) تظهر للوجود، وعندما بدأت هذه الثقافات الأجنبية تؤثر في المسلمين، فانحرف بعضهم...، وحين ذلك بدأ أئمة المسلمين من صحابة وتابعين ومن بعدهم ينبهون إلى خطورة هذه الدخائل...، وكان من أبرز من ميز هذه الدعوة ووضحها بجلاء (الإمام أحمد بن حنبل)؛ حين ظهرت فتنة خلق القرآن في زمانه^(١)، ويقول الشيخ المحمود: (ولما حدث الافتراق، ونشأت البدع، بدأ يتحدد مصطلح السلف في عرف المتأخرين بأنهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان)^(٢).

(١) مقال (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى). د عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان - القاهرة)، مجلة الحرس الوطني رقم العدد: ٣٢٧، التاريخ. ١ / ٣ / ٢٠١٠ م.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة - (١ / ١٧).

٢- ادعاء كثير من الفرق الإسلامية أن الحق معها^(١) :

(ذكر المحققون أن مصطلح السلف إنما ظهر حين دار النزاع حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لا بد من ظهور قواعد واضحة لاتجاه السلف تميزه عن مدعي الانتساب إلى السلفية)^(٢)؛ لذا ظهر مسمى السلف وشاع وانتشر حتى يعرف الحق وأهله؛ لأن كثيرا من الفرق كالصوفية وأهل الكلام تدعي أنها هي الفرقة الناجية، وأن النجاة في اتباعها، والحق معها لا مع غيرها، من باب التضليل، أو لأنهم لم يعرفوا أنهم على غير الطريق السوي^(٣). يقول الشيخ محمد بن

(١) فالباقلاني جعل الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، انظر كتابه الإنصاف: ١٠٨ والبغدادي أيضا في كتابه الفرق بين الفرق: ١٩٧، ٢٤ و٢٦ وغيرها من الصفحات كثير، وكذلك فعل الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، انظر: ج ١ / ص ١٣٠، والجويني في لمع الأدلة: ٩٢ و٧٥، وأصول الدين / الرازي: ٦٥، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، وهم مستمررون على ذلك حتى الآن انظر: كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني، وكتاب كبرى البقننيات الكونية / محمد رمضان ١٢٥، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، وانظر: التفكير الفلسفي في الإسلام / عبد الحليم محمود: ١٣٥، ومواقعهم العنكبوتية مثل: <http://www.azahera.net/showthread.php?p=٣٦٧١> ولا يقتصر الأمر على الأشاعرة فقط انظر: كتاب وسطية أهل السنة والجماعة / محمد باعبد الله: ٥٢ ومابعدها، دار الراية، ط / ١، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: قواعد المنهج السلفي / مصطفى حلمي: ٣٥، وموقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء / إبراهيم الرحيلي: ١ / ٦٢ - ٦٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ج ٤ / ص ٧١ و١٤٤، وتوحيد الألوهية / الجليل محمد عبد السميع: ج ٤ / ص ١٤٤، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات / مرعي بن

عبد الوهاب^(١) : (كثير من الناس لا يعتقد الحق إلا معه ، ولا سيما أرباب المذاهب ، يرى كل أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره ، وكل حزب بما لديهم فرحون)^(٢) . ويقول الشيخ صديق ابن حسن بن علي القنوجي^(٣) : (كل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية ، ثم قد يقيم بعض الفرق على دعواها برهاناً أو هُناً من بيت العنكبوت ، ومنهم من يشتغل بتعداد الفرق المخالفة لما هو عليه ، ويعمد إلى ما شذت به من الأقوال ؛ ليبين بذلك أنها هالكة

يوسف الكرمي المقدسي : ٨٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٠٦ ، والاعتصام / الشاطبي : ج / ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٦ .

(١) محمد بن عبد الوهاب التيمي النجدي : زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب . ولد ١١١٥ ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز ، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها . وزار الشام . ودخل البصرة فأوذي فيها . وعاد إلى نجد ، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضياً بعد العيينة . ثم انتقل إلى العيينة ، ناهجا منهج السلف الصالح ، داعياً إلى التوحيد الخالص ، ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام . وتلقاه أميره محمد بن سعود بالإكرام ، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز ، وقتلوا من خلفه وتوفي سنة ١٢٠٦ ، وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة ، منها : كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، وتفسير الفاتحة ، وأصول الإيمان . الأعلام للزركلي - (٦ / ٢٥٧) .

(٢) مسائل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب : ٣٢ ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٦ ، ت : محمود شكري الألوسي .

(٣) محمد صديق خان بن حسن بن القنوجي ، أبو الطيب : من رجال النهضة الإسلامية المجددين بالهند . له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندية . منها بالعربية : حسن الأسوة ، وأبجد العلوم ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر . ت : ١٣٠٧ هـ ، انظر : الأعلام / الزركلي : ٦ / ١٦٨ .

لاعتمادها على تلك الأقوال ، وأنه ناج بخلوصه عنها ، ولو فتش ما انطوى عليه لوجد عنده من المقالات ما هو أشنع من مقالات من خالفه ، لكن عين المرء قليلة عن عيب نفسه... ، وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة ، فقد كفاه معلم الشرائع الهادي إلى كل خير المؤونة ، وعين الفرقة الناجية بأنها من كان على ما هو عليه - ﷺ -

وأصحابه ، وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي - ﷺ - وأصحابه ، ونقل إلينا أقوالهم وأفعالهم ، حتى أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم ، حتى كأننا رأيناهم رأى اليقين ، وبعد ذلك فمن رزقه الله إنصافاً من نفسه ، وجعله من أولي الأبواب لا يخفى عليه حال نفسه ؛ أولاً هل هو متبع لما كان عليه النبي - ﷺ - أو غير متبع ، ثم لا يخفى حال غيره من كل طائفة ؛ هل هي متبعة أو مبتدعة ، ومن ادعى أنه متبع للسنة النبوية ، متقيد بها ، تصدق دعواه أفعاله وأقواله وتكذيبها ، فإن ما كان عليه النبي - ﷺ - قد ظهر لكل إنسان ، فلا يمكن التباس المبتدع بالمتبع^(١).

ويقول - أيضاً - : (إنهم لما افترقوا ، وكل طائفة لا تقبل من الحق إلا ما قالت طائفتهم ، وكفروا بما مع غيرهم من الحق ، قال - تعالى - في [سورة البقرة: ١١٣]: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى

(١) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار / صديق بن حسن بن علي القنوجي: ٢٠٤ ، مكتبة عاطف - دار الأنصار - القاهرة ، ط / ١ ، ١٣٩٨ - ١٩٨٧ ، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ، وانظر: افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة / محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: ٧٨ ، دار العاصمة - الرياض ، ط / ١ ، ١٤١٥ هـ ، تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان.

ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿١﴾. ولا شك أن هذه من خصال الجاهلية، وكثير من الناس لا يعتقد الحق إلا معه، ولا سيما أرباب المذاهب، فيرى كل أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره، وكل حزب بما لديهم فرحون...، والحزم أن ينظر إلى الدليل، فما قام عليه الدليل، فهو الحق الحري أن يتلقى بالقبول، وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء الظهور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا من اصطفاه الله لرسالته^(١).

ê - (ë) (è) .(ë) Ò Ò

الدولة العباسية يميلون إلى مذهبهم، فكان القضاة والوزراء^(٤) من المعتزلة،

(١) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر / محمد صديق: ٢٢٧ - ٢٢٨، ط / ١، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١٠ / ص ٢٨٩ - ٣٠٨.

(٣) هم أصحاب جهم بن صفوان، رجل من ترمذ. وهو: من الجبرية الخالصة، ومعطل لأسماء الله وصفاته، وقال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال الذي لا اختيار للناس فيما يجري عليهم ولا استطاعة لهم بحال، وهو: مرجئ، ويقول: إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط. ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية. انظر: الملل والنحل / الشهرستاني ج ١ / ص ٨٦ واعتقادات فرق المسلمين والمشركون / محمد بن عمر ابن الحسين الرازي أبو عبد الله ج ١ / ص ٦٨، : مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري: ١ / ٢٣٨، والفرق بين الفرق / البغدادي: ٢١١.

(٤) فقد ذكر الذهبي أن قاضي القضاة بمصر كان ظالمًا من رؤوس الجهمية، عزله المتوكل. انظر: تاريخ الإسلام / الذهبي ج ١٧ / ص ٢٢.

كابن أبي دؤاد^(١)، وهؤلاء الخلفاء الذين مالوا للمعتزلة هم على الترتيب
الزمني لتولي الخلافة هم:

أ- المأمون (١٧٠-٢١٨هـ)^(٢).

ب- أخوه المعتصم (١٨٠-٢٢٧هـ)^(٣).

ج- الواثق (١٩٦-٢٣٢هـ)^(٤)، يقول ابن كثير^(٥): (المتوكل... كان من
خيار الخلفاء، لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة بخلاف أخيه الواثق وأبيه
المعتصم وعمه المأمون، فإنهم أسأؤوا إلى أهل السنة، وقربوا أهل البدع
والضلال من المعتزلة)^(٦) الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في

(١) هو: أحمد بن أبي دؤاد واسمه لقبه، الإيادي المعتزلي. وقد ولي ابن أبي دؤاد قضاء
القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وأعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان
الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، ومات سنة: ٢٤٠هـ، وعمره يومئذ
ثمانون سنة، وابتلاه الله بفالج قبل موته بأربع سنين، حتى بقي طريحاً في فراشه لا يستطيع
أن يحرك شيئاً من جسده، وقد صودرت أمواله، وإن ابنه أبا الوليد محمداً صودر بألف
ألف دينار ومائتي ألف دينار، ومات قبل أبيه بشهر. انظر: البداية والنهاية / ابن كثير
ج ١٠ / ص ٣١١ - ٣٢٢، والأعلام / الزركلي: ١ / ١٢٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية / ابن كثير ج ١٠ / ص ٢٧٤.

(٣) انظر: المصدر السابق: ج ١٠ / ص ٢٩٦.

(٤) انظر: المصدر السابق: ج ١٠ / ص ٣٠٨.

(٥) هو: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، حافظ، مؤرخ، فقيه، مفسر، له
مصنفات عديدة منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، ت: ٧٧٤هـ، انظر:
الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٥ / ٤٤٢، ط / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م،
والأعلام / الزركلي: ١ / ٣٢٠.

(٦) البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١٠ / ص ٣٠٦.

الآخرة، فعذبوا وسجنوا وقتلوا كثيراً من العلماء الذين لم يقولوا بقولهم^(١)؛
 لهذه الأسباب شمر أتباع سنة رسول الله - ﷺ - لبيان الحق وأهله؛ حتى
 تتضح الرؤيا، ولا يلتبس الأمر على من يريد الاقتداء بالرسول - ﷺ -
 وصحبه، فظهر هذا الاسم (السلف) والذي يعني مذهب أهل السنة
 والجماعة وأهل الحديث والطائفة الناجية، في مقابل الفرق الأخرى التي
 ظهرت؛ لأن بعضها فرق مسلمة من الفرق الاثنتين وسبعين فرقة، لكنها
 ليست هي الفرقة الناجية، فلا يكفي أن يقال: مسلم، بل لا بد من التمييز.

الثاني: تحديد وقت ظهور اسم السلف:

اختلف العلماء في نشأة مصطلح السلف:

١ - فبعض العلماء جعل بداية نشأة هذا المصطلح متزامنا مع محنة القول
 بخلق القرآن؛ لذا فهم ينسبون المنهج للإمام أحمد؛ لكونه أحيا وجدد ما
 اندرس من الدين، وذكر السفاريني أنه ظهر بعد المائتين^(٢).

٢ - وقال بعضهم ظهر هذا المصطلح في العصر العباسي في مقابلة
 الخلف، حيث زعم الأشاعرة والماتريدية أن طريق الخلف أفضل وأحكم،
 فصار لفظ السلفية يطلق على المتمسكين بمنهج السلف، فلذلك مُيزت
 السلفية في عصر ابن تيمية، وظهر هذا الاسم (دعوة السلف) و(منهج
 الخلف)^(٣)، يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (وقد تألف هذا المصطلح منذ

(١) انظر: المصدر السابق: ج ١٠ / ص ٢٧٢ - ٣١٠.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية/ السفاريني: ١ / ٢٠ - ٢١، و <http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=٢٣٦٤be٩٧٢f٠٧٦٣٧٨>

(٣) انظر: شرح الواسطية/ خالد الغفيص: ٢٤.

ظهور شيخ الإسلام، ومصطلح السلف لفظ عربي فصيح، وكان من بواعث ظهور السلفية سيطرة الأفكار الصوفية على الناس وطرقها المختلفة، وأفكار علماء الكلام والتعصب المذهبي والبدع في الدين والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وظهرت غربة الإسلام، وظهر أنه بحاجة ماسة إلى أن تتوضح معالمه حتى يعرف الناس الحق من الباطل^(١).

والسؤال: هل نشأ اسم السلف في عهد أحد الإمامين السابقين أو قبلهما؟

○ ○

الشرعي؛ بحث في كتب السلف - رحمهم الله تعالى - بحسب وفياتهم عن هذا المصطلح، متى أطلق بالذات في كتب (عقيدة أهل السنة والجماعة) وكتب (الحديث)، سواء قصدوا بها عمل السلف الفقهي أو الاعتقادي، فوجدت أن الاسم أطلق:

أولاً: قبل الإمام أحمد (١٦٥ - ٢٤٢هـ): أول من ذكره^(٢) هو الإمام

مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة المشهورين (٩٣هـ - ١٧٩هـ) في كتابه الموطأ^(٣) بقوله: (ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته)، ثم ذكره الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤)، والذي يطلق عليه مجدد القرن الثاني في كتابه (الأم) بقوله: (قد حَفِظْنَا عن سَلَفِنَا ما وَصَفْت، وما أَعْرِفُ عن أَحَدٍ

(١) مجلة الحرس الوطني / (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى) عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان - القاهرة) رقم العدد: ٣٢٧، التاريخ: ١ / ٣ / ٢٠١٠.

(٢) بحث في كتب الإمام أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ) فلم أجد هذا اللفظ عنده.

(٣) ج ١ / ص ٣١١.

من التَّابِعِينَ أَنَّهُ أَبْطَلَ صَدَقَةً^(١)، وقال: (كان سلفنا لا يدعون التلبية عند أربع...) ^(٢)، كذلك ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤) في كتابه الإيمان^(٣) فقال: (فإن هذا - رحمك الله - خطب قد تكلم فيه السلف في صدر هذه الأمة وتابعيها ومن بعدهم إلى يومنا هذا...، اعلم - رحمك الله - ، أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين، فقالت إحداهما: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة الألسنة، وعمل الجوارح، وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبرٌّ، وليست من الإيمان، وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا). وقال أيضا: (فأي شيء يتبع بعد كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ومنهاج السلف بعده الذين هم موضع القدوة والإثابة)^(٤) بعد الإمام أحمد (١٦٥ - ٢٤٢هـ) وقبل شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٧هـ): فقد أورد هذا اللفظ الحافظ محمد بن يحيى بن عمر العدني (ت: ٢٤٣هـ)^(٥)، أيضا ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ) في

(١) ج ٤ / ص ٥٤.

(٢) وفي الأم ج ٢ / ص ١٥٦.

(٣) ١ / ١٠، ت: الألباني، المعارف، الرياض، ط / ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) الإيمان: (١ / ٣٤).

(٥) في كتاب الإيمان: ١ / ٩٨.

الجامع الصحيح^(١)، وكذلك أورده الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) في صحيحه^(٢) بقوله: (ما عَلِمْنَا أَحَدًا من أئمة السلفِ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَخْبَارَ وَيَتَفَقَّدُ صِحَّةَ الْأَسَانِيدِ وَسَقِيمَهَا...). وأيضاً ذكره الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ) في كتابه الرد على الجهمية بقوله^(٣): (وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء)، وكذلك أورده في كتابه النقض على المريسي^(٤)، وأورد هذا الاسم الإمام عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) في كتابه السنة^(٥)، ومن ذكره - أيضاً - الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٩٠هـ) في كتاب السنة^(٦)، (وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا - رحمهم الله - أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله - ﷻ - ، وليس بمخلوق)، وذكره الإمام محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله الشافعي (ت: ٢٩٤هـ)

(١) ج ١ / ص ٩٣ دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة،

تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

(٢) ج ١ / ص ٣٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) ج ١ / ص ٢٣.

(٤) ج ١ / ص ٥٢٥.

(٥) ج ٢ / ص ٤٧٥ المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

(٦) ج ١ / ص ١٣٩، دار ابن القيم - الدمام - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني.

في السنة^(١) بقوله: (فإن هذا قول خلاف ما جاءت به الأخبار عن السلف)،
 وقوله: (روي هذا القول عن جماعة من السلف)^(٢)، وذكره العالم المجتهد
 محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - (٣١٠ هـ) في كتابه صريح السنة^(٣):
 (وأما الحق في اختلافهم في أفضل أصحاب رسول الله - ﷺ - فما جاء عنه
 ﷺ - ، وتتابع على القول به السلف)، وأورده أبو بكر أحمد بن محمد بن
 هارون بن يزيد الخلال (ت: ٣١١ هـ) في السنة^(٤) بقوله: (نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ
 الْيُسْرَ وَالْعَافِيَةَ، عَلَيْكُمْ بِالْأَثَارِ وَالْعِلْمِ، مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَضَى مِنَ السَّلَفِ)،
 وذكره الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الحنفي (ت:
 ٣٢١ هـ) في عقيدته المعروفة بالعقيدة الطحاوية^(٥) بقوله: (وعلماء السلف من
 السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا
 يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)، وقاله الإمام
 أبو الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ) في كتابه الإبانة عن أصول الديانة^(٦): (أما
 بعد، فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم
 أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على
 آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن
 (١) ج ١ / ص ٦١، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق:
 سالم أحمد السلفي.

(٢) ج ١ / ص ٩١.

(٣) ج ١ / ص ٢٣.

(٤) ١٠٤ / ٥، عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية - الرياض، ط / ٢، ١٩٩٤ م.

(٥) ص ٥٨.

(٦) ج ١ / ص ١٤، وانظر: ج ١ / ص ١٤ والإبانة ج ١ / ص ١٥، دار الأنصار - القاهرة -
 ١٣٩٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.

تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين)، وذكره أبو حاتم البستي (ت: ٣٥٤هـ) في صحيحه^(١) بقوله: (ذكر الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلفاً عن سلف)، أيضاً ذكره أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت: ٣٦٠هـ) في الشريعة^(٢) بقوله: (سكوتك عنهم، وهجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين...)، وكذلك ذكره الإمام أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ) في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة^(٣)، وقوله: (وكان السلف لا يحترمون معبداً^(٤))، بل يأمرُونَ بإهانتِهِ واحتقاره، وعدم الجلوس معه)، وذكره الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ) في كتابه أصول السنة^(٥): (وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، مِنَ السُّنَّةِ، وَالْحَقُّ وَأَنَّ مَنْ صَلَّى مَعَهُمْ، ثُمَّ أَعَادَهَا، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ جَمَاعَةِ مَنْ مَضَى مِنْ صَالِحِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ)، وكذلك أورده أبو الحافظ القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي (ت:

(١) ١ / ١ وانظر: ١ / ص ٢٦٣.

(٢) ج ١ / ص ٤٥٢، دار الوطن - الرياض / السعودية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي.

(٣) ج ١ / ص ١٤٦، دار الراجية للنشر - السعودية - ١٤١٨ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٤) هو: معبد الجهني ٨٤ هـ. من أهل البصرة، وهو أول من تكلم في القدر. انظر: النجوم

الزاهرة ١ / ٨٠ - ٨١.

(٥) (١ / ٢٥٩)، وانظر: كتابه الآثار المروية في صفة المعية - (١ / ٤٩).

٤١٠هـ) في كتابه اعتقاد أهل السنة^(١) بقوله: (فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين...)، وقاله الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٥٥هـ)^(٢) في كتابه المستدرك: (فإن السلف - ﷺ - كان يجتمع عندهم الأسانيد لمن واحد...)، وذكره أبو إسماعيل الهروي (ت: ٤٨١هـ) في كتابه ذم الكلام وأهله^(٣) بقوله: (...خيار السلف وصالحى المسلمين من الأمة، وصفوة أهل العلم من صدرها، والقائمين بنصرة الدين...)، وأورده الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) في كتابه التحفة المدنية في العقيدة السلفية^(٤) بقوله: (ثم استوى على العرش، فللناس في ذلك المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح...)، وقاله أبو القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني (ت: ٥٣٥هـ) في كتابه الحجة في بيان المحجة^(٥): (رأيت أن أُملي كتابًا في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع، وجانب الابتداء، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار؛ ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين)^(٦)،

(١) ج ١ / ص ١٦.

(٢) ١ / ٦٢٠، دار الكتاب العربي. بيروت.

(٣) ج ٣ / ص ٣٨.

(٤) ج ١ / ص ١٦٣، وانظر: ج ١ / ص ١٦٢، ج ١ / ص ١٦٣.

(٥) ج ١ / ص ٩٣ - ٩٤.

(٦) ج ١ / ص ١ - ٨.

وذكره موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠ هـ) في كتابه ذم التأويل :
(فإني أحببت أن أذكر مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان - رحمة الله
عليهم - في أسماء الله - تعالى - وصفاته).

فظهر بذلك أن اسم السلف أطلق قبل الإمامين : أحمد وابن تيمية ، لكن
لكونهما أشد من دافع ، وأوذي وصبر على هذا المنهج ، ونشره أطلق عليهم
وعلى أتباعهم هذا الاسم مع لقب الحنابلة ؛ لأن الإمام أحمد (ت: ٢٩٠ هـ)
أحد الأئمة الأربعة ، وشيخ الإسلام كان على مذهبه الفقهي ؛ لذلك (غلب
لقب السلف على الإمام أحمد وأتباعه على اعتقاده من أي مذهب فقهي
كانوا ، فقليل لهم في فن التوحيد : علماء السلف)^(١) ، يقول ابن تيمية :
(وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة ، فليس
ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً ، بل لأن السنة التي كانت موجودة
معروفة قبله علمها ، ودعا إليها ، وصبر على من امتحنه فيها ليفارقها)^(٢).

(١) انظر: أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية / حمود بن أحمد الرحيلي :

٦ - ٧ ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - (١ / ٢٢٥).

(٢) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية : ج ٢ / ص ٦٠١ - ٦٠٢.

المطلب الثالث: الأسماء المرادفة لاسم السلف:

إن للسلف أسماء عديدة، وصفات كثيرة مرادفة لاسم السلف، وهذه الأسماء أخذها العلماء من الأحاديث التي وردت عنه - ﷺ - ، أو استنبطوها بناء على وصفه - ﷺ - لمنهج الفرقة الناجية، أو أخذها العلماء من حالهم وسيرتهم^(١). وهذا تفصيلها:

أولاً: أهل السنة والجماعة وفيه:

١- السنة: لاتباعهم سنة محمد - ﷺ - .

٢- الجماعة: جاء هذا الاسم في قوله - ﷺ - : (من أراد منكم بمجوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد)^(٢)، وقوله - ﷺ - : (يد الله مع الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة)^(٣)، وقوله - ﷺ - أيضاً: (عليكم بالجماعة)^(٤)، وعندما أخبر - ﷺ - عن وقوع الافتراق، ذكر فيه أن الناجية هي الجماعة، فقال: (إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة،

(١) انظر: مختصر لوامع الأنوار/ محمد بن سلوم: ٢٠، والهداية والإرشاد إلى طريق الهدى والرشاد/ عبد المحسن العباد: ٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي: ٤ / ٤٠٤، رقم ٢١٦٥ وقال: (حديث صحيح)، وأحمد ١ / ٣٨، والحاكم: ١ / ١٩٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي: ٤ / ٤٠٥، رقم ٢١٦٦، والطبراني في الكبير: ١٧ / ١٤٥، رقم ٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٣٦٢١.

(٤) أخرجه الترمذي: ٤ / ٤٠٤، رقم: ٢١٦٥، والنسائي: ٥ / ٣٨٨، رقم ٩٢٢٥، وأحمد: ٥ / ٣٧٠، رقم ٢٣١٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٦٦.

وهي الجماعة^(١)، وفي رواية: (إلا واحدة، وهي الجماعة)^(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وهم يَزْنُونَ بالأصول الثلاثة...) ^(٣)، ولا يقصد بالجماعة الكثرة، يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : (الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ) ^(٤).

ثانياً: الطائفة الظاهرة: قال - رضي الله عنه - : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله) ^(٥)، فهم الغالبون المتمكنون، فلقد جعل الله حجتهم ظاهرة، وكلمتهم هي العليا ^(٦).

(١) أخرجه أبو داود ج ٤ / ص ١٩٨، رقم: ٤٥٩٧ وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، رقم: ٤٥٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤ / ١٩٧ و ١٩٨، رقم ٤٥٩٦ و ٤٥٩٧، والترمذي: ٥ / ٢٥، رقم ٢٦٤٠، وابن ماجه: ٢ / ١٣٢١، رقم: ٣٩٩١، وأحمد: ٤ / ١٠٢، رقم: ١٠٢٤، والدارمي: ٢ / ٢٤١، رقم ٢٤٢٣، والحاكم: ١ / ١٢٨. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٣ / ٣٤٥: (الحديث صحيح مشهور)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ٣٥٨، رقم: ٥٢٠٣.

(٣) مجموع الفتاوى / ابن تيمية ٣ / ١٧٥، وشرح العقيدة الطحاوية / عبد الغني الميداني الغنيمي: ٤٤، وشرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح الفوزان: ٢١، ومحلات من تاريخ السنة وعلوم الحديث / عبد الفتاح أبو غدة: ٥٩.

(٤) أخرجه المزي في تهذيب الكمال: ٢٢ / ٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري: ١ / ٣٩، رقم ٦١، مسلم: ٣ / ١٥٢٣، رقم: ١٩٢٠.

(٦) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة / محمد الحمد: ٨٥ - ٨٦.

ثالثاً: الطائفة الناجية: قال - ﷺ - : (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية)^(١)، فهي تنجو من البدع والضلالات في الدنيا، ومن عذاب الله يوم القيامة^(٢).

رابعاً: الطائفة المنصورة: قال - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)^(٣)، فالله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم إلى قيام الساعة^(٤).

خامساً: السواد الأعظم: قال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - : (عليكم بالسواد الأعظم)^(٥)، والمراد: لزوم الحق واتباعه، ولا عبرة بكثرة الباطل؛ لأن أهل الحق قلة، فهم فرقة واحدة في مقابل اثنتين وسبعين فرقة، قال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٨ هـ): (الزم طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين)^(٦).

سادساً: الغرباء قال - ﷺ - : (إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي)^(٧)،

-
- (١) أخرجه الربيع بن حبيب، في مسنده في: ج ١ / ص ٣٦، رقم: ٤١.
- (٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى / شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣، واعتقاد أئمة أهل الحديث / الحافظ أبو الإسماعيلي، ت: د. محمد الخميس: ٧٩، وعقيدة أهل السنة والجماعة / محمد الحمد: ٨٥.
- (٣) أخرجه ابن ماجه ج ٢ / ص ١٣٠٤ برقم: ٣٩٥٢ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٤٠٣.
- (٤) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية ٣ / ١٥٩، وعقيدة أهل السنة والجماعة / محمد الحمد: ٨٥.
- (٥) أخرجه أحمد ج ٤ / ص ٣٧٥ رقم: ١٩٣٧٠ وهو موقوف على أبي أمامة الباهلي.
- (٦) الاعتصام / للشاطبي: ١ / ٨٣، والمجالس الأربعة / الرومي: ٤٤، انظر عقيدة الموحدين / جمع عبد الله العبدلي: ٥١.
- (٧) أخرجه مسلم: ١ / ١٣٠، رقم ١٤٥ والترمذي: ٥ / ١٨، رقم ٢٦٢٩، بلفظه، ويزيادة: (الذين يصلحون إذا فسد الناس) ٧ / ٢٨٨، رقم ٢٧٦٥، وقال: (حديث حسن صحيح).

وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم^(١)، فيخفى عليهم كثير من شرائع الدين لتكالب أهل البدع والأهواء على سواد السنة لكثرتهم^(٢).

أهل الحديث والأثر: لأنهم اتبعوا السنة والآثار، ولم يتدعوا، بل قد أجمع علماء السلف من المحدثين على أن المقصود بالفرقة الناجية والمنصورة أهل الحديث^(٣)، يقول الغزالي: (إنا نكتفي بتعديل أئمة الحديث، كأحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٩٠ هـ)، ويحيى بن سعيد الأنصاري (ت: ١٤٤ هـ)، وعلي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ)، ويحيى بن معين (ت: ٣٣٣ هـ)، ومحمد ابن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)^(٤)، وقال الإمام أحمد: (إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)^(٥)، وسموا بأهل الحديث في مقابل أهل الرأي الذين قدموا آراءهم على السنة، ويقوم مذهبهم على المنطق والفلسفة.

(١) الغربة/ الإمام ابن القيم: ٥٩ - ٦١، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/ السيوطي: ١٤

(٢) مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨ / ٢٩٨.

(٣) انظر: شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي: ٢٧.

(٤) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم: الوزير اليماني: ١ / ١٢.

(٥) معرفة علوم الحديث/ الحاكم النيسابوري: ٢، اعتقاد أهل الحديث/ الحافظ أبو بكر

الإسماعيلي: ٦، شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي: ٢٧، وانظر جواهر

الأصول في علم حديث الرسول - ﷺ - : ٦.

المبحث: الثاني المراحل الزمنية لمنهج السلف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراحل القوة والضعف، وفيه:

أولاً: المرحلة الأولى:

كانت بداية هذه المرحلة مع بعثة الرسول، وإكمال الله - ﷻ - الإسلام، قال - تعالى - : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) (سورة المائدة)، وقد أمر - ﷺ - بالمحافظة عليه من البدع، وحث على التمسك بما جاء به، فقال - ﷺ - : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة)^(١)، (وخرج رسول الله - ﷺ - على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما ينفق في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتُم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم)^(٢)، وعن جابر بن عبد الله - ﷺ - أن عمر بن الخطاب - ﷺ - ، أتى النبي - ﷺ - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي - ﷺ - فغضب، وقال: أمتهوكون^(٣) فيها يا ابن الخطاب؟، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه ج ١ / ص ٣٣، رقم: ٨٥، وأحمد: ج ٢ / ص ١٧٨، رقم: ٦٦٦٨، وقال الألباني في شرح الطحاوية، رقم: ٢٥٩: صحيح.

(٣) أي: متحيراً. انظر: لسان العرب / ابن منظور: ج ١٠ / ص ٥٠٨.

بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ، ما وسعه إلا أن يتبعني^(١).

وكان الصحابة حريصين على الاتباع ، لكن مع انتشار رقعة الإسلام ودخول الناس إلى الإسلام أفواجا ، والاحتكاك بأمم ذات ثقافات مختلفة وديانات متعددة ، ظهرت بذور الفرق بعد خلافة الفاروق ، فقد ظهرت فتنة التشيع ، يقول ابن تيمية : (أول ما ابتدعت مقالة الغالية في الإسلام من جهة بعض من كان قد دخل في الإسلام ، وانتحل التشيع ، وقيل : أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا فأسلم ، وكان ممن أقام الفتنة على عثمان ، ثم أظهر موالاة علي ، وهو من ابتدع الغلو في علي حتى ظهر في زمانه من ادعى فيه الإلهية)^(٢) ، ويقول ابن خلدون (ت : ٨٠٨هـ) عن ابن سبأ : (كان يكثر الطعن على عثمان ، ويدعو في السر لأهل البيت ويقول : إن...عليا وصي رسول الله...، وإن عثمان أخذ الأمر بغير حق ، ويحرض الناس على القيام في ذلك ، والطعن على الأمراء ، فاستمال الناس بذلك في الأمصار ، وكاتب به بعضهم بعضا)^(٣) ، وكان ذلك في عام ٣٤هـ ، حتى أغرى وألب على قتل عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - عام ٣٥هـ^(٤) ، ثم ظهرت فرقة الخوارج عام ٣٧هـ^(٥) ، فقاتلهم في معركة النهروان^(٦) ، ثم خرجت الرافضة ، فتصدى أمير المؤمنين علي - عليه السلام - لها ، ثم تتابع ظهور البدع

(١) أخرجه أحمد : ٣ / ٣٨٧ رقم : ١٥١٥٦ ، وحسنه الألباني في : تخریج کتاب السنة - رقم : ٥٠.

(٢) جامع الرسائل / ابن تيمية : ج ١ / ص ٢٦٠.

(٣) تاريخ ابن خلدون ج ٢ / ص ٥٨٧.

(٤) انظر : البداية والنهاية / ابن كثير : ج ٧ / ص ١٦٨ - ١٧١.

(٥) انظر : البداية والنهاية / ابن كثير : ج ٧ / ص ٢٥٨ ، والبدء والتاريخ / المطهر بن طاهر المقدسي : ج ٥ / ص ٢٢٤ ، مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد ، والملل والنحل / الشهرستاني : ج ١ / ص ١٠٣.

(٦) انظر : البداية والنهاية / ابن كثير : ج ٧ / ص ٢٥٨ و ٣١٧.

والفرق بعد ذلك ، فظهرت بدعة القدر على يد معبد الجهني (ت : ٨٣هـ)^(١) ، ثم تلتها بدعة الإرجاء ، ومن أوائل من قال بالإرجاء غيلان الدمشقي (ت : ١٠٥هـ) ، وكان قبطيا قدريا^(٢) ، وقال بدعة التجهم الجعد بن درهم (ت : ١٢٤هـ)^(٣) ، ثم الجهم بن صفوان (ت : ١٢٨هـ)^(٤) ، ثم خرجت فرقة المعتزلة على يد واصل بن عطاء (ت : ١٣١هـ)^(٥) ، فكان السلف أهل الحق ينهون الناس عن بدعهم ، ويحذرون منهم ، وتسموا بأهل السنة والجماعة واسم السلف ؛ ليفرق الناس بينهم وبين أهل البدع.

المرحلة الثانية: في القرن الثالث الهجري نشطت الترجمة من اللغات الأخرى ، وصنفت العلوم ما بين علوم النقل وعلوم العقل ، حيث اختصت الأولى بعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة ، واختصت علوم العقل بالطب والفلسفة وعلم الكلام وعلم الفلك والرياضيات ، فبرزت فرق جديدة

-
- (١) انظر: النجوم الزاهرة/ يوسف بن تغري بردي: ج ١/ ص ٢٠٦ ، وشرح قصيدة ابن القيم/ ابن عيسى ج ١/ ص ٢٥٦.
- (٢) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية/ أبو المظفر الإسفرائيني: ج ١/ ص ٩٧ ، والوافي بالوفيات/ الصفدي: ج ١٦/ ص ١٥٤ ، والمعارف ج ١/ ص ٤٨٤.
- (٣) انظر: تاريخ الطبري ج ٤/ ص ٨٢ ، وشذرات الذهب/ ابن العماد الحنبلي: ج ١/ ص ١٧٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ٣٢٩.
- (٤) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج ١٠/ ص ١٩ ، والكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ج ٦/ ص ١٢١ ، وشرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ج ١/ ص ٣٢٩.
- (٥) انظر: مرآة الجنان/ أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياقعي: ج ١/ ص ٢٧٤ ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، والتبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية ج ١/ ص ٦٧ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركيين ج ١/ ص ٣٩.

تنسب إلى الإسلام، ونشطت وتقوت فرق أخرى منها فرقة المعتزلة، فهب علماء أهل السنة والجماعة للدفاع عن الدين، وبيان الحق للناس، وهم السلف وأهل الحديث والأثر^(١)، وكان ذلك في العصر العباسي تحت قيادة (أحمد بن حنبل) أحد الأئمة الأربعة، (وهم أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، والشافعي)، فقد كان المعتزلة يتخذون مناهج عقلية في قراءة النصوص وتأويلها، واستمدوا أصولهم المنطقية والكلامية من الحضارة الإغريقية عن طريق الترجمة، ورأى أهل الحديث في هذه المناهج العقلية خطراً يهدد صفاء الإسلام ونقاءه، وينذر بتفكك الأمة وانهارها.

وازدادت الخطورة، وذلك لأن بعض خلفاء الدولة العباسية مالوا إلى مذهب المعتزلة، فكان القضاة والوزراء من المعتزلة كابن أبي دؤاد، وهؤلاء الخلفاء على الترتيب الزمني لتولي الخلافة هم:

أ- المأمون (١٧٠ - ٢١٨هـ)^(٢) مدة ولايته (من ١٩٨ إلى ٢١٨هـ)، وهو الذي أعلن القول بخلق القرآن سنة ٢١٢هـ، وأنه المذهب الحق، لكنه لم يلزم الناس على اتباعه، لكن في عام ٢١٨هـ بدأ يدعو الناس إليه بالقوة.

(١) يقول محمد عبد الهادي المصري عنهم: أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى: ٤٩، دار الإعلام الدولي، ط / ٤، و ١٩٩٢: (هم الذين يعتنقون بحديث محمد رواية ودراية، باذلين جهدهم على مدارسة أحاديث النبي وروايتها وإتباع ما فيها علماً وعملاً، ملتزمين بالسنة، مجانبين للبدعة، متميزين عن أهل الأهواء الذين يقدمون مقالات أهل الضلالة على أقوال رسول الله - ﷺ -).

(٢) انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج ١٠ / ص ٢٧٤.

ب - أخوه المعتصم (٢٨٠ - ٢٢٧هـ)^(١)، مدة ولايته (من ٢١٨هـ إلى ٢٢٧هـ).

ج - الواصل (١٩٦ - ٢٣٢هـ)^(٢) مدة ولايته (من ٢٢٧ إلى ٢٣٢هـ)، لهذه الأسباب شمر أتباع سنة رسول الله - ﷺ - لبيان الحق وأهله؛ حتى تتضح الرؤية، ولا يلتبس الأمر على من يريد الاقتداء بالرسول - ﷺ - وصحبه، فظهر هذا الاسم (السلف)، والذي يعني مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والطائفة الناجية، في مقابل الفرق الأخرى التي ظهرت؛ لأن بعضها فرق مسلمة من الفرق الاثنتين والسبعين فرقة، لكنها ليست هي الفرقة الناجية، فلا يكفي أن يقال: مسلم، بل لا بد من التمييز، وظهر ذلك الاسم وبان في عهد إمام أهل السنة الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -، والذي امتحن بالقول بخلق القرآن في عهد المأمون الذي كان محبا للفلسفة وعلم الكلام؛ لذا كانت السيادة لمذهب المعتزلة على يد قاضي الدولة ابن أبي دؤاد، فأغرى المعتزلة المأمون بالعلماء المخالفين لهم، فعُذِّبَ وقتل منهم خلق كثير، وكان ممن أغروه به الإمام أحمد الذي حُمل إليه، لكن المأمون مات (٢١٨هـ)، قبل أن يصل إليه الإمام أحمد، فتولى هذا الأمر بعده المعتصم، فحبس الإمام أحمد، ومكث في سجن ضيق مثقلاً بالقيود نحو من ثلاثين شهرا، وكان يُوجه إليه كل يوم برجلين، فلا يزالان يناظرانه، فحمل إلى المعتصم، وأمر بمناظرته وكاد أن يميل معه المعتصم لولا وسوسة

(١) انظر: المصدر السابق: ج ١٠ / ص ٢٩٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١٠ / ص ٣٠٨.

المعتزلة له ، وتألبيه عليه ، فأمر بجلده حتى خلعت يده وأغمي عليه ، وأطلق فلم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من الضرب يحضر الجمعة والجماعة ويحدث ويفتي حتى مات المعتصم (٢٢٧هـ) ، وولي ابنه الواثق ، فسار على طريق المأمون ، فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى مذهب أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ، فشغل نفسه بمحنة الناس في الدين ، فأفسد قلوبهم ، وتسبب في حقد الناس عليه حتى جاءت رسالة الواثق بتأليب من المعتزلة إلى الإمام أحمد جاء فيها : إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها ، فذهب حيث شئت من أرض الله ، فاخفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق ، وكانت تلك الفتنة ، فأقدم الواثق على قتل أحمد بن نصر الخزاعي (٢٢٩هـ) صبرا بيده متقربا بذلك لله ، ولم يزل أبو عبد الله مختفيا في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها ، حتى هلك الواثق (٢٣٢هـ) ، ولما ولي المتوكل جعفر (٢٠٦هـ ٢٤٧هـ) أظهر الله السنة ، وفرج عن المسلمين ، فرفع المتوكل المحنة ، ومنع الجدل في الدين^(١) ، قال ابن المديني (ت : ٢٣٤هـ) : أعز الله الدين بالصادق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة^(٢) ، ويقول السبكي (ت : ٧٧١هـ) : قال الناس في عهده : (الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز (ت : ١٠١هـ) في رد المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة)^(٣) ، فأصبحت أقوال الإمام أحمد بن حنبل المستمدة من الكتاب والسنة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي : ج : ١١ ص : ١٩٦ - ٢٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ج : ١١ ص : ١٩٦ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي : ٢ / ٥٤ ، ت : محمود الطناحي وعبد الفتاح

محمد الحلو ، هجر للطباعة ، ١٤١٣هـ ، ط / ٢ .

هي المعبرة عن المنهج والمعتقد السلفي ؛ لصلابته على الحق وصبره على الأذى ، يقول ابن كثير^(١) : (المتوكل... كان من خيار الخلفاء ؛ لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة ، بخلاف أخيه الواثق ، وأبيه المعتصم ، وعمه المأمون ، فإنهم أسأؤوا إلى أهل السنة ، وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة)^(٢) الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة ، فعذبوا وسجنوا وقتلوا كثيراً من العلماء الذين لم يقولوا بقولهم^(٣) ، فقد مات محمد بن نوح (٢١٨هـ) في فتنة المأمون مضروباً ومقيداً ، والمعتصم ضرب أحمد ابن حنبل ، والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك (٢٢٩هـ) ، وقطع رأسه ورفع على خشبة وبقي جسده مصلوباً لمدة : ستة أيام ، وكذلك مات نعيم بن حماد في السجن مقيداً (٢٢٨هـ) ، وكذلك مات عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي : (٢١٨هـ) شيخ أهل الشام ومحدثهم في السجن مكبلاً بالحديد وعمره ٧٨ سنة^(٤) ، لكن انتهت هذه المرحلة بعز للمذهب السلفي .

المرحلة الثالثة : أصاب المسلمين الضعف والوهن ؛ لتكالب الأمم عليهم وأصاب السلف من ذلك الشيء الكثير ؛ بسبب الفتن والقتال بينهم وبين بعض الفرق وبالذات الرافضة ، لكن تولي خلفاء من الدولة العباسية على

(١) هو : أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي ، حافظ ، فقيه ، مؤرخ ، من تصانيفه : (البداية والنهاية) ، وتفسير القرآن ، ت : ٧٧٤هـ . انظر : الدرر الكامنة / ابن حجر : ١ / ٣٩٩ ، والأعلام / الزركلي : ١ / ٣٢٠ .

(٢) البداية والنهاية / ابن كثير : ج ١٠ / ص ٣٠٦ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ج ١٠ / ص ٢٧٢ - ٣١٠ .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى / السبكي : ٢ / ٥٣ .

منهج السلف أعاد للمذهب الهيبه بعد استثناء المذاهب الكلامية في المشرق، وغلبة الرفضه على المغرب وكثرة الفتن^(١)، وكان ملوك الخلفاء وأمرائهم في هذه الحقبة على مذهب السلف، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، فكان هو المذهب الرسمي للدولة العباسية، تم إصداره في العقد الأول من القرن الخامس الهجري^(٢)، يقول ابن تيمية: (السلطان محمود بن سبكتكين^(٣)... كان من أحسن ملوك أهل المشرق إسلاما وعقلا ودينا، وجهادا وملكا في آخر المائة الرابعة...، وكانت قد انتشرت إذا ذاك دعوة الملاحدة المنافقين الذين كانوا إذ ذاك بمصر، وقد بنوا القاهرة وغيرها، ولهم دعاة من أقاصي الأرض بالمشرق وغيره، وكان والد ابن سينا منهم...، وفي ذلك الوقت صنف الناس الكتب في كشف أسرارهم...، وكان هذا مما دعا القادر^(٤) إلى إظهار السنة، وقمع أهل البدع، فكتب الاعتقاد القادري

(١) انظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١١ / ص ٣٢٤ - ٣٢٩.

(٢) انظر: الصفدية / ابن تيمية: ج ٢ ص: ١٦٢.

(٣) هو الملك الكبير العادل محمود بن سبكتكين أبو القاسم الملقب بيمين الدولة وأمين الملة، وصاحب بلاد غزنة، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفد إليه بالكتب والهدايا؛ لأجل أن يكون من جبهتهم، فيحرق بهم، ويحرق كتبهم وهداياهم، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم يتفق لغيره، وكان دينا يكرم العلماء. ت: ٤٢١هـ. انظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١٢ / ص ٢٩، وسير أعلام النبلاء / الذهبي: ج ١٥ / ص ١٣٢ - ١٣٦.

(٤) هو: الخليفة العباسي القادر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور. تولى الخلافة: ٣٨١ ومات: ٤٢٢هـ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما ولم يعمر أحد من

المنسوب إليه وهو في الأصل من جمع^(١) الشيخ أبي أحمد القصار الكرجي^(٢)، وهو من أجل المشايخ وأعلمهم، وله لسان صدق عظيم، وأمر القادر باستتابة من خالف ذلك من المعتزلة وغيرهم...، واعتمد السلطان محمود بن سبكتين في مملكته نحو هذا، وزاد عليه بأن أمر بلعنة أهل البدع على المنابر فلعلت الجهمية والرافضة^(٣) والحرورية^(٤) والمعتزلة والقدرية،

الخلفاء قبل هذا العمر ولا بعده، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وهذا أيضا شيء لم يسبقه أحد إليه، وأمه أم ولد اسمها يمينى مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وقد كان حليما كريما محبا لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس... وكان يقوم الليل، كثير الصدقة محبا للسنة وأهلها مبغضا للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء. انظر: البداية والنهاية/ ابن كثير: ج ١٢ / ص ٣١، سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ج ١٥ / ص ١٢٧ - ١٣٧.

(١) لقد ألفها: أبو أحمد الكرجي وكتبها وأظهرها الخليفة القادر بالله. انظر: الصفدية/ ابن تيمية ٢ / ١٦٢، والعلو للعلي العظيم/ الذهبي: ٢ / ١٥٦، والاعتقاد القادري، دراسة وتعليق الدكتور عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف: ٢٧ - ٢٩ في موقع: [http:// www. alabdulltif. net](http://www.alabdulltif.net)، والاعتقاد القادري/ للخليفة القادر بالله، إخراج وترتيب/ أبو يعلى البيضاوي. في موقع: [www. ahlalhddeeth. com/vb/ attachment. php?attachmentid=٧٥٩٤&d](http://www.ahlalhddeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٧٥٩٤&d)

(٢) هو أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي، المجاهد، والمعروف بالقصاب (وليس القصار) لكثرة ما قتل من الكفار في الغزوات، له عدة مصنفات منها: الاعتقاد القادري. ت: ٣٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي: ١٦ / ٢١٣، والوفاي بالوفيات/ الصفدي: ٤ / ١١٤.

(٣) سميت رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -، وقيل لرفضهم زيد بن علي، وأجمعت الرافضة على الإمامة، والعصمة، والرجعة، وقالوا بتفضيل علي على

ولعنت أيضا الأشعرية...، وجرت لابن فورك^(٢) محنة بأصبهان^(٣)، وجرت له مناظرة مع ابن الهيصم^(٤) بحضرة هذا السلطان محمود، وكان يحب الإسلام والسنة مستنصرًا بالإسلام عارفاً به، غزا المشركين من أهل الهند وفتح الهند...^(٥).

وذكر الإمام الذهبي في تاريخه أنه في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة أمر الخليفة القائم بأمر الله^(٦) بقراءة الاعتقاد القادري السابق ذكره بالديوان، وقال: إن هذا هو اعتقاد المسلمين، فيلزم عدم مخالفته، ومنه (...فخلق كل شيء بقدرته، وخلق العرش لا حاجة إليه، واستوى عليه كيف شاء...، وهو

سائر الصحابة، وإنه الإمام بعد رسول الله - ﷺ - وغير ذلك من الخرافات والأباطيل. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / أبو الحسن الأشعري: ١٦ - ٦٤، التبصير في الدين / أبو المظفر الإسفرائيني: ٢٧ - ٤٢.

(١) الحرورية: من ألقاب الخوارج. وسبب تلقيبهم بهذا اللقب أنهم لما خرجوا على علي في أول أمرهم نزلوا مكانا يقال له: "حروراء"، وهو قرية بظاهر الكوفة. انظر: مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري: ١ / ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) الحسن بن فورك الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من رؤوس الأشاعرة، ومن فقهاء الشافعية. ت: ٤٠٦ هـ. من مصنفاته: مشكل الحديث وغريبه، انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١٧ / ٢١٥، والأعلام / الزركلي - (٦ / ٨٣).

(٣) هي: مدينة بأرض فارس، وهي أرض جبلية يتخللها نهر أصبهان. انظر: معجم البلدان / الحموي: ج ١ / ص ٢٠٦ - ٢١٠.

(٤) إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم القبطي، المعروف بالصاحب أمين الدين ابن الهيصم: وزير مصري، تقدم في أيام الجراكسة بمصر، واستوزر عدة مرات. كان يميل إلى أهل العلم وله اشتغال بالفقه الحنفي توفي سنة ٨٥٩ هـ. انظر الأعلام للزركلي: ١ / ٤٧.

(٥) بيان تلبس الجهمية / ابن تيمية: ج ٢ / ص ٣٣١ - ٣٣٢، وانظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ج ١٢ / ص ٢٧ و ٢٩ و ٦٢.

(٦) هو أبو جعفر الخليفة عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق المقتدر جعفر العباسي، البغدادي. ولد سنة ٣٩١ هـ، وأمه بلر الدجى الأرمنية. تولى الخلافة: ٤٢٢ هـ، وكان مليحا وسيما أبيض بحمرة، قوي النفس، ديناً ورعاً متصديقاً. له يد في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة. ت: ٤٦٧ هـ.

القادر بقدرة العالم بعلم، وهو السميع البصير متكلم...) ^(١)، فكانت هذه المرحلة متميزة بقوة المذهب السلفي.

المرحلة الرابعة: ظهرت كثير من البدع الجديدة، وقويت شوكة الفرق، وشاعت وانتشرت في البلدان كالرافضة والمعتزلة والأشاعرة ^(٢) والماتريدية ^(٣) وغيرها، وحارب المذهب السلفي، وانحسر امتداده، وانحصر تقريباً في علماء الحنابلة؛ لذا عرف بالمذهب الحنبلي، وقد يكون سبب تسمية السلفيين بالحنابلة أن الإمام أحمد جده بعد أن كاد يندثر على يد المعتزلة ^(٤).

(١) انظر: المنتظم/ ابن الجوزي: ج ١٠ / ٢٦١، وتاريخ الإسلام/ الذهبي: ج ٢٩ / ص ٣٢١ - ٣٢٢، والبداية والنهاية/ ابن كثير: ج ١٢ / ص ٣١ - ٥٨، وطبقات الحنابلة/ أبو يعلى: ج ٢ / ص ١٩٧، وتاريخ المذاهب الإسلامية/ محمد أبو زهرة: ١٨١ : ١٨٥، والأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث/ الدكتور خالد كبير علال: ١٢٩ - ١٣٢، دار مالك، الجزائر، ط / ١، ٢٠٠٥.

(٢) هم: المنتسبون لأبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه من الاعتزال، وقبل تصريجه بانتسابه إلى مذهب الإمام أحمد، ومتأخروهم يشتون سبع صفات فقط، وينكرون علو الذات، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق. انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٦ / ٥٢ - ٥٥، وأصول وتاريخ الفرق/ مصطفى بن محمد بن مصطفى: ٣١٧ - ٣١٦ / ١.

(٣) وهم: أتباع المتكلم أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت: ٥٣٣هـ)، نسبة إلى مدينة صغيرة هي: ماتريد قرب سمرقند. وهي من فرق أهل الكلام، وهي مرجئة وجبرية ومعتلة لأكثر الصفات، وهي قريبة لمذهب الأشاعرة وتنتشر حيث ينتشر المذهب الحنفي في تركيا والهند وباكستان. انظر: تأويلات أهل السنة/ أبو منصور الماتريدي، وبحر الكلام في علم التوحيد/ النسفي، ومجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٧ / ٤ - ٤٢١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٥٥ - ٩٧.

(٤) انظر: الخطط/ المقرئ: ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٩، مطبعة بولاق.

وانحسار المذهب السلفي كان متزامنا مع سقوط بغداد على يد المغول عام ٦٥٦هـ^(١)، يقول المقرئزي - بعد عرضه لنشأة المذهب الأشعري وانتشاره على يد بعض العلماء والسلاطين - ^(٢): (فكان هذا هو السبب في اشتهاار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه إلا أن يكون مذهب الحنابلة - أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - رحمهم الله، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلى أن كان بعد السبعمئة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، وبالع في الرد على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية)^(٣).

(١) انظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ١٦٥ / ٧.

(٢) فقد انتشر المذهب الأشعري وقوي في عهد وزارة نظام الملك صاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية؛ ولذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة. وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلاطان صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين فقد انتشر بحماية العهد السلجوقي والأيوبي والمملوكي. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١٣.

(٣) الخطط / المقرئزي: ٢ / ٣٥٨ - ٣٥٩، بولاق، وانظر في علم الكلام (الأشاعرة) / أحمد صبحي: ص: ١٤، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

ولا شك أنه كانت لعلماء السلف في كل زمن جهود مشكورة في الدفاع عن عقيدة السلف، والرد على خصومها، ولكن ما قام به شيخ الإسلام كان من القوة والتأثير بحيث أصبح يمثل مرحلة بارزة من مراحل كل من مذهب الأشاعرة ومذهب السلف أيضا، والثاني: أن مجيئه في وقت متأخر - حيث ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ - وفّر له وسائل الاطلاع على ما انتهى إليه هؤلاء الأشاعرة في شرح مذهبهم، والاستدلال له، ووفر له كذلك القدرة على الرد على خصومه، ومن ثم تميزت ردود شيخ الإسلام ومناقشاته لهم بالقوة والعمق والشمول، وكشف خبايا هذا المذهب وتناقضاته، وتسجيل اعترافات شيوخه وردود بعضهم على بعض. ولا شك أن هذه الأمور لها أثر كبير في بيان فساد أقوال الخصوم، وتهافت أدلتهم؛ لذا ألبوا عليه الأمير، فأمر العلماء أن يعقدوا مجلساً للوزراء، وجاء ممثل لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة، وبدؤوا يناظرونه ويناضرونهم، فانفض المجلس وهم لم ينتصروا عليه، وقال: (أنا أمهل كل من خالفني سنة أن يأتي بحرف عن أحد العلماء في القرون الثلاثة الأولى يخالف ما ذكرته)، وكان مدهش النقل! يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - : له اليد الطولى في النقل، لدرجة أن الكل يتعجب من قوة استحضاره، حتى قال الإمام الذهبي - وهو العالم الكبير المشهور المحدث - : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، إذا قال لك ابن تيمية: أنا لا أعلم هذا الحديث، فابك عليه، ولن تجد له أصلا...، ومع عدم انتصارهم عليه قاموا بسجنه عدة مرات، ومات سجيناً بسجن القلعة بدمشق - رحمه الله تعالى - سنة (٧٢٨)، وعمره (٦٧) عاما، لكن بفضل الله ثم بفضلته تم إحياء المذهب السلفي؛ لأنه قام

بشن حملة على من اعتبرهم أهل البدع، داعيا إلى الرجوع إلى عقيدة السلف ومنهجهم. فانتشر مذهب السلف وقوي وسار على نهجه بعض العلماء وتلاميذه وتلاميذهم من مختلف البلدان والمذاهب الفقهية المختلفة، ومن أبرزهم: ابن القيم الحنبلي^(١) الذي حبس هو أيضاً بسبب اتباعه لمذهب السلف^(٢)، وابن كثير الشافعي الذي (أخذ عن ابن تيمية، ففتن بحبه وامتنحن لسببه)^(٣)، والذهبي الشافعي، وزين الدين عمر الشهير بابن الوردي^(٤)، والمرداوي الحنبلي^(٥) الذي امتحن مرارا بسبب فتياه بمسائل ابن تيمية^(٦)، وأبو

(١) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تلميذ لشيخ الإسلام ابن تيمية من كتبه (أعلام الموقعين) (الكافية الشافية) ت: ٧٥١. انظر: النجوم الزاهرة ج ١٠ / ص ٢٤٩، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة / ابن حميد: ١١٥ / ٢، الأعلام / الزركلي: ٥٦ / ٦.

(٢) انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / محمد بن أحمد بن قدامة: ج ١ / ص ٣٤٦، دار الكاتب العربي - بيروت.

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / ابن حجر: ج ١ / ص ٤٤٥.

(٤) عمر بن مظفر، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي: كان إماما بارعا في الفقه والنحو والأدب مفننا في العلم ونظمه في الذروة العليا، فهو: شاعر، أديب، مؤرخ. ولي القضاء بمنبج. ت: ٧٤٩. بحلب. انظر: فوات الوفيات / الكتبي ٢: ١١٦، وبغية الوعاة / السيوطي: ج ٢ / ص ٢٢٧.

(٥) هو ولي الدين يوسف بن ماجد بن أبي المجد بن عبد الخالق المرادوي كان فاضلا فقيها. ت: ٥٧٨٣. شذرات الذهب / ابن العماد ج ٦ / ص ٢٨٢، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / ابن حجر: ج ٦ / ص ٢٤٠.

(٦) إنباء الغمر / ابن حجر: ج ٣ / ١٩٨.

العباس أحمد بن الحسن الفارسي المشهور بقاضي الجبل الحنبلي^(١)، وشمس الدين محمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي^(٢)، والمزي الشافعي^(٣)، وعلاء الدين المقدسي^(٤) الذي (كان يحب كلام ابن تيمية، ونسخ منه الكثير، وله أشعار على طريقته في الاعتقاد، وامتنح وأوذى بسبب ذلك)^(٥)، وابن

(١) أحمد بن الحسن بن قدامة، جمال الإسلام، شرف الدين، ابن قاضي الجبل: شيخ الحنابلة في عصره. كان يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر. له مصنفات، منها: الفائق في فروع الفقه. ت: ٧٧١هـ. انظر البداية والنهاية / ابن كثير: ٣١١ / ١٤، والأعلام / الزركلي: ١١١ / ١.

(٢) ابن الشيخ عماد الدين بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي. يقول ابن كثير عنه: (تفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والتاريخ والقراءات، وله مجاميع وتعليق مفيدة كثيرة، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال، وطرق الحديث، عارفاً بالجرح والتعديل، بصيراً بعلل الحديث، حسن الفهم له، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيماً على طريقة السلف، واتباع الكتاب والسنة) ت: ٧٤٤هـ. انظر: البداية والنهاية / ابن كثير: ٢٤٣ / ١٤ - ٢٤٤.

(٣) الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي الكلبي القضاعي الدمشقي، كان عالماً بالحديث، وعارفاً باللغة والتصريف والفقه. ت: ٧٤٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ج ٧ / ص ٢٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى / تاج الدين السبكي: ج ١٠ / ص ٢٢١ و ٣٩٥ - ٣٩٩، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، الطبعة: ط ٢، والوافي بالوفيات / الصفدي: ج ١ / ص ٣٥٩ و ٣٩٣ و ٤١٩.

(٤) هو علي بن أيوب المقدسي علاء الدين أبو الحسن الملقب عُليان بالتصغير. الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف. ت: ٧٤٨هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج ٤ / ص ٣٦ - ٣٧.

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة / ابن حجر: ج ٤ / ص ٣٦.

رجب الحنبلي^(١) الذي أُوذِيَ أيضاً لمتابعته ابن تيمية^(٢)، وشمس الدين الجزري الحنبلي^(٣)، الذي بسبب فتواه بشيء من مسائل ابن تيمية أرادوا ضربه وسجنه، لكن اكتفوا بمنعه من الفتوى^(٤)، وزين الدين البلخي^(٥)، وهو أيضاً نالته محنة من أجل ذلك^(٦)، وكذلك ابن أبي العز الحنفي^(٧) الذي عزل من منصبه، وحبس من أجل متابعته لابن تيمية^(٨).

ومن استجاب لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية من أفراد الطبقة الحاكمة: الأمير المملوكي سلار نائب السلطنة على مصر^(٩)، والسلطان الملك الناصر

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، له عدد من المصنفات، ت: ٧٧٥هـ. انظر ذيل تذكرة الحفاظ / أبو المحاسن الحسيني: ٢٦٧ - ٢٦٨، ط / بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) إنباء الغمر / ابن حجر: ٣ / ١٧٦،

(٣) شمس الدين محمد بن خليل الجزري الحنبلي المنصفي كان إمام مدرسة الضياء. ت: ٧٨٣هـ. إنباء الغمر / ابن حجر: ٢ / ٦١.

(٤) إنباء الغمر / ابن حجر: (٢ / ٦١).

(٥) عمر بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم بن سعيد القرشي البلخي الأصل الدمشقي الكتاني بالمشناة. ت: ٧٩٢هـ. انظر: التنبيه والإيقاظ / أحمد رافع بن القاسمي الطهطاوي الحنفي ج ١ / ص ١٦٠.

(٦) إنباء الغمر / ابن حجر: ٣ / ٤٢.

(٧) هو: صدر الدين علي بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي. ودرس ومهر في ذلك وأفتى وخطب بحسبان مدة، ثم ولي قضاء دمشق. ت: ٧٩٢هـ. انظر: شذرات الذهب / ابن العماد: ج ٦ / ص ٣٢٦.

(٨) انظر: إنباء الغمر / ابن حجر: ٢ / ٩٥ - ٩٨.

(٩) هو الأمير سيف الدين سلار. انظر: البداية والنهاية ج ١٤ / ص ٤ - ١٢.

حسن بن الملك النصار محمد بن قلاوون^(١) (ت: ٥٧٤١هـ)، والأمير بالديار المصرية حسام الدين أبو بكر بن النجيب^(٢).

لقد ضرب الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في جهاده وصبره مثلاً أعلى لأهل السنة والجماعة، فقد ناظر، وجاهد بلسانه وقلمه أهل البدع، وعندما انتصر عليهم رأوا سجنه، فمات سجيناً في قلعة دمشق على يد الأشاعرة، وكذلك (أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له...، وأوذي جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزز جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية، فإنه حبس بالقلعة)^(٣)، فكان ذلك سبباً لعودة الناس لمذهب السلف؛ لأن موقف الإمام الصلب وحده مع

(١) هو تاسع سلاطين الدولة المملوكية، قاد حروباً ضد الصليبيين والمغول. انظر: البداية والنهاية ج ١٤ / ١٦٨ - ١٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية ج ١٤ / ص ٢٣٥، وفوت الوفيات / محمد الكتبي: ١ / ٣٤، ط / بدون، دار صادر، بيروت، المنهل الصفي / جمال الدين الأتابكي: ١ / ٣٣٦، ١٣٥٧ دار الكتب المصرية، القاهرة. النجوم الزهرة / جمال الدين الأتابكي: ٩ / ٢٧١، ط / بدون، مصورة من دار الكتب، مصر الدرر الكامنة / القسطلاني: ١ / ١٥٤، ط / بدون، دار الكتب الحديثة، مصر، البدر الطالع / الشوكاني: ٦٣، دار المعرفة، بيروت، وبعث النهضة الإسلامية ابن تيمية / محمد خليل هراس الجزء الثاني خاص بشيخ الإسلام، مشاهير المجتهدين في الإسلام / الفوزان: ١٩ - ٥٥، معجم المؤلفين / كحالة: ١ / ٢٦١: موقف ابن تيمية من الأشاعرة / الحمود: (١ / ٦)، والبدعة وأثرها في محنة المسلمين (٥ / ١٦).

(٣) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية / محمد بن قدامة: ج ١ / ص ٣٤٦، دار الكاتب العربي - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

بعض تلاميذه على الحق لفت أنظار الناس إليه ، فموقفه مع الأشاعرة الذين كانت السلطة السياسية بجانبهم مثل موقف الإمام أحمد مع المعتزلة ، والذين كانت أيضاً السلطة السياسية بجانبهم.

كان - رحمه الله - أمة وحده ، فرجل واحد ليس معه عضيد ولا مساند مع كثرة أهل البدع حوله وقوة سطوتهم ، فالسلطة بجانبهم ، فاجتمعوا على أذيته وسحنه إلى أن مات سجيناً - رحمه الله - ، إلا أنه غير وبدل حال الناس من الظلام إلى النور ، ومن الشرك والبدع إلى السنة والتوحيد ؛ بتجديد الدين ، وإحياء ما اندرس وغاب منه ، وكتبه إلى الآن تعتبر من أفضل مناهل العلم عند السلف ، أليس هذا عجيباً؟.

المرحلة الخامسة: في هذه المرحلة شهد المذهب السلفي انحساراً كبيراً مرة أخرى ، وغابت معالم الإسلام إلا فيما ندر ، فظهرت البدع ، وعم الشرك بلاد نجد وغيرها من بلاد المسلمين ، فكان الناس يتوسلون بالأولياء والأشجار وغيرها ، فظهر المذهب السلفي بقوة مرة أخرى في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) على يد المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية ، والتي واكبت عصر انحطاط وأفول نجم الدولة العثمانية ، وصعود الاستعمار الغربي ، وأحدثت هذه الدعوة تأثيراً كبيراً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وأحدثت لغطاً كبيراً بين مؤيديها ومعارضيه^(١).

(١) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرار الساعة / حمود التويجري:

٢ / ٢٢٥ ، والرد على الرافضة / الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١ / ٤ ، وسياسات

السلفية الإحيائية الجديدة بقلم حسن أبوهنية: ١٤٠٥ . <http://www.kwtanweer.com/articles/articleforprint.phparticleID=>

وهي (بشهادة الخصوم أنها دعوةٌ لتحقيق توحيد الله - جل وعلا - ، وهي على ميراث النبوة ، على مثل ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - ، وهذا أمر ظاهر بين ، وقد اتبع فيها طريقة السلف الصالح في القول والعمل والاعتقاد وفي العلاقات ونحو ذلك ، وجمع فيها بين الفقه والعلم والبصيرة - رحمه الله تعالى ، وأجزل له المثوبة - ، ولا يُعلم دعوة من وقته إلى هذا الزمن قاربت دعوته في الدعوة إلى ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - ، إلا من كان متأثراً بدعوته ، أما الدعوات الأخرى ففيها ما فيها ، وأكثر أمورها على خلاف طريقة السلف الصالح - رضوان الله عليهم -)^(١).

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامت على الدين الصحيح ، فهي إحياء لما اندرس منه ، والقضاء على البدع ، وإزالة ما يتخذه ويتمسح به الناس ويتوسلون به ، كهدمه للقبّة التي كانت على قبر زيد بن الخطاب^(٢) . (من الثابت في الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - لم يأت الناس بعقيدة جديدة ، بل هو عالم عامل بين عقيدة السلف الصالح ، وعمل

(١) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان : ٣٧ ، ودراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم ، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط / ٥ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م ، وشرح عدة متون في العقيدة (١٣ / ٢٧٩) ، والرد على الرافضة / الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ٤ / ١ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد / ابن بشر ص ٣٩ .

على تطبيقها، ووفق بأنصار أحرار ينصرون عقيدة السلف الصالح عن وعي وإدراك^(١).

يقول الدكتور عبد الحليم عويس: (وفي العصر الحديث عندما ظهر شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) - رحمه الله تعالى - في نجد أنقذ الناس من البدع وغبش الصوفية...، بينما كانت جزيرة العرب في ظلام دامس، وكانت الوثنيات تسيطر على البلاد، وقد ألف كتباً لبيان حقيقة التوحيد، وأخذ ينشرها، ويدعو إليها، وناله من الأذى الكثير، ولكن وفقه الله - ﷻ - مع من أيده من الأمراء السعوديين الأوائل.

وبالتالي ظهرت (الدعوة السلفية) وأثرت في المسلمين، ووصلت إلى بلاد كثيرة في العالم كله.

ويقول الشيخ محمد ناصر الألباني - رحمه الله - (ت: ١٤٢٠هـ): لا بد أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كان سلفياً في العقيدة، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام (ابن تيمية) - رحمهم الله جميعاً - في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي بصورة عامة، وفي البلاد النجدية والحجازية فيما بعد بصورة خاصة^(٢).

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز / أمين الريحاني: ٤٣٦، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية / صالح العبود: / ١٥.

(٢) مقال (الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى) عبد الحليم عويس (رئيس تحرير مجلة التبيان - القاهرة)، مجلة الحرس الوطني، رقم العدد: ٣٢٧، تاريخ: ٢٠١٠ / ٣ / ١.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يركز كثيراً على بيان ووضوح هدفه
 وغايته من هذه الدعوة ، فهو يدعو إلى الله وحده لا شريك له ، مخلصاً له
 الدين ، ويحرص أيما حرص على اتباع الحق مهما كانت الأحوال ، يقول -
 رحمه الله - : (ولست - والله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفي ، أو فقيه ، أو
 متكلم ، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم ، والذهبي ، وابن
 كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول
 الله - ﷺ - ، التي أوصى بها أول أمته وآخرهم ، وأرجو أني لا أرد الحق إذا
 أتاني ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أنا منكم كلمة من الحق
 لأقبلها على الرأس والعين)^(١) .

ويقول أيضاً : (فنحن - والله الحمد - متبعون غير مبتدعين ، مقلدون
 للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة ، على مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي
 هو على أمر الله ورسوله - ﷺ -)^(٢) ، وهذا واضح لمن قرأ كتب إمام
 الدعوة ورسائله - رحمه الله - متجردا من الهوى ، ككتاب التوحيد وغيره ،
 فقد كان اعتماده - رحمه الله - فيما يقرره الكتاب والسنة^(٣) .

(١) روضة الأفكار / ابن غنّام : ١ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الخامس : ٣٦ ورقم ٦ ص ٤٠ ، ٤١ ،
 وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / صالح العبود : ١ / ٢٩ .

(٣) انظر : الدرر السنية في الكتب النجدية / لمجموعة من علماء نجد : ١٢ / ٢٠ ، دراسة
 وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط / ٦ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، والتوضيحاتُ
 الكاشفاتُ على كشف الشبهات / محمد الهبدان : ١ / ١٦ .

وقال ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : (مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم ، خلافا لمن قال طريقة الخلف أعلم ، وهي أننا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها ، ونكل معناها مع اعتقاد حقائقها إلى الله تعالى...) (١).

فهذا هو مذهب الشيخ الحق ، لا ما ذكره أعداء دعوته من أكاذيب وتهم ، و(قد أجاب عن هذه الأكاذيب والمفتريات الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقال - رحمه الله - : (وأما ما يكذب علينا سترًا للحق ، وتلييسًا على الخلق بأننا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد - ﷺ - بقولنا : النبي رُمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، مع كون الآية مدنية ، وأنا لا نعتمد أقواله ، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب ؛ لكونها فيها الحق والباطل ، وأنا مجسمة ، وأنا نكفر الناس على الإطلاق من بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه... ، ولا وجه لذلك ، فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرنا جوابنا عليه في كل مسألة : سبحانك هذا بهتان عظيم ، فمن روى عنا شيئًا من ذلك ، ونسبه إلينا ، فقد كذب علينا وافترى ،

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية : ١ / ١٢٦ ، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / عبد العزيز العبد اللطيف : ١ / ١٤٠ .

ومن شاهد حالنا، وحضر مجلسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين؛ تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله - تعالى - بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذي نص الله على أنه لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١).

ويقول الدكتور ناصر العقل - حفظه الله تعالى - عن دعوة الشيخ محمد: (هي الإسلام على منهج السلف الصالح...، من الحقائق الثابتة الجليلة أن الدعوة الإصلاحية التي قام بها المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي - رحمه الله - (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)، ونصرها الإمام المجاهد محمد بن سعود - رحمه الله - (ت: ١١٧٩ هـ) إنما هي امتداد للمنهج الذي كان عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة على امتداد التاريخ الإسلامي، وهو منهج الإسلام الحق الذي كان عليه النبي - ﷺ - وصحابته الكرام والتابعون وأئمة الدين من الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل الحديث والفقه وغيرهم...، إذاً فهذه الحركة المباركة لم تكن في حقيقتها ومضامينها ومنهجها العقدي والعلمي والعملية، إلا معبرة عن الإسلام نفسه، مستهدفة إحياء ما اعتري تطبيقه من قبل كثير من المسلمين من غشاوة وجهل وإعراض، بتصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة، وإحياء السنة، ومحاربة الشراكيات والبدع والمحدثات في الدين)^(٢).

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق / ابن سحمان ١ / ٦٧ - ٦٨.

(٢) إسلامية لا وهابية / ناصر العقل: (١ / ١)، والرد على الرافضة / محمد بن عبد الوهاب علق عليها محمد مال الله، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

وقد وفق الله - تعالى - الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، حيث آزره الأمير محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي الدرعي العدناني (١١٠٠هـ / ١١٧٩ -) وهو المؤسس الأول لدولة الدعوة^(١)، فعندما هاجر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وسمع بمقدمه الأمير محمد بن سعود رحب به، وبادره بالقبول والتأييد من العينة إلى بلدة الدرعية، فنزل في الليلة الأولى على عبد الله بن سويلم، ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعا إليه، ومعه أخواه: ثيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنعه به نساء وأولاده^(٢)، (وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة)^(٣).

(١) انظر: الدرر السنية في الكتب النجدية / لمجموعة من علماء نجد: ٢ / ٧٦، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق - سليمان بن سحمان: ٣٧، ودراسة وتحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر بن عبد الكريم، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط / ٥، ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م الدرعية العاصمة الأولى / عبد الله بن خميس: ١٦١، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة / التويجري: ٢ / ٢٢٥، والإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى / عبد الرحمن العربي: ٥٤، وإسلامية لا وهابية / بحث علمي توثيقي أعده ناصر عبد الكريم العقل: ١٢ (المكتبة الشاملة).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد / ابن بشر: ١ / ١١ - ١٢، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض، وتاريخ نجد / ابن غننام: ٣ / ١، مطبعة المدني، ط القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة / عبد الله التركي: ٣٣ -

فمضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة في ربوع نجد وغيرها، حتى عم خيرها أرجاء البلاد، وكان لها الأثر الواضح في حركات الإصلاح التي قامت في نواحي البلاد الإسلامية^(٢)، وقد كانت الدرعية مركز الدعوة، ونقطة انطلاقها إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها^(٣).

و(حين ذهب الأمير محمد بن سعود إلى الحرمين الشريفين، وقد قرئ هناك بيان بمذهب الدعوة بمحضر علماء المذاهب الأربعة: ((إن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريق السلف الصالح التي هي الطريق الأسلم؛ بل الأحكم)^(٤)، ورد على المفتريات على هذه الدعوة السلفية^(٥).

٣٧، ط / ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

(١) انظر: عنوان المجد / ابن بشر: ١ / ١٢١١، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة / عبد الله التركي: ٧٩.

(٢) انظر: عنوان المجد / ابن بشر: ١ / ١٢١١، والإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة / عبد الله التركي: ٧٩.

(٣) انظر: الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل (١ / ١٨).

(٤) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ): (١ / ٥٥٢)، دار الصميعي، ط / ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٥) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / شمس الدين الأفغاني: ١ / ٥٥٣ - ٥٥٨.

(وقد اشتهر الأمير محمد بن سعود على وجه الخصوص بحسن السيرة
 ورجاحة العقل، والحنكة وسداد الرأي، وبالوفاء والكرم والإحسان،
 والاستقامة والتدين والعبادة، مع قوة العزيمة والشجاعة ورباطة الجأش.
 وبرهان ذلك: استعداده لاستضافة الإمام الداعية محمد بن عبد الوهاب،
 وقبوله لاحتضان الدعوة والتزامها، والقيام بأعبائها، في تلك الظروف
 الحرجة والمخاطر التي تكتنف الدعوة وإمامها، والمسؤوليات التي لم يستطع
 ابن معمر أمير العيينة تحملها، رُغمَ ولائه أول الأمر للدعوة، وحماسه في
 نصرتها، وشروعه في تنفيذ برامجها، قبل أن ترد إليه التهديدات الجادة
 والكثيرة من جهات عديدة، أخطرها تهديد ابن عرير حاكم الأحساء، ومع
 ظهور هذه المخاطر فإن ابن سعود تكفل بالنصرة للإمام وطمأنه، وقد صدق
 ووفى، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين عامة، وعن هذه البلاد خاصة خير
 الجزاء، ولم يتوف - رحمه الله - إلا وقد قرت عينه بنصرة الدين، ونشر
 السنة، وقيام الدولة، وبأبناء بررة كرام أبطال، ضربوا أروع الأمثلة في الديانة
 والأمانة والجهاد، والقيام بأعباء الدعوة والدولة بمجادة واقتدار^(١).

ولما توفي الأمير خلفه ابنه عبد العزيز بن محمد ليتابع مناصرة الدعوة مع
 الشيخ الذي توفاه الله بالدرعية سنة ١٢٠٦ هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال،

(١) انظر: إسلامية لا وهابية/ ناصر العقل: ١ / ١٢ (المكتبة الشاملة)، والإمام محمد بن
 سعود/ العريني: ٥٧ - ٥٩.

وكان يوماً مشهوداً تزاحم الناس على سريريه وصلوا عليه في بلدة الدرعية،
 ورثاه طوائف من العلماء، منهم العالم الجليل: محمد بن علي الشوكاني^{(١)(٢)}.
 وكان- أيضاً- مما ساعد على نشر الدعوة: وجود أنصار لدعوة الشيخ
 من بين رجالاتها، مثل إخوة الأمير محمد بن سعود، وهم الأمير ثنيان،
 والأمير مشاري، والأمير فرحان، والأمير الصغير عبد العزيز بن محمد بن
 سعود، وآل سويلم فقد سار على ذلك إمام المسلمين في ذلك الزمان، وهو
 عبد العزيز بن محمد بن سعود- رحمه الله تعالى-، فبعث جماعة من
 المسلمين إلى ذي الخلصة في الحجاز، فخربوها، وهدموا بعض بناائها، وبقي
 بعضه قائماً^(٣)، فالله- ﷻ- يهيئ لهذا الدين بعد ختم النبوة بمحمد-
 ﷺ- عند انتشار البدع، واندراس معالم الدين، علماء أفذاذاً يجددون ما
 اندرس منه، لكنه لا يأتي بجديد، ولا يتدع شيئاً، فهي سلسلة ممتدة من
 العلماء، فالسلفية ليست ديناً مبتدعاً.

(١) علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن له ١١٤ مؤلفاً منها: نيل
 الأوطار، وفتح القدير، وإرشاد الفحول، والتحفة في مذهب السلف، ت: ١٢٥٠هـ.
 انظر: الأعلام/ الزركلي: ٦/ ٢٩٨.

(٢) انظر: الدرر السنية/ أئمة نجد: ١٢/ ٢٠، والرد على الرافضة/ الشيخ محمد بن عبد
 الوهاب: ١/ ٤، والتوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات/ د. محمد بن عبد الله بن
 صالح الهيدان: ١/ ١٦.

(٣) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ حمود التويجري:
 ٢/ ٢٢٥.

المرحلة السادسة : لقد وضع الأساس الأمير محمد بن سعود لنشر الدعوة السلفية، وهو أول من لقب بالإمام من آل سعود، والذي انتقل إلى رحمة مولاه عام (١١٧٩هـ)، وقد سار من أحفاده الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود^(١) على ذلك، فتولى إقامة البناء فوق أساسه المتين، واكتمل في عهده المبارك توحيد المملكة في عصرها الحديث، وغدا مستقبلها المشرق - بحمد الله - أمانة غالية في يد أبنائه وخلفائه^(٢).

نعم ففي هذه المرحلة بان أثر الدعوة السلفية المباركة، وبرز بالإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الذي قرب العلماء، ونشر مؤلفات علماء الدعوة وآثارهم، وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب^(٣)، وقام بالقضاء على البدع، فإنه لما ولي على الحجاز وما حوله، بعث عامله على تلك النواحي جماعة من المسلمين، فهدموا ذي الخلصة^(٤)، وما بقي من بنائها، فعفا بعد ذلك رسمها، وانقطع أثرها، والله

(١) هو: مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (الدولة السعودية الثالثة). ولد في الرياض لأسرة آل سعود الحاكمة في نجد ١٢٩٣هـ، ولما بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى منفاه في الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود، وقضى طفولته فيها إلى أن استرد الرياض سنة ١٣١٩هـ، توفي رحمه الله تعالى: ١٣٧٣هـ. انظر: أسد الجزيرة/ ناصر آل عاصم.

(٢) انظر: الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل / عبد الله بن عبد المحسن التركي: ١٨، ط / ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: ١ / ٣٦٦.

(٤) (كان بيتًا في خُثْعَمَ في الجاهلية يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةِ، وقد أمر الرسول - ﷺ - بهدمه) أخرجه البخاري: ج ٣ / ص ١١٠.

الحمد والمنة ، وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وأربعين أو خمس وأربعين من الهجرة^(١).

ومن أقوال الملك عبد العزيز - رحمه الله - التي تبين منهجه السلفي قوله : (من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، إلى جناب الأخوين المكرمين ، الشيخ الفاضل : أبي اليسار الدمشقي ، وناصر الدين الحجازي - سلمهما الله تعالى - : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ؛ فإن الله قد أقامكم في آخر هذا الزمان دعاء إلى الحق ، وحجة على الخلق ، فاشكروه على ذلك ، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان ، فليقتدِ بمن سلف من الأنبياء والمرسلين ، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين ، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله ، فإن الحق منصور وممتحن ، والعاقبة للمتقين في كل زمان ومكان ، وهذه هدية نهيها إليكم من كلام علماء المسلمين ، وبيان ما نحن ومشايخنا عليه من الطريقة المحمدية ، والعقيدة السلفية ، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه ، وما ندعو إليه ، نحن وسلفنا الماضون ؛ نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية لأقوم منهج وطريق والسلام)^(٢).

وقوله - رحمه الله - بعد أن ذكر الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب : (فلما رأى أسلافنا [يعني آل سعود] موافقة أقوالهم وأفعالهم [يعني هؤلاء الأئمة] لما جاء في كتاب الله وسنة

(١) انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم / حمود التويجري: ٢ / ٢٢٥ ، ومناهج

أهل الحق والاتباع / الشيخ سليمان بن سحمان: ١ / ٤.

(٢) الدرر السنية في الكتب النجدية ٢ / ٧٦ - ٧٨.

رسوله - ﷺ - قبلوا ذلك ، وقاموا بما أظهره الله على أيديهم ، ونحن - إن شاء الله - على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو الله أن يحمينا ويميتنا عليه^(١) . وتتابع على نصره المذهب السلفي أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله وأحفاده .

المرحلة المعاصرة : عاد مذهب السلف في القرون المتأخرة في جزيرة العرب للظهور - كما سبق بيانه في المرحلتين السابقتين - على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد انتشر في جميع بلاد العالم . والسلف مذهب يدعو إلى العودة إلى نهج السلف الصالح ، باعتباره يمثل نهج الإسلام الأصيل والتمسك بأخذ الأحكام من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ويتعد عن كل المدخلات الغربية عن روح الإسلام وتعاليمه ، والتمسك بما نقل عن السلف ، وأبرز ممثلي هذا الالتزام بمنهج السلف في العصر الحديث ، الشيخ ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢٠هـ)^(٢) ، والشيخ عبد العزيز بن باز^(٣) (ت : ١٤٢٠هـ) ، والشيخ محمد بن عثيمين (ت : ١٤٢١هـ)^(٤) ، وغيرهم كثير ، سواء داخل المملكة أو خارجها في جميع الدول الإسلامية ، وقد انتشر مذهب السلف في ربوع العالم ، ولحكومتنا الرشيدة الفضل بعد الله في ذلك ؛ فقد قامت بتوسيع بناء الحرمين الشريفين ، وبنت المساجد ، وأقامت المراكز العلمية والجامعات داخل المملكة وخارجها التي من أهدافها المحافظة على مذهب

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز / أمين الريحاني : ٤٣٦ ، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية - : ١ / ٥١ .

(٢) انظر جهود الشيخ ومؤلفاته في موقعه : <http://www.alalbany.net>

(٣) انظر جهود الشيخ ومؤلفاته في موقعه : <http://www.binbaz.org.sa>

(٤) انظر : الموقع التالي <http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%A4%D8%AV%D9%A5>

وجهد الشيخ ومؤلفاته في موقعه : <http://www.ibnothaimeen.com/index.shtml>

السلف، وعلى رأس هذه الجامعات الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والتي أنشئت خصيصاً لتخريج الطلاب غير السعوديين، وبالذات من الناطقين بغير العربية على المذهب السلفي، لكنها بعد ذلك فتحت المجال حتى للطلاب من هذه البلاد، وكذلك جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، وأيضاً حرصت الحكومة في هذه البلاد على تدريس المذهب السلفي في جميع مراحل التعليم العام بكافة تخصصاته، وفتحت كذلك كثيراً من مكاتب الجاليات، وترجمت الكتب السلفية إلى جميع لغات العالم، ولا يغيب عن الذهن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي سد حاجة المملكة والدول الإسلامية.

ولكن كيف استطاعت هذه الدولة الفتية التي كانت فقيرة ومغمورة، ويعد العلماء فيها على الأصابع لقلتهم، أن تفعل ذلك؟ قد يجاب بأن ذلك بسبب البترول، فيقال: لماذا ساق الله لها البترول هي بالذات؟، الجواب - والله أعلم - لنية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - الصالحة؛ لذلك استمر التعاون بينهما حتى الآن، ولا يكاد يخلو جيل من عالم أو أكثر من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد استمر الملك في أحفاده.

يقول محمد خليل هراس: (إن البيت السعودي المالك - حرسه الله - قد وفى بما عاهد عليه مؤسس الحركة، من حمايتها والدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين من المعطلة والقبوريين والصوفية)^(١)، وللملك عبد العزيز - رحمه الله - اليد الطولى في نشر كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في العالم، واستفاد منها المسلمون بعد أن كانت ممنوعة لا يسمح لها أهل البدع أن تظهر

(١) الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي / محمد خليل هراس: ٤١.

للناس ولا يجيزون لهم الاطلاع عليها، بل يجيزون لهم الاستنجاء بها^(١)،
أيضا حرص العلماء من هذه البلاد الطيبة على هذا المنهج تدريسا وتأليفا،
فجزى الجميع كل خير^(٢).

المطلب الثاني مراحل تدوين المذهب:

كان علماء السلف ينقلون العقيدة الصحيحة مشافهة جيلا بعد جيل،
محافظين عليها أشد الحفاظ، وقد بدأ السلف في تدوين العقيدة خشية ضياعها
ونسيانها، وكذلك بيانها للناس بعد ظهور الفرق المخالفة وانتشارها؛ حتى لا
تلتبس عليهم، وقد أوردت المؤلفين وبعض مصنفاتهم، وبينت الكتب التي
لم تطبع، وقد حرصت على ذكر المرحلة نفسها، أما السنوات والعلماء
فذكرت بعض ذلك على سبيل المثال للمشهورين من العلماء مع ذكر سنة
وفاتهم وكذا مؤلفاتهم، لأنني لو قصدت الحصر لتطلب ذلك مني أسفاراً
عديدة، فهناك من كتب فيها رسائل علمية، ولقد حرصت على ذكر المذهب
الفقهي للمؤلفين ما استطعت؛ لبيان عدم حصر السلفية بالحنابلة وهذه
المراحل هي:

المرحلة الأولى: في القرن الثاني^(٣) وفيه:

أولاً: السنة الخمسون بعد المائة: كانت بداية تدوين مذهب السلف في
النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فقد صنف الإمام أبو حنيفة (ت:

(١) انظر: المصدر السابق: ٤١.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٣٩ - ٤١.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي:

١٥٠هـ) الفقه الأكبر^(١)، والفقه الأيسر، ووصية أبي حنيفة، والعالم والمتعلم وغيرها.

ثانيا: السنة السابعة والستون بعد المائة: وفيها دوّن حماد بن سلمة بن دينار (ت: ١٦٧هـ) كتاب (الصفات).

ثالثا: السنة التاسعة والسبعون بعد المائة: وفيها دون مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) كتابه (الموطأ)، وقد ذكر ابن تيمية أسباب تأليف الموطأ موردا قول الإمام مالك: (جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس)^(٢).

المرحلة: الثانية (في القرن الثالث)^(٣) وفيه:

أولاً: السنة الرابعة بعد المائتين:

١ - الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) ألف كتابه (الأم)، وفيه مباحث عقديّة وكذلك الرسالة.

٢ - وكذلك ألف سليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ) مسنده.

ثانيا: السنة الحادية عشرة بعد المائتين: ألف العالم عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ) كتابه: (المصنف).

(١) وإن كان هناك من يشكك في نسبته إليه، انظر: مناقب أبي حنيفة / حافظ الدين الكردي: ١٩٩، والرسالة المدنية / محمد ناصر بن معمر: ٩٦، أصول الدين عند أبي حنيفة / محمد الخميس: ٣٣، وكتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ١٣.

(٢) التسعينة / ابن تيمية: ١٥٨/١ - ١٥٩، وانظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ١٤.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ١٦ - ٣٢.

ثالثا: السنة الثانية عشرة بعد المائتين: ألف الإمام إسماعيل بن حماد ابن أبي حنيفة (حنفي) (ت: ٢١٢هـ) كتابه: (الرد على القدرية). (مخطوط)^(١).

رابعا: السنة التاسعة عشرة بعد المائتين: ألف الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي القرشي صاحب الشافعي (ت: ٢١٩هـ) كتاب (أصول السنة).

خامسا: السنة التاسعة والعشرون بعد المائتين: ألف الإمام نعيم بن حماد الخزاعي (توفي في السجن مقيداً في عهد المعتصم: ٢٢٩هـ)^(٢) كتابه (الصفات والرد على الجهمية). (مخطوط).

سادسا: السنة الرابعة والثلاثون بعد المائتين: ألف العالم علي بن المديني (ت: ٢٣٤هـ) عقيدته. (مخطوط).

سابعا: السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين: ألف أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ): (المصنف).

ثامنا: السنة الثامنة والثلاثون بعد المائتين: ألف الإمام الحافظ إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ) مسنده.

تاسعا: السنة الأربعون بعد المائتين: عبد العزيز بن يحيى بن ميمون الكناني المكي الشافعي (ت: ٢٤٠هـ) ألف كتابه (الحيدة).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٦ / ٣٩٣ - ٣٩٨، والطبقات السنية في تراجم

الحنفية/ تقي الدين بن عبد القادر الغزي: ١ / ١٧٦.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٢ / ٥٣.

عاشرا: السنة الحادية والأربعون بعد المائتين: ألف الإمام أحمد (ت):

(٢٤١هـ) كتبه، وهي:

أ- الرد على الزنادقة والجهمية، ب- المسند. ج- السنة.

الحادي عشر: السنة الخامسة والخمسون بعد المائتين: ألف الإمام عبد الله

بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت: ٢٥٥ هـ) (السنن) وهو من أهم

الكتب التي اعتنت بالدفاع عن العقيدة السلفية.

الثاني عشر: السنة السادسة والخمسون بعد المائتين: ألف الإمام البخاري

(ت: ٢٥٦ هـ) (الجامع الصحيح)، وهو من أهم الكتب التي استوعبت

أبواب العقيدة السلفية والدفاع عنها، ويتجلى ذلك في: كتاب (الإيمان)

وكتاب (التوحيد) وغيرهما من مسائل العقيدة.

الثالث عشر: السنة الحادية والستون بعد المائتين: ألف الإمام مسلم ابن

الحجاج (ت: ٢٦١ هـ) (الجامع الصحيح)، ويعد من أهم المصادر العلمية

للعقيدة السلفية.

الرابع عشر: السنة: الرابعة والستون بعد المائتين: ألف الإمام سيد الحفاظ

أبوزرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرزائي الحنبلي^(١) (ت: ٢٦٤ هـ).

(الاعتقاد)^(٢).

الخامس عشر: السنة: الثالثة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام ابن

ماجة (ت: ٢٧٣ هـ) السنن.

(١) طبقات الخنابلة/ أبو الحسين بن أبي يعلى: ١ / ١٩٨.

(٢) وفيه اعتقاد الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم في أصول الدين (وهو رواية أبي حاتم عن أبي

زرعة) وقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن الفريوائي.

السادس عشر: السنة: الخامسة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام أبو داود (ت: ٢٧٥هـ) السنن، وقد خصص الإمام أبو داود في كتابه (السنن): كتاباً في الدفاع عن العقيدة السلفية ومن أعظمها: (السنة).

السابع عشر: السنة السادسة والسبعون بعد المائتين: ألف الإمام ابن قتيبة أبو محمد (ت: ٢٧٦هـ) في هذه المرحلة كتابه (تأويل مختلف الحديث).

الثامن عشر: السنة السابعة والسبعون بعد المائتين: ألف أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الشافعي^(١) (ت: ٢٧٧هـ) كتابه التفسير، وكتاباً في الاعتقاد^(٢).

التاسع عشر: السنة الثمانون بعد المائتين: ألف الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠هـ) كتبه، وهي: (الرد على بشر المريسي) و(الرد على الجهمية).

العشرون: السنة السابعة والثمانون بعد المائتين: ألف الإمام محمد بن وضاح القرطبي (ت: ٢٨٧هـ) كتابه (البدع والنهي عنها).

الحادي والعشرون: السنة السابعة والثمانون بعد المائتين: ألف الإمام الحافظ أحمد بن عمر أبو بكر الشيباني المعروف بابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ) كتابه (السنة).

(١) ذكره السبكي في الطبقة الثانية من طبقات الشافعية في الكبرى: ٢ / ٢٠٧.

(٢) وفيه اعتقاد الإمامين أبي زرعة وأبي حاتم في أصول الدين (وهو رواية أبي حاتم عن أبي زرعة)، وقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن الفريواني، انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٣٠.

الثاني والعشرون: السنة التسعون بعد المائتين: ألف الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت: ٢٩٠هـ) كتابه (السنة).

الثالث والعشرون: السنة السابعة والتسعون بعد المائتين: ألف الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي أبو جعفر (ت: ٢٩٧هـ) كتابه: (العرش).

المرحلة الثالثة (في القرن الرابع)^(١) وفيه:

أولاً: السنة الثالثة بعد الثلاثمائة: ألف الإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ) كتابه: (السنن الصغرى) أو المجتبى، و(السنن الكبرى)، وغيرهما وهي تشتمل على أمهات العقائد وبالذات السنن الكبرى.

ثانياً: السنة العاشرة بعد الثلاثمائة: ألف إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تفسيره (جامع البيان)، وهو من خير الكتب للدفاع عن مذهب السلف، و(صريح السنة).

ثالثاً: السنة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة:

- ١- ألف الإمام أبو بكر الخلال الحنبلي (ت: ٣١١هـ) كتابه (السنة).
- ٢- وكذلك ألف الإمام المحدث محمد بن إسحاق بن خزيمة الشافعي (ت: ٣١١هـ)^(٢) مؤلفات، منها: (كتاب التوحيد)، و(الصحيح).

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٣٦- ٥١.

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى / السبكي: ٣ / ١٠٩ - ١٢٠.

رابعا: السنة الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي (ت: ٣٢١هـ) كتبه: مشكل الآثار وشرح معاني الآثار و(كتاب العقيدة الطحاوية)، وكل هذه الكتب تشتمل على نصوص مرفوعة وموقوفة عقدية.

خامسا: السنة الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) كتبه (الإبانة) وغيرها بعد رجوعه إلى مذهب السلف.

سادسا: السنة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام الحسن ابن علي أبو محمد البرهاري الحنبلي (ت: ٣٢٩هـ): (شرح السنة).

سابعا: السنة الستون بعد الثلاثمائة:

١ - ألف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني الحنبلي^(١) (ت: ٣٦٠هـ) (السنة)، والموسوعات الثلاث في الحديث: (المعجم الكبير) و(الأوسط) و(الصغير)، وكلها تشتمل على أمهات أحاديث العقائد.

٢ - ألف أبو بكر الآجري الشافعي (ت: ٣٦٠هـ) كتاب (الشريعة) في العقيدة.

ثامنا: السنة الحادية والسبعون بعد الثلاثمائة: ألف الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي^(٢) (ت: ٣٧١هـ) (الاعتقاد).

(١) طبقات الحنابلة/ أبو يعلى: ٤٩ / ٢.

(٢) سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٦ / ٢٩٤، وطبقات الشافعية الكبرى/ السبكي: ٧ / ٣.

تاسعا: السنة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو الحسين محمد الملقب الشافعي (ت: ٣٧٧هـ) (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع).
عاشرا: السنة الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف أبو محمد الأندلسي القحطاني المالكي (ت: ٣٨٣هـ) قصيدته النونية في معتقد السلف.

الحادي عشر: السنة الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة:

١- ألف الحافظ أبو الحسن أبو الحسن أبو الحسين علي بن عمر الدارقطني الشافعي (ت: ٣٨٥هـ) كتاب: (الرؤية) و(النزول) و(السنن) و(الصفات).

٢- ألف الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ) الكتاب (اللطيف لشرح مذهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين).

الثاني عشر: السنة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف ابن أبي زيد القيرواني المالكي (ت: ٣٨٦هـ) مقدمته في العقيدة^(١).

الثالث عشر: السنة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام عبيد الله بن محمد أبو عبد الله، والمعروف بابن بطة العكبري الحنبلي (ت: ٣٨٧هـ): (الإبانة الكبرى) و(الإبانة الصغرى).

الرابع عشر: السنة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام أبو عبد الله بن إسحاق بن منده (ت: ٣٩٥هـ) كتاب (التوحيد) و(الإيمان)، و(الرد على الجهمية).

(١) شرحها الشيخ عبد الرزاق العباد البدر حفظه الله في (قطف الجنى الداني..).

الخامس عشر: السنة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة: ألف الإمام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المالكي (ت: ٣٩٩هـ) أصول السنة.

المرحلة الرابعة (في القرن الخامس)^(١)، وفيه:

أولاً: السنة الثامنة عشرة بعد الأربعمائة: ألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي الشافعي (١٨٤هـ)^(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهو أكبر الموسوعات في العقيدة السلفية.

ثانياً: السنة الثلاثون بعد الأربعمائة: ألف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الشافعي (ت: ٤٣٠هـ)^(٣) (العقيدة).

ثالثاً: السنة الرابعة والأربعون بعد الأربعمائة: ألف كذلك الإمام عبيد الله أبو نصر السجزي الحنفي (ت: ٤٤٤هـ)^(٤) كتابه (الرد على من أنكر الحرف والصوت)، وله رسالة إلى أهل زبيد.

رابعاً: السنة التاسعة والأربعون بعد الأربعمائة: ألف شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني الشافعي (ت: ٤٤٩هـ) مصنف (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)، والأربعين حديثاً، وكتاب (المائتين) حديثاً، وكتاب (الدعوات).

خامساً: السنة الثالثة والستون بعد الأربعمائة:

١- ألف حافظ المشرق والمغرب يوسف بن عبد الله بن عبد البر أبو عمر المالكي (ت: ٤٦٣هـ): كتاب (التمهيد)، و(جامع بيان العلم). ٢- ألف

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٥٣ - ٦٣.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١٧ / ٤٢٠، وطبقات الشافعية الكبرى / السبكي: ٢٠٧ / ٤.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى / السبكي: ٤ / ١٨.

(٤) انظر: الجوهرة المضيئة / أبو الوفاء القرشي: ٢ / ٤٩٥.

الحافظ الكبير الخطيب البغدادي الشافعي (ت: ٤٦٣هـ)^(١): (شرف أصحاب الحديث)، ورسالة في (الأسماء والصفات)^(٢).

سادسا السنة السبعون بعد الأربعمئة: ألف عبد الرحمن بن منده أبو القاسم الحنبلي^(٣) (ت: ٤٧٠هـ) (كتاب الرد على الجهمية).

سابعا: الحادية والسبعون بعد الأربعمئة: ألف الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي (ت: ٤٧١هـ) (المختار في أصول السنة).

المرحلة الخامسة (في القرن السادس)، وفيه^(٤):

أولا: السنة العاشرة بعد الخمسمئة: ألف الإمام الحسين البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) الإمام المفسر الشهير كتبه (شرح السنة) وقد بدأ بالعقيدة السلفية، والتفسير، (معالم التأويل) وفيه مباحث سلفية.

ثانيا: السنة العشرون بعد الخمسمئة: ألف الإمام المالكي أبو بكر محمد الطرطوشي (ت: ٥٢٠هـ) (الحوادث والبدع).

ثالثا: السنة الخامسة والثلاثون بعد الخمسمئة: ألف أبو القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني الشافعي (ت: ٥٣٥هـ) الملقب بقوام السنة، وهو من أعلام الحفاظ كتابه (الحجة في بيان المحجة).

(١) وهو رحمه الله من أهل السنة والجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٨٣ / ١٨ - ٢٨٤.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٦٦ - ٦٩.

(٣) انظر: طبقات الحنابلة / ابن أبي يعلى: ٢ / ٢٣٩.

(٤) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٦٦ - ٦٩.

رابعاً: السنة السادسة والسبعون بعد الخمسمائة: ألف أبو الطاهر السلفي الشافعي (ت: ٥٧٦ هـ) قصيدة اللامية، وهي تتكوّن من تسعة وعشرين بيتاً، ظهر فيها مذهبه السلفي، ومدحه لأئمة السلف.

المرحلة السادسة (في القرن السابع) ^(١) وفيه:

أولاً: السنة الستمائة: صنف الإمام عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت: ٦٠٠ هـ) كتابه (الصفات).

ثانياً: السنة الخامسة عشرة بعد الستمائة: ألف الإمام الكبير ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت: ٦٢٠ هـ) كتبه: (مسألة العلو)، و(ذم التأويل)، و(مسألة تحريم النظر في كتب الكلام)، و(الاعتقاد).

ثالثاً: السنة الخامسة والستون بعد الستمائة: ألف الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي (ت: ٦٦٥ هـ) كتابه: (الحوادث والبدع).

المرحلة السابعة (في القرن الثامن) ^(٢)، وفيه:

أولاً: السنة الرابعة والعشرون بعد السبعمائة: ألف المحدث علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان، أبو الحسن، علاء الدين بن العطار الشافعي (ت: ٧٢٤ هـ) (الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد).

ثانياً: السنة الثامنة والعشرون بعد السبعمائة: ألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلّيم أبو العباس بن تيمية (ت: ٧٢٧ هـ) العديد من المصنفات، منها: (مجموع الفتاوى) و(مجموع الرسائل) و(منهاج السنة)

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٧٠ - ٧٤.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ٧٥ - ٨٨.

و(الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان) و(الواسطة بين الحق والخلق) و(الصارم المسلول على شاتم الرسول) وغيرها كثير.

ثالثا: السنة الثانية والأربعون بعد السبعمئة: ألف الحافظ أبو الحجاج المزي الشافعي (ت: ٧٤٢هـ) كتابه (تهذيب الكمال)، وفيه الثناء على السلف، وذم البدع.

رابعا: السنة الرابعة والأربعون بعد السبعمئة: ألف الحافظ محمد بن عبد الهادي الحنبلي (٧٤٤هـ) (الصارم المنكي في الرد على السبكي).

خامسا: السنة الثامنة والأربعون بعد السبعمئة: ألف الحافظ والإمام الذهبي الشافعي (٧٤٨هـ) كتبه (العلو للعلي الغفار) و(العرش).

سادسا: السنة الحادية والخمسون بعد السبعمئة: صنف الحافظ ابن القيم الحنبلي (ت: ٧٥١هـ) كثيرا من المصنفات منها: (القصيدة النونية)، و(اجتماع الجيوش الإسلامية)، و(الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة)، و(هداية الحيارى)، و(شفاء العليل).

سابعا: السنة الرابعة والسبعون بعد السبعمئة: ألف الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر المشهور بابن كثير الشافعي (ت: ٧٧٤هـ) مؤلفات منها: التفسير، وهو من أهم التفاسير التي تنشر المذهب السلفي، وكتاب (البداية والنهاية)، وهو من أعظم الكتب التي اعتنت بمناقب السلف ودفاعهم عن العقيدة السلفية، وبينت الضالين والمضلين.

ثامنا: السنة التسعون بعد السبعمئة: ألف الإمام الشاطبي أبو إسحاق الشافعي (ت: ٧٧٢هـ) مؤلفات منها: (الاعتصام).

تاسعا: السنة السابعة والتسعون بعد السبعمئة: صنف الإمام الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) مؤلفات منها: (فضل علم السلف على علم الخلف)، و(الكلام على لا إله إلا الله)، و(صفة النار).

المرحلة الثامنة: (في القرن التاسع) ^(١) وفيه:

السنة الخامسة والأربعون بعد الثمانمئة: ألف الإمام الجليل تقي الدين المقرئ الشافعي (ت ٨٤٥هـ) مؤلفات منها: (تجريد التوحيد)، و(الخطط)، وهو كتاب تاريخ يحوي مباحث في العقيدة السلفية.

المرحلة التاسعة: ((في القرن الثاني عشر)) ^(٢)، وفيه:

أولا: السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف: ألف الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) مؤلفاته التي منها: (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد).

ثانيا: السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف: صنف العلامة أبو عون السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) مصنفات منها (المنظومة المشهورة المسماة: الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية).

المرحلة العاشرة: (في القرن الثالث عشر) ^(٣)، وفيه:

أولا: السنة السادسة بعد المائتين والألف: ألف شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) مؤلفات ورسائل يبين فيها لهم عقيدته السلفية، ورسائل فيها رد لشبه بعض الناس، ورسائل فيها رد على بعض المبتدعة،

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٨٩.

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي:

٩٢ - ٩٤.

(٣) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية/ عبد الرحمن المغراوي: ٩٥ - ١٠٢.

وأشهر مؤلفات الشيخ: كتاب (التوحيد) و(كشف الشبهات) وكتاب (أصول الإيمان).

ثانيا: السنة الخامسة والعشرون بعد المائتين والألف:

١- ألف الشيخ حسين بن غنام المالكي: (ت: ١٢٢٥ هـ) (العقد الثمين في شرح أصول الدين).

٢- وصنف الشيخ حمد بن ناصر بن معمر الحنبلي: (ت ١٢٢٥ هـ) (الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب).

ثالثا: السنة الثالثة والثلاثون بعد المائتين والألف: ألف الشيخ سليمان ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الحنبلي (ت: ١٢٣٣ هـ) كتاب: (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد).

رابعا: السنة الثانية والأربعون بعد المائتين والألف: ألف عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الحنبلي (ت: ١٢٤٢ هـ) (جواب أهل السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والزيدية).

خامسا: السنة الخمسون بعد المائتين والألف: ألف العالم الفقيه العلامة محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ) مؤلفات منها: (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) و(شرح الصدور في عدم جواز رفع القبور).

سادسا: السنة الثانية والثمانون بعد المائتين والألف: ألف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين الحنبلي (ت: ١٢٨٢ هـ) مؤلفات منها: (تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس).

سابعاً: السنة الخامسة والثمانون بعد المائتين والألف: صنف الشيخ عبد الرحمن حفيد شيخ الإسلام (ت: ١٢٨٥هـ) مصنفات منها: (فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد) و(قرة عيون الموحدين).

المرحلة الحادية عشرة (في القرن الرابع عشر)^(١)، وفيه:

أولاً: السنة الأولى بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ حمد بن علي بن عتيق الحنبلي (ت: ١٣٠١هـ) مؤلفات منها: (إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد).

ثانياً: السنة السابعة بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة الصديق حسن خان (ت: ١٣٠٧هـ) مؤلفات منها: (قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر)، (الدين الخالص).

ثالثاً: السنة السابعة عشرة بعد الثلاثمائة والألف: صنف الإمام العلامة نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي الحنفي (ت ١٣١٧هـ) مصنفات منها: (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين).

رابعاً: السنة السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة محمد السهسواني (ت: ١٣٢٦هـ) مؤلفات، منها: (صيانة الإنسان) في الرد على أحمد زيني دحلان.

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي:

خامسا: السنة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي (ت: ١٣٢٩هـ) (الرد على شبه المستغِيثين بغير الله).

سادسا: السنة الثانية والثلاثون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة: جمال الدين القاسمي الشافعي (ت: ١٣٣٢هـ) كتاب (إصلاح المساجد من البدع والعوائد).

سابعا: السنة الثانية والأربعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العالم محمود شكري الآلوسي الحنفي (ت: ١٣٤٢هـ) عدداً من المؤلفات القيمة في العقيدة السلفية، منها: (غاية الأمان في الرد على النبهاني) (وتعليق على مسائل الجاهلية) للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثامنا: السنة والأربعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ سليمان بن سحمان الحنبلي (ت: ١٣٤٩هـ) مؤلفات منها: (الأسنة الحداد في الرد على الحداد) و(الصواعق الشهابية على شبه الشامية).

تاسعا: السنة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة والألف: ألف عبد الحفيظ بن الحسن ملك المغرب (ت: ١٣٥٦هـ) كتاب (كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع).

عاشرا: السنة الحادية والستون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ علي محفوظ (ت: ١٣٦١هـ) (الإبداع في مضار الابتداع).

الحادي عشر: السنة الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ فوزان السابق الدوسري (ت ١٣٧٣هـ) (البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج المختار).

الثاني عشر: السنة السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف
 الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الحنبلي (ت: ١٣٧٦هـ) مؤلفات،
 منها: (الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء)، و(توضيح الكافية الشافية)،
 والتفسير الذي أبدى فيه عقيدته السلفية.

الثالث عشر: السنة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف الشيخ عبد الرحمن الإفريقي (ت ١٣٧٧هـ) (الأنوار
 الرحمانية في الرد على الطائفة التيجانية).

٢- صنف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧هـ) مصنفات،
 منها: (سلم الوصول)، و(معارج القبول)، و(أعلام السنة المنشورة
 لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة).

٣- ألف كذلك الشيخ أحمد محمد شاكر (حنفي) (ت ١٣٧٧هـ) عددا
 من المصنفات، وكانت له الأيدي البيضاء في خدمة السنة النبوية،
 وله تعليقات مفيدة وتحقيقات منها: تحقيق: شرح العقيدة الطحاوية.

الرابع عشر: السنة الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة والألف: من العلماء
 الذين خدموا العقيدة السلفية شيخ أنصار السنة بمصر حامد الفقهي (ت:
 ١٣٧٨هـ)، فهذا الإمام أحيأ الله به السنة، وأمات به البدعة، فقد أفنى عمره
 وقلمه في إخراج كتب السنة، وخصوصاً ما كتبه أئمة الدعوة في نجد، وكتب
 شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

الخامس عشر: السنة الثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ محمد
 سلطان المعصومي الحنجلي الحنفي (ت: ١٣٨٠هـ) المشاهد المعصومية عند
 قبر خير البرية.

السادس عشر: السنة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ): كتابه (التنكيل).

السابع عشر: السنة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف: ألف محمد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم السلفي (ت: ١٣٨٧هـ): رسالة في زيارة القبور.

الثامن عشر: السنة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف العالم محب الدين بن أبي الفتح المعروف بالخطيب الحنفي (ت ١٣٨٩هـ) كتابه الخطوط العريضة.

٢- ألف الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ) كثيرا من الرسائل والردود.

التاسع عشر: السنة الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة والألف:

١- ألف الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي الدوسري (ت ١٣٩٢هـ) (التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية).

٢- ألف الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت ١٣٩٢هـ) شرح عقيدة السفاريني ، و(السيف المسلول).

العشرون: السنة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف العلامة محمد الأمين الشنقيطي المالكي (ت ١٣٩٣هـ) تفسير أضواء البيان الذي هو على عقيدة السلف.

الحادي والعشرون: السنة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة والألف: ألف الشيخ محمد خليل الهراس (ت ١٣٩٥ هـ) صاحب المواقف التي لا تنسى

للدفاع عن العقيدة السلفية عددا من المؤلفات منها : شرح نونية ابن القيم ،
وشرح العقيدة الواسطية ، و(دعوة التوحيد).

المرحلة الثانية عشرة (في القرن الخامس عشر) :^(١) ، وفيه :

وتعد هذه المرحلةُ المرحلةَ الذهبية لتدوين العقيدة السلفية ، وازدهار
التأليف فيها ونشرها لانتشار هذا المذهب ؛ بسبب حرص أهله ، وقيام كثير
من المراكز العلمية التي تعني به ، وانتشار المطابع ، وسهولة الحصول على
المراجع ، فمثلاً : ألف الشيخ محمد أعظم بن أفضل الجندولي (ت ١٤٠٥هـ)
وهو من القطر الهندي ، رسالة في ختم النبوة ، رد فيها على القاديانية.
وكذلك صنف الشيخ إحسان إلهي ظهير (ت ١٤٠٩هـ) كثيرا من الكتب
التي ترد على الفرق كالرافضة وغيرها)^(٢) ، وألف غيرهم كثيرا من الكتب
السلفية ، كالشيخ الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ، والشيخ ابن باز (ت ١٤٢٠هـ) ،
والشيخ ابن عثيمين (ت ١٤٢٤هـ) ، وغيرهم كثير من العلماء الفضلاء في
جميع ربوع العالم ، حفظهم الله تعالى ووفقهم.

(١) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي :
٥٣ - ٦٣ .

(٢) انظر: كتاب المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي : من
١٤ - ١٢٣ ، وكتاب تاريخ تدوين العقيدة السلفية / عبد السلام برجس ، دار الصميعي ،
ط / ٢ ، ١٤٢٨هـ .

ولم أورد أسماء بعض هؤلاء العلماء ؛ لكثرة عددهم ، وخشية أن أقدم
المفضول على الفاضل^(١).

(١) من أرد الاستزادة عنهم وعن مؤلفاتهم فليدخل مواقع العلماء والمشايخ في الشبكة
العنكبوتية.

المبحث الثالث: استمرار المنهج السلفي:

لقد وقع الافتراق في هذه الأمة مصداقاً لما أخبر به - ﷺ - بقوله: (افتترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة)^(١)، وفي رواية: (هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي)^(٢)، وقال - ﷺ -: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله)^(٣)، (فقد أخبر النبي - ﷺ - عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته، وسنة أصحابه - ﷺ -)^(٤)؛ وبين - ﷺ - أن الحق ينحصر في فرقة واحدة، وهي المتبعة له ولأصحابه، وما عداها فإن الباطل معها؛ لأنها خالفت المعتقد الذي جاء به الرسول - ﷺ - ، وتابعه عليه أصحابه - ﷺ - ، وهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة والظاهرة^(٥)، فالسلف

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦ / ٥، رقم: ٢٦٤١، والحاكم ١ / ٢١٨، رقم ٤٤٤، الطبراني في الصغير ٢ / ٢٩، رقم: ٧٢٤، حسنه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ٢٦٤١.

(٣) أخرجه الترمذي: ٥ / ٦٦٣، رقم ٣٧٨٨، وابن حبان ١ / ٣٣٠، رقم ١٢٣، والحاكم ٣ / ١٦٠، رقم ٤٧٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتابعه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي لرقم: ٣٧٨٦.

(٤) هجر المبتدع / بكر أبو زيد: ٢٧، وانظر: الفتوى الحموية الكبرى / شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٣.

(٥) انظر: شرح السنة البريهاري: ٦٧، وشيخ الإسلام، مجموع الفتاوى ٣ / ١٥٩، وقطف الثمر / محمد صديق خان: ١٦١.

مستمرون على الطريق المستقيم إلى قيام الساعة، والأدلة على ذلك كثيرة،
منها:

أولاً- الأدلة من الكتاب:

- قوله - تعالى - : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (سورة: الفاتحة، ٦ - ٧).
- وقوله - تعالى - : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة: الأنعام، آية: ١٥٣).

وقد قيل لعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : ما الصراط المستقيم؟ فقال: ما تركنا محمد - صلوات الله عليه - في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادٌ وعن يساره جواد، ثم رجال يدعون من مر بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهى به إلى النار، ومن أخذ في تلك الجواد انتهى به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم تلا: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ ((١٥٣)) سورة الأنعام^(١)، فالطريق المستقيم هو طريق أهل السنة والجماعة والسلف الصالح الذي هو: الاقتداء والاتباع، وترك الهوى والابتداع، فالطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به الرسل، وأنزل به كتبه، ولا يصل إليه أحدٌ إلا من هذا الطريق لا عن طريق الناس^(٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٢ / ٢٣٠).

(٢) انظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني / محمود شكري الألوسي: ٢ / ٣٠٠، والروض البسام / حسن بن صديق حسن خان: ٢١، والتفسير القيم / جمع أويس الندوي: ١٤ -

ثانيًا: الأدلة من السنة :

ولقد وردت أحاديث عديدة في بيان الطريق الصحيح المستقيم الذي يجب أن يُسلك والطريق المعوج الواجب على المسلم اجتنابه، منها: ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : (إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خط خطًا مستقيمًا، فقال: هذا سبيل الله، وخط من ورائه خطوطًا، فقال: هذه سبل الشيطان، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، من أجابهـم إليها قذفوه في النار)^(١).

- ومنها ما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - بأن الطائفة الناجية هي التي تحافظ على ما جاء به - صلى الله عليه وسلم - من الدين، وهي مستمرة إلى قيام الساعة، فقال: (لَنْ يَرَحَ هذا الدِّينَ قَائِمًا يُقَاتِلُ عليه عَصَابَةٌ من المُسْلِمِينَ حتى تُقُومَ السَّاعَةُ)^(٢)، وفي رواية: (إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٣).

- ومنها ما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - أيضا بأنه لا يضرهم من ترك معونتهم؛ لأن الله ناصرهم، فقال: (لَا يَزَالُ من أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، وَلَا من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ على ذلك)^(٤).

- ومنها ما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - بأنهم ظاهرون، فقال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ من خَذَلَهُمْ، حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)، وكَيْسَ في حديث قُتَيْبَةَ: (وَهُمْ كَذَلِكَ)^(٥).

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١ / ١١، وأحمد ١ / ٤٣٥، وابن حبان ١ / ١٨٠، رقم: ٦
 قال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن)، والدارمي ١ / ٦٧، رقم: ٥٧٨، و٢٠٢،
 والبيهقي في الكبرى ٦ / ٣٤٣، رقم: ١١١٧٤، والبغوي في المصباح ١ / ١٣٠.
 (٢) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٤، رقم: ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢.
 (٣) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٤، رقم: ١٩٢٣.
 (٤) أخرجه البخاري ج ٣ / ص ١٣٣١، رقم: ٣٤٤٢.
 (٥) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٣، رقم: ٥٣.

وقال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)^(١)، وقال: (من يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٢).

- ومنها ما جاء عنه - ﷺ - بأنهم قاهرون لعدوهم، فقال: (لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فقال عبد الله: أَجَلٌ! ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمَسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)^(٣).

ومنها ما أخبر به - ﷺ - بأن النصر حليفهم، فقال: (وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ - ﷻ) (٤)، وفي رواية: (وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)^(٥).

(١) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧.

(٢) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ج ٣ / ص ١٥٢٥، رقم: ١٩٢٤، ورقم: ١٩٢٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ج ٢ / ص ١٣٠٤ برقم: ٣٩٥٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ٣٩٥٢.

(٥) أخرجه الترمذي ج ٤ / ص ٤٨٥، برقم: ٢١٩٢، وقال: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، وأحمد ج ٣ / ص ٤٣٦، رقم: ١٥٦٣٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٢١٩٢.

قال النووي: فيه أن الإجماع حجة، ثم قال: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقهه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى ألا تبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقضى جاء أمر الله... (و) ما حمل عليه بعض الأئمة حديث (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(١) أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى، باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد، سواء أعدد أم لا^(٢).

(١) أخرجه أبو داود ج ٤ / ص ١٠٩، ورقم: ٤٢٩١، والحاكم: ج ٤ / ص ٥٦٨، رقم:

٨٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٤٢٩١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٣ / ص ٦٧، وفتح الباري / ابن حجر:

ج ١٣ / ص ٢٩٥.

ويقول النووي أيضا: (وفى هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله - تعالى - من زمن النبي - ﷺ - إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث^(١))، لا يضرهم من ترك نصرتهم ومعاونتهم؛ لثباتهم على دينهم حتى تقترب الساعة، وهو خروج الريح التي تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

ففي الأحاديث السابقة الآية العظيمة، أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية حتى ولو مر عليهم زمن ضعف^(٣)؛ لأن الحق مع السلف، وليس هذا ادعاء كما تدعي جميع الفرق أن الحق معها؛ لأن الله - تعالى - أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف، وقرنا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذوا التابعون عن أصحاب رسول الله - ﷺ -، وأخذوا أصحاب رسول الله - ﷺ - عن رسول الله - ﷺ -، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله - ﷺ - الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقته - ﷺ -؛ لأنهم رجعوا إلى معقولاتهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٣ / ص ٦٧.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى / المباركفوري: ج ٦ / ص ٣٦٠ و ٤٠١.

(٣) انظر: الدين الخالص / محمد صديق خان: ٢ / ٥٠٢.

بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه،
 ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله عما
 يصفون؛ لذا فإن عقائد أهل البدع ينقض بعضها بعضاً، التالي يعارض
 السالف، كما يشاهد في كتب عقائدهم؛ لذلك نرى أن الفرقة من هؤلاء
 تتشعب إلى شعب عديدة لا حصر لها ولا عد، وتسمى باسم من ابتدع لها
 الأصول، ورسم لها الآراء، لكن السلف لا ينتسبون إلا إلى الأسماء التي
 سماهم بها رسول الله - ﷺ -، وهم متفقون اتفاقاً عجيباً، عرباً أم عجماً،
 سواء أكانوا في القرون الأولى أم المتأخرة في مسائل الاعتقاد، تنظر في كتبهم
 فترى أن العقيدة واحدة لا اختلاف فيها، كأن اليد التي خطت هذا الكتاب
 خطت ذاك الكتاب، فسبحان من جمعهم على الحق! وهذا مصداق حديث
 رسول الله - ﷺ - : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا
 يضرهم من خذلهم إلى قيام الساعة)^(١)؛ لأن الله وفقهم، فجعلوا الكتاب
 والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم
 وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه
 وشكروا الله - ﷻ -، حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً
 لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على
 أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، أما رأي الإنسان فقد
 يرى الحق، وقد يرى الباطل، ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق ما

(١) أخرجه البخاري: ٢٦٦٧ / ٦، رقم ٦٨٨١، ومسلم: ٤ / ٣، رقم ٢٤٨٤، والترمذي:

٤ / ٨٥، رقم ٢١٩٢، وابن ماجه: ٤ / ١، رقم ٦.

قاله السمعاني : (إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم ، قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم في الديار ، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار ، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد ، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ، ولا يميلون فيها ، قولهم في ذلك واحد ، وفعلهم واحد ، لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء ما وإن قل ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ، ونقلوه عن سلفهم ، وجدته كأنه جاء من قلب واحد ، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين^(١) من هذا؟ قال الله - تعالى - : {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (٨٢) سورة النساء ،

(١) لنأخذ من هؤلاء مثلا : شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يعد زمنه مرحلة من مراحل المنهج السلفي ، والذي أودى وسجن ، ومات سجيناً على يد الأشاعرة ، يقول عنه المحمود في كتابه موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١ / ٧) : (كان صاحب منهج واضح ومحدد ، سار فيه على وتيرة واحدة في جميع كتبه ، لم تتغير طريقته ، ولم تتناقض أقواله ، مع كثرة كتبه ، وطولها ، وتشعب مسائلها ، كانت قناعاته بمذهب السلف ، وأن الحق كل الحق فيه ، وأن ما عداه من الآراء والأقوال المبتدعة إما ضلال أو انحراف ، أو في مذهب السلف ما يغني عنه تمام الغنى - لم تتغير أو تضعف ؛ ولذلك كانت هناك أهمية خاصة لما كتبه في بيان عقيدة السلف والمنهج الصحيح في تقريرها ، وكذلك ما كتبه في الرد على مخالفتي عقيدة أهل السنة والجماعة والمنهج الصحيح) لكن لو رجعت لما في كتب الرازي خذ مثلا : كتاب القدر لوجدت آخر الكتاب يناقض أوله أو كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، وخصوصا في مسألة التوكل أو ما يخص مسائل التصوف ، وأيضا كتاب (روح المعاني) للآلوسي يوجد فيه للآية الواحدة عدة تفسيرات ، منها التفسير الإشاري ، وغير هذه الكتب كثير؟! ! فأهل البدع لا يخالف اللاحق السابق فقط ، بل إن التناقض والاضطراب يوجد في مصنف واحد لمؤلف واحد؟

وقال- تعالى- : ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ ((١٠٣) سورة آل عمران^(١)) ، فاستمرت سلسلة هؤلاء بخط مستقيم ، والبدع من حولها بخط عشواء تمشي بطريق معوجة ، الأول منها غير الأخير ، فما نرى من عقائد بعض الفرق في هذا القرن مخالف لما كان في بداية نشأتها.

يقول السمعاني : (أهل الأهواء والبدع متفرقون مختلفون وشيع وأحزاب ، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد ، يبدع بعضهم بعضا ، بل يرتقون إلى التكفير ، يكفر الابن أباه ، والرجل أخاه ، والجار جاره ، تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف ، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ، أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين ؟ ، والبصريون منهم البغداديين ؟ ، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي (ت : ٥٣٠٣هـ) ابنه أبا هاشم ؟ وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي ؟ ، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم ، إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين ، يكفر بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم ، وسائر المبتدعة بمثابتهم ، وهل على الباطل دليل أظهر من هذا ؟ قال- تعالى- : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما

(١) الانتصار لأصحاب الحديث / أبو المظفر منصور السمعاني : ج ١ / ص ٤٥ ، ، مكتبة أضواء المنار ، السعودية ، ١٤١٧هـ ، ط / ١ ، ت : محمد الجيزاني ، والحجة في بيان المحجة / الأصبهاني : ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ، أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة / ناصر القفاري : ٧٣.

أمرهم إلى الله^(١)، أما الفرقة الناجية أهل الحديث فمتفقون في أصول الدين ومسائل الاعتقاد^(٢)، لم يخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها^(٣)، فأقوالهم فيها متفقة^(٤)، وكان السبب في اتفاقهم أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والاتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدر فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بين والحمد لله^(٥).

وقد يأتي زمان يضعف فيه أهل المنهج، كما حصل لهم عبر القرون الماضية، لكنهم لا ينقطعون، بل هم مستمررون ولو قلوا، فكل جيل يحرص على مذهب السلف وينقله لمن هو بعده ويتلقاه الجيل الذي بعده، ويعتني به، وهم مستمررون إلى قيام الساعة، يقول الشاطبي بعد ذكره حديث الافتراق: (كان الإسلام في أوله وجده مقاوماً، بل ظاهراً، وأهله غالبون وسوادهم أعظم... إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود، وقوته إلى الضعف المنتظر،

(١) الانتصار لأصحاب الحديث / السمعاني: ج ١ / ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث / السمعاني: ج ١ / ص ٤٢.

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث / أبو إسماعيل الصابوني: ١١١، أصول

الدين / ناصر القفاري: ٧٣.

(٤) انظر: درء تعارض العقل مع النقل / شيخ الإسلام ابن التيمية / ٣٠٨٢، أصول

الدين / ناصر القفاري: ٧٤.

(٥) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث / السمعاني: ج ١ / ص ٤٨.

والشاذ عنه تقوى صولته، ويكثر سواده...، فتكالت على سواد السنة البدع والأهواء...، ولينجز الله ما وعد به نبيه - ﷺ - من عود وصف الغربية إليه، فإن الغربية لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قلتهم، وذلك حين يصير المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة، فيقام على أهل السنة بالثريب والتعنيف...، ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة، فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادة وسمعا، بل لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله، غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء استدعاء إلى موافقتهم لا يزالون في جهاد ونزاع ومدافعة وقراع آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم^(١)، وسبب استمرارهم مع قلتهم إزاء اثنتين وسبعين فرقة هو فضل الله عليهم بتوفيقه لهم، ووعدده بحفظهم إلى قيام الساعة، وسبب بقاء هذه العقيدة أنها أخذت من الكتاب والسنة، لا من العقول والآراء، والمناهج الكلامية والفلسفية المختلفة التي تتغير بتغير زمن العقول التي أنتجتها ومكانها، وسبب آخر لاستمرارها هو صبر أهلها، والمذهب السلفي في عصرنا الحالي يُعد في عصره الذهبي والله الحمد والمنة^(٢)، والسلفية في المملكة العربية السعودية (هي الحركة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى هذا المذهب السلفي، وتعمل ما وسعها الجهد على نشره، والدعوة إليه

(١) الاعتصام/ أبو إسحاق الشاطبي: ١ / ٢٣. المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٢) انظر: المبحث الثاني المطلب الأول: المرحلة المعاصرة ص: ٣٤.

بمختلف الوسائل ، ولا سيما عن طريق طبع الكتب والرسائل التي ألفت في
مناصرته قديما وحديثا.
وهو يدرس في كل مراحل التعليم بالسعودية ، ولا يسمح لأي مذهب
آخر بمزاحمته^(١).

(١) الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي / محمد خليل هراس : ٢٧ ، دار الكتب ، بيروت ،
ط / بدون.

المبحث الرابع: خصائص المنهج السلفي، وفيه:

المطلب الأول: تمييز المنهج السلفي بخصائص من ناحية التلقي منها:

أولاً: الاختصار على الكتاب والسنة الصحيحة فهما المصدر: قال - عليه السلام - : (تركتم فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسوله - عليه السلام -)^(١)، وطريق السلف هو: اتباع آثار رسول الله - عليه السلام - ، باطنا وظاهراً، فهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد - عليه السلام - على هدي كل أحد^(٢)، والسلف لا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجعل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول - عليه السلام -^(٣).

يقول السمعاني (ت ٤٨٩ هـ): (سائر الفرق... طلبوا الدين لا بطريقته - عليه السلام - ؛ لأنهم رجعوا إلى معقولاتهم وخواطهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قبلهم، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ٥ / ١٣٢٣ رقم: ١٦٢٨، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم: ١٨٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ج ٣ ص ١٥٧، وأهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢ / ١٢٠ - ١٢١.

(٣) انظر: الفتاوى / ابن تيمية: ج ٣ / ١٥٩ و ٣٤٧، ٣٤٨، وأهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢ / ١٢٠ - ١٢١.

عما يصفون ، وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم ، وطلبوا الدين من قبلهما ، وما وقع لهم من معقولاتهم وخواطيرهم عرضه على الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه ، وشكروا الله - ﷻ - حيث أراهم ذلك ، ووقفهم عليه ، وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم ، وأقبلوا على الكتاب والسنة^(١).

ثانيا : تقديم النقل على العقل : وبيان ذلك : أنه إذا حصل ما يوهم التعارض بين العقل والنقل قدموا النقل ؛ عملا بقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (سورة الحجرات الآية : ١) ، فالمؤمن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعا لما جاء به الرسول - ﷺ - ، ولا يتقدم بين يديه ، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعا لقوله - ﷺ - ، فليس لأحد أن يعارض النصوص بمعقوله ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه ، نظر فيما قاله الله والرسول - ﷺ - ، فهذا أصل السنة^(٢).

ثالثا : عدم رد شيء من الكتاب والسنة الصحيحة : حرص السلف على العمل بالكتاب والسنة ، ونصروا ودافعوا عن الأحاديث الصحيحة ولم يحرفوها أو يؤولوها^(٣) ولو كانت آحادا ، بل يرون الانقياد والتسليم المطلق لها ، مستدلين بقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

(١) الانتصار لأصحاب الحديث / السمعاني / ج ١ / ص ٤٤.

(٢) انظر : الفتاوى / ابن تيمية : ج ١٣ ص ٦٠ - ٦٣ ، وأهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق ، مجلة البحوث الإسلامية : ٧٢ / ١٢٢.

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي : ٤٢٨ - ٤٣٠

ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ سورة الأحزاب، وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾. (سورة الحشر الآية ٧)، ونحوهما من الآيات التي فيها الأمر بالتسليم والانقياد للكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية : (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان : أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ، ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده ، فإنه ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول - ﷺ - جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم^(١)).

ويقول ابن القيم : (وقد كان السلف يشدد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال ، ولا يقرون على ذلك)^(٢).

رابعا : فهم نصوص الكتاب والسنة على مقتضى منهج السلف ، ورد المتشابه إلى المحكم في النصوص^(٣).

خامسا : الالتزام بما كان عليه أصحاب الرسول - ﷺ - :

(١) الفتاوى ج ١٣ ص ٢٨ ، وانظر : أهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية - (٧٢ / ١٢٤) ، .

(٢) مختصر الصواعق ص ١٤٦ ، وانظر : أهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية - (٧٢ / ١٢٥)

(٣) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ١ / ٦ ، وطبقات الحنابلة / أبو يعلى : ج ١ ص ٢٤١ ، والفتاوى / ابن تيمية ج ١٠ ص ٣٦٣ ، وأهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية : ٧٢ / ١٢٦ .

ويتميز المذهب السلفي في الأخذ بما ورد عن الصحابة - ﷺ - في القضايا الإسلامية عامة، وفي قضايا العقيدة خاصة، وتقديمها على أقوال من بعدهم؛ عملاً بوصية الرسول - ﷺ -، حيث قال: (فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسکوا بها، عضوا علیها بالنواجذ)^(١).

وعن ابن مسعود - ﷺ - قال: (من كان منکم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد - ﷺ -؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه - ﷺ -، وإقامة دينه، فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)^{(٢) (٣)}؛ ولأن الوحي نزل بين أظهرهم فهم أعلم بتأويله ممن أتى بعدهم، كما أن أذهانهم صافية مما جد من البدع الضالة، فقد كانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يفرقوا فيه، إلى جانب ما يتمتعون به من الفهم اللغوي للنصوص الشرعية؛ لذا فإن طريقتهم هي الأسلم والأعلم والأحكم^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر: ج ٢ ص ٩٧، وذم الكلام وأهله / الهروي: ٢٨٨ / ٤.

(٣) انظر: أهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ١٢٦ / ٧٢.

(٤) انظر: الرد على الجهمية / الدارمي ص ١٠٨، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١ ص ٥٥ (المدخل). أهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق، مجلة البحوث الإسلامية - (١٢٧ / ٧٢)

سادسا: عدم الاستدلال بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول العقيدة والشريعة^(١):

فما ثبت من أصول العقيدة بدليل صحيح لا ينقض بحديث ضعيف.

سابعا: الاتباع وترك الابتداع: حرص السلف على الاتباع؛ لأن الله - تعالى - بين أنه أكمل لنا الدين، فلا حاجة للزيادة على ما جاء من عنده، قال - تعالى - : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ((٣) سورة المائدة)، وقال - تعالى - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥٣)، يقول الشاطبي: (الصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو: السنة، والسبل: هي سبل أهل الاختلاف)^(٢). وقال - ﷺ -

محذرا من البدع: (إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)^(٣)، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: اتبعوا آثارنا، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم^(٤)؛ ولذا نهى السلف عن مناظرة أهل البدع إلا لضرورة من عالم لا يخشى عليه أن تنطلي عليه تلك الآراء المنحرفة^(٥).

(١) انظر: خصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٨٧

(٢) الاعتصام / الشاطبي: ج ١ ص ٧٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه المروزي في السنة: ١ / ٢٨، رقم: ٢٩٤.

(٥) انظر: الشريعة / الآجري: ٥٦، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج ١ ص ٥٦، وأهل

السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢ / ١٢٩،

وخصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٦٣.

ثامنا: موافقة النقل الصحيح للعقل الصريح: السلف يحترمون العقل، فهو له وظائف كثيرة، لكن في مجاله، لا في أصول الدين والمغيبات؛ مع العلم أن صحيح المعقول يتفق حتما مع صريح المنقول، وقد ألف شيخ الإسلام مؤلفا سماه "درء تعارض العقل والنقل"، وبسبب الاتباع، وعدم البحث في المغيبات وهب الله - تعالى - السلف كثرة العلم، قال - تعالى - : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢]، ويقول شيخ الإسلام: (إنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال...) (١).

تاسعا: الحرص على تلقي العقيدة الصحيحة من منابعها الصحيحة والعمل بها (٢).

المطلب الثاني: تمييز منهج السلف بخصائص من ناحية الاسم منها:

أولا: عدم الانتساب إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين: ليس للسلف لقب يعرفون به، ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثثة وأربابها إلا السلف (٣)، أو الأسماء التي جاء ذكرها بالسنة كأوصاف لهم، وهي (الناجية، والمنصورة، وأهل الحديث، أهل السنة والجماعة، والغرباء، والسواد الأعظم) (٤).

-
- (١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ٤ / ٤٣، وانظر: خصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٨٧.
 (٢) انظر: كتاب اعتقاد أهل السنة / الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: ٣١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث / أبو إسماعيل الصابوني: ٣ - ٤، وأعلام السنة المنشورة / الحكمي: ٧٧، وشرح العقيدة الواسطية / الشيخ صالح الفوزان: ١١.
 (٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي: ٤٣٠.
 (٤) انظر: المصدر السابق: ٤٢٨.

ثانياً: عدم وجود طريقة معينة لأشخاص يدعون إليها:

فالسلف لا يوجد لديهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول، قال شيخ الإسلام: (وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي - ﷺ -، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يعادون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام ويعادون)^(١)، والسلف يعرضون أقوال الناس على السنة، فما وافقها قبلوه، وما خالفها طرحوه^(٢).

المطلب الثالث: تمييز منهج السلف بخصائص من ناحية الأخلاق والمعاملة منها:

أولاً: العصمة من الله لأهله من تكفير بعضهم بعضاً والتسرع في إطلاق الأحكام^(٣):

فهم لا يتسرعون في إطلاق الأحكام على المسلمين من التكفير والتفسيق وغيرها، ولا يقدمون عليها إلا بضوابط وشروط.

ثانياً: الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: كل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال؛ لأن لديهم معرفة الحق ورحمة الخلق^(٤).

(١) مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ٢٠ / ١٦٤.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي: ٤٢٨ - ٤٣٢.

(٣) انظر: الإيمان بالله / محمد إبراهيم الحمد: (٧/ ١٣)، وخصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٧٧.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي: ٤٣١، الإيمان بالله / محمد إبراهيم الحمد:

ثالثا: العدل: فالسلف من أعدل الناس، وأولاهم بامتنال قول الله - ﷻ - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥). وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام: ١٥٢). حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة^(١).

رابعا: الاعتقاد بأن الدين والإيمان قول وعمل:

مع ذلك لا يكفر السلف أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، ولا يؤصلون أصولاً ويحكمون الخصوم إليها، والحكم على من خالفها بالتفسيق والتفكير^(٢).

خامسا: الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم: والمراد بذلك الحرص على الحق وأهله، والبعد عن الفرقة والخلاف، سواء في أمر الدين والدنيا؛ امتثالا لقوله - تعالى - : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٣)، وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٥). وقوله - ﷻ - : (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة)^(٣)، يقول الإمام الطحاوي: (ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا)^(٤).

(١) انظر الإيمان بالله / محمد بن إبراهيم الحمد: ١١ / ٧.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي: ٤٣٢، وخصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٦٦..

(٣) أخرجه أحمد: ١ / ٢٦ وابن أبي عاصم في السنة: ج ١ / ص ٤٢، وصححه أحمد شاكر في المسند: ٩٨ / ١.

(٤) انظر: شرح الطحاوية ص ٥٧٧، انظر: أهل السنة والجماعة / عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية: ٧٢ / ١٣٢ - ١٣٣.

سادسا: الاهتمام بالأمانة العلمية: وكتب السلف خير دليل على ذلك، ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم: الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير وقلب الحقائق وبتر النصوص وتحريفها، كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله^(١).

المطلب الرابع: تمييز منهج السلف بخصائص من ناحية العقيدة، منها:

أولاً: أنها حق؛ لأنها مأخوذة من الكتاب والسنة:

ثانيا: الوسطية: فكما جعل دين الإسلام وسطا بين الديانات، فقال - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). فكذا جعل عقيدة السلف وسطا بين الفرق في أسماء الله وصفاته، وسطا في أصحاب رسول الله، وسطا كذلك في باب الإيمان، وفي باب القضاء والقدر^(٢).

ثالثا: وحدة أصول الاعتقاد: فجميع السلف متفقون على أصول واحدة لا تختلف، منها إمرار آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، ولا تأويل وغيرها من أصول العقيدة^(٣).

رابعا: النهي عن الجدل والمراء والخصومات في الدين والخوض في المسائل الاعتقادية: لأنها أمور غيبية؛ وتوقيفية لا مجال للعقل فيها^(٤)، قال - تعالى - : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ

(١) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ١١ / ٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى/ ابن تيمية: ٣ / ٣٧٣ - ٣٧٥، والعقيدة الواسطية/ محمد خليل هراس: ١٢٥ - ١٣٢.

(٣) انظر: خصائص أهل السنة/ أحمد فريد: ٨٧.

(٤) انظر: فضل علم السلف على الخلف/ ابن رجب: ٢٢ / ٢٦.

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ (سورة الأعراف الآية ٣٣)، وقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء ٣٦).

و(سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: اللَّهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ^(١))، وقال الإمام الطحاوي: (ولا نخوض في الله...، ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه...) ^(٢)، فالسلف الصالح ينكرون الجدل والمراء في الدين، والخصومة في القدر، ويمنعون الاشتغال بالمنطق^(٣)، ومن هؤلاء السلف الأئمة الأربعة يقول الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - : (لعن الله عمرو بن عبيد؛ فإنه فتح للناس الطرق إلى الكلام فيما لا يعنيههم)^(٤)، ويقول الإمام مالك - رحمه الله - : (الكلام أكرهه...، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل)^(٥)، أما الإمام الشافعي - رحمه الله - فقد قال: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام)^(٦)، وقال الإمام أحمد - رحمه الله - بأنه (لا يفلح صاحب كلام أبدا)^(٧).

(١) أخرجه البخاري: ١ / ٤٦٥.

(٢) العقيدة الطحاوية: ٩٨، وانظر: عقيدة الفرقة الناجية ص ١٠١-١٠٧.

(٣) انظر: الرد على الجهمية / الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩، وفضل علم السلف على

الخلف / ابن رجب: ٢٢ / ٢٦، وكتب ليست من الإسلام / الإستانبولي: ١١٢.

(٤) الرد على الجهمية / الإمام أحمد بن حنبل: ٢٩.

(٥) المصدر السابق: ٢٨.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ابن أبي العز الحنفي: ٢، وانظر: تحريم النظر في كتب

الكلام / ابن قدامة: ٤١.

(٧) تلبس إبليس / ابن الجوزي: ٧٥، تحريم النظر في كتب الكلام / ابن قدامة: ٤١، صون

المنطق: السيوطي ٢٢٨، وانظر: الرد على من يقول الم حرف / الحافظ ابن منده الأصبهاني:

خامسا: الوضع: فعقيدة السلف سهلة ميسرة حتى للعوام ؛ لأنها من الكتاب والسنة، والقرآن ميسر، قال - تعالى - ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ((سورة القمر)).

سادسا: أن المعادة والموالاته عندهم على أساس الدين^(١).

سابعا: سلامة قلوب السلف وألسنتهم لأصحاب الرسول الله - ﷺ^(٢).

ثامنا: العموم والشمول: فهي شاملة وصالحة لكل زمان ومكان وحال وأمة^(٣).

تاسعا: الثبات والاستقرار والاستمرار أمام طعنات الفرق والديانات^(٤).

عاشرا: حماية أصحابها من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فالسلف أكثر الناس تسليما، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض^(٥)، يقول ابن أبي العز: (كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص، ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم في كتابه تهافت التهافت، ومن الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به، وكذلك الآمدي (ت ٦٣١هـ) أفضل أهل زمانه، واقف في

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة / الموصلي: ٤٣٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ٣ / ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) انظر: مباحث في العقيدة / ناصر العقل: ١ / ٢٧ - ٢٨.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) الإيمان بالله / محمد إبراهيم الحمد: ٧ / ٥.

المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي - رحمه الله - (ت: ٥٠٥ هـ) انتهى آخر أمره إلى التوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرسول - ﷺ - فمات والبخاري على صدره، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت ٥٤٤ هـ) الذي قال: (نهاية إقدام العقول عقال، وغاية سعي العالمين ضلال) ^(١).

الحادي عشر: تحقيق الحياة الكريمة والأمن لأصحابها: قال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) سورة الأنعام ^(٢).

الثاني عشر: مضاعفة الحسنات، ورفع الدرجات لأتباعها: لأن أساسها وأصلها صحة العقيدة، وقوة الإيمان ^(٣).

المطلب الخامس: يتميز منهج السلف بخصائص من ناحية العمل والعبادة، منها:

أولاً: العمل بالسنة: فالسلف إذا صحت لهم السنة عن رسول الله - ﷺ - عملوا بها، ولم يتوقفوا عن العمل بها واعتقادها ^(٤).

ثانياً: الاهتمام بالغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها: وهي إقامة العباد على منهج العبودية الحققة لله رب العالمين؛ ذلك أنها أول دعوة الرسل، وأول مقام يقوم به السالك إلى الله؛ ولأجلها خلق البشر، وأنزلت

(١) شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز: ج ١ / ص ٢٢٧.

(٢) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ١٤ / ٧.

(٣) انظر: الإيمان بالله/ محمد إبراهيم الحمد: ١٥ / ٧.

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة/ الموصلي: ٤٢٩.

الكتب، وبعث الرسل، قال - تعالى - ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات الآية ٥٦) وقال - تعالى - ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٥٩)، وقال - تعالى - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٢٥) وقال - تعالى - ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (سورة النحل الآية ٣٦)^(١)، ومن ذلك: المحافظة على الجمع والأعياد والجماعات^(٢)، وأيضاً صبر السلف على أقوالهم ومعتقداتهم^(٣)، وتورعهم في الفتوى^(٤).

(١) انظر: أهل السنة والجماعة/ عواد بن عبد الله المعتق مجلة البحوث الإسلامية (٧٢ / ١٢٨)

(٢) انظر خصائص أهل السنة / أحمد فريد: ٦٣ - ٨٧.

(٣) انظر المصدر السابق: ٦٣ - ٨٧.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٨٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، أما بعد :

أولاً : النتائج :

١ - أن نشأة مذهب السلف كانت مع بداية الإسلام ؛ لأنه هو الدين الحق الذي لم ينحرف ؛ لأن المقصود بهذا الاسم هم الصحابة وتابعوهم ومن سار على دربهم.

٢ - أن مصطلح السلف نشأ في القرن الثاني بعد ظهور الفرق وانتشارها واستثرائها.

٤ - أن منهج السلف مر بمراحل ، منها مراحل القوة والضعف في مسيرته الميمونة ، وكذلك تدوينه أيضاً مر بمراحل متميزة.

٣ - أن مذهب السلف مستمر إلى قيام الساعة ؛ لورود الأحاديث التي تفيد بذلك.

٥ - أن منهج السلف تميز بخصائص عديدة من ناحية : التلقي ، والاسم ، والأخلاق ، والمعاملة ، والعقيدة ، ومن ناحية العمل والعبادة.

ثانياً : التوصيات :

أن مذهب السلف لا يختص بمذهب فقهي معين كمذهب الحنابلة ، بل يشمل جميع المذاهب الفقهية والمجتهدين ، فالسلفيون عقيدتهم واحدة ، وإن اختلفت مشاربهم الفقهية ؛ لذا فعلى طلبة العلم التركيز ببيان ذلك وإظهاره ونشره في مناطق انتشار المذاهب الفقهية كل على حسب ، فهناك مناطق ينتشر فيها المذهب الحنفي ، وهناك مناطق ينتشر فيها المذهب المالكي وهكذا ؛ ليكون أرحى لقبوله عن طرق :

أ- تأليف المؤلفات لإبراز جهود علماء كل مذهب في نصرة المذهب السلفي.

ب- تحقيق كتب العلماء السلفيين من كل مذهب ، وبالذات من غير علماء الحنابلة ونشرها في بلادهم.
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثبت المراجع

- /http:// www. binbaz. org. sa :
- http:// ar. wikipedia. org/ wiki/ %D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%AV%D9%85
- http:// ar. wikipedia. org/ wiki/ %D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%AV%D9%84%D9%88%D9%87%D8%AV%D8%A8□cite_ref□v
- http:// www. alalbany. net
- http:// www. ibnothaimeen. com/ index. shtml
- http:// www. islamselect. com/ mat/ ٣١٢٣٥
- http:// www. kwtanweer. com/ articles/ articleforprint. phparticleID=.www. ahlalheeth. com/ vb/ attachment. php?attachmentid=٧٥٩٤&d
- الآثار المروية في صفة المعية / محمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف ، الرياض ، ط / ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
 - الإبانة / علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن ، دار الأنصار - القاهرة.
 - الإبانة الكبرى / ابن بطة العكبري : ، ت : رضا معطي ، ط / ٢ ، - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، دار الراية ، الرياض.
 - إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة / حمود بن عبد الله التويجري ، دار الصميعي ، الرياض ، ١٤١٤ هـ.
 - أثر الدعوة السلفية في توحيد المملكة العربية السعودية / حمود بن أحمد الرحيلي ، مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٢٤ هـ.
 - الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث / الدكتور خالد كبير علال ، دار مالك ، الجزائر ، ط / ١ ، ٢٠٠٥.
 - أصول الدين / الرازي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط / بدون.
 - أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة / ناصر القفاري ، دار الوطن ، ط / ١ ، ١٤١٤ هـ.
 - أصول الدين عند أبي حنيفة / محمد الخميس ، دار الصميعي ، الرياض ، ط / ١ ، ١٤١٦ هـ.
 - أصول السنة / الإمام أحمد بن حنبل ، ط / ١ ، ١٤١١ هـ ، دار المنار ، الخرج ، السعودية.

- أعضاء البيان/ محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ت: مكتب البحوث والدراسات.
- الاعتصام/ أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ محمد بن عمر الرازي أبو عبد الله.
- الأعلام/ الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- إعلام الموقعين/ ابن القيم، ط/ ١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١٩٧٣م، دار الجليل، بيروت.
- افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، دار العاصمة، الرياض، ط/ ١، ١٤١٥هـ، تحقيق: سعد بن عبد الله بن سعد السعدان.
- أفاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات/ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١، ١٤٠٦هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم/ ابن تيمية، ط ٢، ١٣٦٩هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الأم/ الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣، الطبعة: الثانية.
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل/ محمد السيد الجليلند، ط/ ٥، ٢٠٠٠م دار قباء للطباعة، القاهرة.
- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة/ عبد الله التركي، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤١٨هـ.
- الإمام محمد بن سعود وجهوده في تأسيس الدولة السعودية الأولى/ عبد الرحمن العريني.
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/ السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط/ بدون.
- إنباء الغمر بأبناء العمر/ شهاب الدين أبو الفضل أحمد حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ط/ ٢.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين المفطحي، ت: أبو الفضل، ط/ ١٣٧٤هـ- ١٩٩٥م، مطبعة دار الكتب المصرية.
- الانتصار لأصحاب الحديث، منصور السمعاني أبو المظفر، مكتبة أعضاء المنار - السعودية - ١٤١٧هـ، ط/ ١، ت: محمد الجيزاني.

- الأنساب / الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، مركز الخدمات والأبحاث.
- الإنصاف / الباقلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط / بدون.
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل / محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار السلام، ط / ١، ١٩٩٠.
- الإيمان / أبو عبيد القاسم بن سلام :، دار البيان، الكويت.
- باعث النهضة الإسلامية - محمد خليل هراس، ط / ٢ - ١٤٠٥هـ - مكتبة الصحابة - طنطا.
- بحر الكلام في علم التوحيد / أبو المعين النسفي، مكتبة الخوجي، مصر، ١٩٥٠هـ.
- البدء والتاريخ / المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- البداية والنهاية / ابن كثير، ط / بدون، دار الفكر، بيروت.
- البدر الطالع / محمد علي الشوكاني، ط / بدون، دار المعرفة بيروت مطبعة السعادة، مصر ١٣٤٨هـ.
- البدع والنهي عنها / ابن وضاح، ت: محمد أحمد دهمان، دار الصفا، القاهرة، ط / ١، ١٤١١هـ.
- بغية الوعاة / السيوطي. المكتبة العصرية، ط / بدون.
- تاريخ ابن خلدون / عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- بيان تلبيس الجهمية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة، ط / بدون.
- تاريخ الإسلام / شمس الدين محمد بن أحمد بن الذهبي، دار الكتاب العربي - لبنان / بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط / ١، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.
- تاريخ بغداد / أبو بكر البغدادي، ط / بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ تدوين العقيدة السلفية / عبد السلام برجس، دار الصميعي، ط / ٢، ١٤٢٨هـ.
- تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠، ط / ١، ١٤٠٧هـ - ٢٠٠٦م - بيروت، دار الكتب العلمية.
- التاريخ الكبير / محمد بن إسماعيل البخاري، ط / بدون، تحقيق: السيد الندوي، دار الفكر.

- تاريخ نجد / ابن غنام، مطبعة المدني، ط القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.
- تأويلات أهل السنة / أبو منصور الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٥ م.
- تأويل مختلف الحديث / عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، ط / بدون، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢ م - دار الجليل - بيروت.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين / أبو المظفر الإسفرائيني، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط / ١، بيروت، عالم الكتب.
- تحرير المقالة من شرح الرسالة / أحمد القلشاني، مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- تحفة الأحمدي / المباركفوري، ط / بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التحفة العراقية / ابن تيمية، ط ٧، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دار القلم، بيروت.
- التحفة المهدية / فالخ بن مهدي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٤ م.
- تذكرة الحفاظ - الذهبي، ط / بدون - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تذكرة الحفاظ / محمد بن طاهر بن القيسراني، ت: حمدي السلفي، ط / ١، ١٤١٥ هـ، دار الصميعة، الرياض.
- التعريفات / علي الجرجاني، ، ت: الأبياري، ط / ١، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- التعليق على مسائل الجاهلية / محمد بن عبد الوهاب / محمود شكري الآلوسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٦.
- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير، ط / ١٤٠١ هـ، دار الفكر، بيروت.
- التفسير القيم / للإمام ابن القيم، جمع أويس الندوي، ت: محمد الفقي، ط / بدون، مكتبة السنة، مصر.
- تليس إبليس / ابن الجوزي، ، ط / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الجليل، بيروت.
- التمهيد / ابن عبد البر، ، ط / ١٣٨٧ هـ، وزارة عموم الأوقاف، المغرب.
- التنبيه والرد / أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي، تحقيق: الكوثري، ط / بدون، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، مكتبة المثنى - بغداد.
- تهذيب الأسماء / أبو زكريا النووي، ، ط / ١، ١٩٩٦ م، دار الفكر، بيروت.
- تهذيب التهذيب / ابن حجر، ط / ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، دار الفكر - بيروت.

- تهذيب الكمال / يوسف بن الزكي المزي، ط / ١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، مؤسسة الرسالة.
- التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، ط : ١، سنة ١٤١٠هـ، بيروت، دمشق.
- تيسير العزيز / سليمان بن عبد الله، ط / ٢، ط / بدون، ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الثمر الداني شرح رسالة القيرواني / صالح عبد السميع الآبي الأزهرى المالكي المكتبة الثقافية - بيروت.
- جامع البيان / الطبري، محمد بن جرير، ط / بدون، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- جامع بيان العلم / ابن عبد البر، ط / بدون، دار الفكر، بيروت.
- الجامع الصحيح / الترمذي أبو عيسى، ط / بدون، إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح / محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمد عبد الباقي، ط / بدون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- جامع العلوم والحكم / ابن رجب، ط / ١، ١٤٠٨هـ - دار المعرفة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن / القرطبي: القاهرة، ط / ٢، ١٣٧٢هـ، دار الشعب.
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني دار الصميعي، ط / ١ - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- الجواهر المضئية في طبقات الحنفية / ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ت : عبد الفتاح الحلو، ط / ٢، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.
- حاشية إعانة الطالبين / أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي، دار الفكر، بيروت، ط / بدون، ١٩٩٧ م.
- حاشية البجيرمي / سليمان بن محمد البجيرمي، دار الفكر، بيروت، ط / بدون، ١٩٩٨ م.
- حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب / سليمان بن عمر الجمل، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ١٩٩٦ م.
- حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرّة العين بمهمات الدين / لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري، دار الفكر، بيروت، ط / بدون.

- الحجة في بيان المحجة / أبو القاسم إسماعيل ابن محمد التيمي الأصبهاني، الراية.
- الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي / محمد خليل هراس، دار الكتب، بيروت، ط / بدون.
- حلية الأولياء / أبو نعيم الأصفهاني / ط / ٥ - دار الكتاب العربي - دار الريان للتراث - بيروت.
- خصائص أهل السنة / أحمد فريد، مؤسسة قرطبة، ط / بدون.
- الخطط / المقرئزي: ٢ / ٣٥٧ - ٣٥٩، مصورة مطبعة بولاق.
- درء التعارض / ابن تيمية، ت: محمد رشاد، ط / ٣، ١٣٩١هـ، دار الكنوز الأدبية الرياض، وجامعة الإمام محمد بن سعود.
- الدرر السنية في الكتب النجدية / لمجموعة من علماء نجد، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط / ٦، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- الدر المنثور / عبد الرحمن جلال الدين السيوطي / ط / بدون - ١٩٩٣ - دار الفكر - بيروت.
- الدرر الكامنة / الحافظ ابن حجر، تحقيق: سيد جاد الحق، ط / بدون - دار الكتب الحديثة - مصر.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف.
- الدعوة السلفية / محمود عبد الحميد العسقلاني، الناشر: الموقع الرسمي الدكتور. محمد بن إسماعيل المقدم، بالتعاون مع شبكة صيد الفوائد: www.m-ismail.com. www.saaaid.net
- الدين الخالص / محمد صديق خان، تحقيق: محمد النجار، ط / بدون، دار التراث، القاهرة.
- ذم الكلام وأهله / أبو إسماعيل عبد الله الهروي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ١٤١٨هـ.
- ذيل تذكرة الحفاظ / أبو المحاسن الحسيني، ط / بدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرد على الجهمية / أبو سعيد عثمان الدارمي، دار ابن الأثير، الكويت، ط / ٢، ١٤١٦هـ.

- الرد على الرافضة / محمد بن عبد الوهاب علق عليها محمد مال الله ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- الرد على من يقول الم حرف / الحافظ أبو القاسم ابن منده الأصبهاني ، دار العاصمة ، الرياض ، ط / ١ ، ١٤٠٩ هـ.
- الرسالة / للإمام الشافعي : ، ط / بدون ، دار الفكر ، بيروت.
- الرسالة المستطرفة / محمد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٦ م.
- روح المعاني / محمود الألوسي : ط / بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم / الوزير اليماني ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ط / بدون.
- روضة الأفكار (تاريخ نجد) / حسين بن غثام ، دار الشروق ، ط / ٤ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- زاد المسير / ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن أحمد ، ط / ٣ ، المكتب الإسلامي - ١٤٠٤ هـ.
- سبل السلام / محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : محمد الخولي ، ط ٤ ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ.
- السحب الوابلة / محمد بن حميد ، ط / بدون ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - مكتب الإمام أحمد - مكة.
- السلسلة الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف - الطبعة : الأولى.
- السنة / عمرو بن أبي عاصم الضحاك ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : الأولى ، سنة النشر / ١٤٠٠ هـ.
- السنة / المروزي ، ودار العاصمة ؛ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- السنن / محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد عبد الباقي ، ط / بدون ، دار الفكر - بيروت.
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين ، ط / بدون ، دار الفكر بيروت.
- سنن الدارقطني علي بن عمر ، ط / ١٣٨٦ هـ ، دار المعرفة بيروت.

- سنن الدارمي/ عبد الله الدارمي، ت: فوزي زملي، ط/ ٧، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب النسائي، ت: البنداري، ط/ ١/ بدون، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السنن الكبرى/ البيهقي، ط/ ١٤١٤ - ١٩٩٤ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.
- سير أعلام النبلاء/ الذهبي: تحقيق: شعيب الأرنؤوط - ط/ ٩ - ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت، ج، ٦- ١٤١٩هـ.
- شذرات الذهب/ (ابن العماد ط/ بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ بدون، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة/ هبة الله اللالكاني، ط/ ١٤٠٢هـ، دار طيبة الرياض.
- شرح السنة: / الحسن بن علي البربهاري، دار ابن القيم، الدمام، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز، ت: بشير عيون، ط/ ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت.
- شرح العقيدة الطحاوية/ عبد الغني الميداني الغنيمي، دار الفكر، دمشق، ط/ ٢، ١٤٠٢هـ.
- شرح قصيدة ابن القيم (توضيح المقاصد) / أحمد ابن عيسى، ت: زهير شاويش ط/ ٣، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي.
- شرح النووي على صحيح مسلم/ أبو زكريا يحيى النووي، ط/ ٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.
- شرف أصحاب الحديث/ الخطيب البغدادي، المكتب الإسلامي للنشر، ١٩٩٦م.
- الشريعة/ الآجري، دار الوطن، الرياض، ط/ ١، ١٤١٨هـ.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، ط/ ٢، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن ماجه/ الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح أبي داود/ الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح الجامع الصغير/ الألباني، المكتب الإسلامي.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث.
- صفة الصفوة/ ابن الجوزي ت: ٥٩٧هـ، ٢ / ٨١، ط / ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المعرفة، بيروت.
- الصفدية/ ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ..
- صون المنطق / السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / السخاوي، ط بدون، دار مكتبة الحياة الأعلام.
- الضياء الشارق/ سليمان بن سحمان، ودراسة، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط / ٥، ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م ٩٩٩.
- طبقات الحفاظ/ أبو بكر السيوطي: ، ط / ١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الحنابلة/ أبو الحسين ابن أبي يعلى: ٢ / ٢٣٩، دار المعرفة - بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ تقي الدين بن عبد القادر الغزي: ١ / ١٧٦.
- طبقات الشافعية الكبرى/ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، ط / ٢.
- الطبقات الكبرى/ ابن سعد: ٥ / ٤٤٢، ط / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- العقائد السلفية لأحمد بن حجر آل بوطامي قاضي الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/ محمد بن أحمد بن قدامة: ج ١ / ص ٣٤٦، دار الكاتب العربي - بيروت.
- العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة/ الدكتور/ محمود أحمد الخفاجي، طبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- العقيدة الحموية، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث/ أبو إسماعيل الصابوني، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية.
- العقيدة الطحاوية/ الطحاوي، مكتبة ابن تيمية والقاهرة، ط / ٢، ١٤١٥هـ.
- العقيدة الواسطية/ ابن تيمية: ، ط / ٢، ١٤١٢هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض.
- عنوان المجد في تاريخ نجد/ ابن بشر: ١ / ١١ - ١٢، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض.
- عون المعبود/ أبو الطيب آبادي: ٩ / ٣٦٢، ط / ٢، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.

- غريب القرآن/ أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران.
- الفتاوى الكبرى، ط / ١، ١٣٨٦هـ، دار المعرفة، بيروت.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية توى رقم: ١٣٦١ جزء: ٣٤ صفحة: ٩٣.
- فتح الباري/ ابن حجر، ط / ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.
- الفردوس الديلمي، ط / ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٦م.
- فضل علم السلف على الخلف/ ابن رجب: ٢٢ / ٢٦.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ محمد اللكنوي، مطبعة السعادة: ١٣٢٩هـ..
- فوات الوفيات/ محمد بن شاکر الکتبي - تحقيق: إحسان عباس، ط / بدون - دار صادر - بيروت.
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر/ محمد صديق، ط / ١، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ..
- قواعد الفقه / محمد عميم الإحسان المجدي البرکتی، الصدف بيلشرز، کراتشي، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.
- قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي/ مصطفى حلمي: مقدمته كتابه الثالثة، دار الدعوة، الإسكندرية، ط / ، ١٩٩٦
- الكامل في التاريخ/ ابن الأثير: ، ط / ١٣٨٦هـ- دار صادر. بيروت.
- كبرى اليقينيّات الكونية/ محمد رمضان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ط / بدون، مكتبة ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم.
- كشف الخفاء/ العجلوني تحقيق أحمد الفلاشي، ط / بدون، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- كنز العمال/ تقي الدين الهندي، ط / بدون، مكتبة التراث الإسلامي، وحيدرآباد.
- لسان العرب/ ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط / ١، سنة النشر بدون.
- لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقيدة أهل الفرقة المرضية.
- المجتبى / أحمد النسائي، ط / ٢، ١٤٠٦هـ، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.

- مجلة البحوث الإسلامية - العدد الرابع والثلاثون - الإصدار: من رجب إلى شوال لسنة ١٤١٢هـ - الفتاوى.
- مجمع الزوائد / علي بن أبي بكر الجثمي، دار الريان، للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧، ط بدون.
- مجموع الفتاوى / ابن تيمية، ط / بدون، ١٤٠٤هـ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، مكة.
- مختار الصحاح / الرازي، ط / جديدة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت.
- مختصر لوامع الأنوار البهية / محمد بن علي بن سلوم: ١٥، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
- مرآة الجنان / أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ.
- المستدرک / الحاكم: ط / ٧، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.
- المسند / أبو يعلى: تحقيق: حسين أسد، ط / ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث دمشق.
- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، ط / بدون، سنة النشر بدون.
- مسند البزار، أبو بكر البزار، ط / ١، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١٤٠٩هـ.
- المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية / عبد الرحمن المغراوي: ١٣ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. الراية للنشر والتوزيع.
- المصنف / أبو بكر ابن أبي شيبة الكوفي ط / ١، ١٤١٩هـ - مكتبة الرشد - الرياض.
- معارج القبول / أحمد بن حافظ الحكمي، ط ١، ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.
- معالم الانطلاقة الكبرى / محمد عبد الهادي المصري: ٤٩، دار الإعلام الدولي، ط / ٤، ١٩٩٢.
- معالم التنزيل / الحسين بن مسعود البغوي، ت: خالد العك، ط / ٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٧٨م.
- المعتزلة / محمد العبد، وطارق عبد الحليم، ط / ١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - دار الأرقم - برمنجهام.
- المعجم الأوسط الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، ط / ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة.

- معجم البلدان / ياقوت الحموي : ، ط / بدون ، دار الفكر ، بيروت.
- المعجم الصغير / أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت : طارق بن عوض الله ، : ط / ١٤١٥ هـ ، دار الحرمين ، القاهرة.
- المعجم الكبير / الطبراني ، ط / ٢ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل.
- معجم المؤلفين ، رضا كحالة : ، ط / بدون ، دار إحياء التراث بيروت.
- الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، أحمد بن يحيى العيني ، ط / ١٩٦٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط / ١ ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الملل والنحل / أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق الكيلاني ، دار المعرفة - بيروت.
- مناقب الشافعي / أبو بكر بن الحسين البيهقي ، ط / ١ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، دار التراث.
- مناهج أهل الأهواء / ناصر العقل : ٩ ، دار الوطن ، ط / ١ ، ١٤١٥ هـ.
- منهاج السنة النبوية / ابن تيمية ، ط / ١ ، ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة قرطبة. مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض.
- المنهل الصفي / جمال الدين الأتابكي : ١ / ٣٣٦ ، ١٣٥٧ دار الكتب المصرية ، القاهرة.
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء / إبراهيم الرحيلي ، مكتبة الغرباء ، المدينة المنورة ، ط / ١ ، ١٤١٥ هـ.
- النجوم الزاهرة / جمال الدين الأتابكي ، ط / بدون ، مصورة عن طبعة دار الكتب ، مصر.
- نقض أصول العقلانيين / خالد كبير علال ، الجزائر ، دار المحتسب ، ط / ١ ، ٢٠٠٨ م.
- النونية / الإمام ابن القيم ، ط / ١٣٤٥ هـ ، دار المعرفة ، بيروت.
- وسطية أهل السنة / باعبد الله ، ط / ١ ، ١٤١٥ هـ ، دار الراية.
- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار / صديق بن حسن القنوجي : ٢٠٤ ، مكتبة عاطف - القاهرة ، ط / ١ ، ١٣٩٨ ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا.



خصائص أصحاب المنهج السلفي

إعداد

الدكتور/ محمود عبد الهادي دسوقي علي

السلفية

السلفية

ما كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وأعيان التابعين لهم بإحسان ، وأتباعهم ، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة ، وعُرفَ عِظَمُ شأنه في الدين ، وتلقى الناسُ كلامهم خلفاً عن سلف ، دون من رُمي ببدعة ، أو شُهر بلقب غير مُرضٍ.

فهم أهل السنة والجماعة ، وهم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، الذين يتمسكون بكتاب الله ، وسنة رسوله - ﷺ - على فهم السلف الصالح. قال - تعالى - : "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْآخِرُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"^(١).

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : "من كان مستنّاً فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد - ﷺ - كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه - ﷺ - ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد - ﷺ - كانوا على الهدى المستقيم"^(٢).

١- سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

٢ - حلية الأولياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، (١/ ٣٠٥ - ٣٠٦) دار الكتاب العربي ، ط الرابعة / ١٤٠٥ هـ.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ^(١) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ^(٢) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ^(٣).

ابتليت الأمة الإسلامية بأصناف ينتسبون إليها، منهم من يأخذ جانباً منه، فيشدد على نفسه وعلى غيره، ومنهم من ينحى منحى آخر، فيفرط ويقصر ويضيع، وكلاهما ينسب نفسه وعمله إلى السلفية، وهي منهم ومن أعمالهم براء، فمنهج السلفية ليس هذا ولا ذاك، إنما منهجها منهج الإسلام الذي هو دين الله، وقد رسم الإسلام لأتباعه المنهج السديد الذي بينه ربنا في كتابه، وبلغه نبينا - ﷺ - لأمته، وطبقه في واقع حياته وحياة أصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

ومن رحمة الله بخلقه أنه أنزل الكتب، وأرسل الرسل، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتدعوهم لما يحييهم، وتهديهم للتي هي أقوم بما يتفق ويتلاءم مع الفطر السليمة، ولا يشق على الخلق، قال - تعالى - : "وَمَا

١- سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

٢- سورة النساء آية: ١.

٣- سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"^(١)، وقال - سبحانه - : "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ"^(٢). والإسلام أنزله الله شاملاً كاملاً لجميع مصالح
الدنيا والآخرة، وحث القرآن على تحقيق التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة،
قال - تعالى - : "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ
الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ"^(٣).

ولقد حفظ الله الدين، فقيض له في كل زمان ومكان من يحمل هممه،
ويدافع عنه، ويبين محاسنه، وممن قيضهم الله لهذا الدين طائفة من الناس
عاشت بالإسلام وللإسلام، وسارت على خطا الحبيب، وضحت بكل غال
ونفيس من أجل نصرة هذا الدين.

ولقد تميزت هذه الطائفة بخصائص جعلتها في الصدارة، ومن الأهمية
بمكان أن تظهر هذه الخصائص؛ لتتجلى واضحة؛ ليحيا من حي عن بينة،
ويهلك من هلك عن بينة.

١- سورة الحج، جزء الآية: ٧٨.

٢- سورة البقرة، جزء الآية: ١٨٥.

٣- سورة القصص، الآية: ٧٧.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي :

- ١ - التعريف بالخصائص.
- ٢ - التعريف بالسلفية في اللغة.
- ٣ - السلفية في الاصطلاح.
- ٤ - السلفيون ووجوب السير على طريقتهن.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي :

١ - التعريف بالخصائص

الخصائص جمع خَصِيصَة، وهي : "الصفة التي تميز الشيء وتحدده"^(١)، "وما تفرد به الشيء من مزايا تحدد معاملة، وتميزه عن كل ما سواه، وتفضله على غيره بما لا يشاركه فيه"^(٢)، وأعني بخصائص المنهج السلفي، ما تفرد به من سمات ومميزات لم يشاركه فيها غيره.

٢ - التعريف بالسلفية في اللغة :

السلفية مشتقة من السلف، والسلف في اللغة : يدل على من تقدم وسبق ومضى^(٣)، فهي تدور في أغلب استعمالاتها المتعددة في اللغة العربية حول الدلالة على التقدم والمضي والسبق الزمني، وكل من تقدّم العبد من الآباء، والقراية، والعمل الصالح. ف"سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آباءه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح"^(٤)، ومنه

١ - المعجم الوسيط (١/٢٣٨). قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد

عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ط الأولى/١٩٦٠م.

٢ - خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، د/ أحمد عبد الهادي شاهين، ص

٩، ط الأولى / ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.

٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، (٣/٩٥)، تحقيق: عبد السلام محمد

هارون، الناشر: دار الفكر، ط / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير (٢/٣٩٠)، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط الأولى / ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م.

قوله - تعالى - : "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ"^(١)، وقوله: "فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"^(٢)، وقوله - تعالى - : "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ"^(٣)، وقد وردت كلمة "سلف" في كتاب الله - ﷻ - في ثمانية مواضع^(٤)، كلها بمعنى التقدم والسبق الزمني.

٣- المراد بالسلفية في الاصطلاح:

تدور التعاريف الاصطلاحية على أن المراد بالسلفيين: أتباع طريقة السلف الصالح من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين لهم. ولهذا فقد عرفت السلفية بأنها: "ما كان عليه الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعُرفَ عِظَمُ شأنه في الدين، وتلقى الناسُ كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شُهر بقلب غير مُرضٍ"^(٥).

فلفظ السلف أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على رعيال الصحابة ومن يقتدون بهم في طريقتهم، والمراد بالسلفيين أو السلف الصالح: جميع

١- سورة الزخرف، آية: ٥٦ .

٢- سورة البقرة، جزء الآية: ٢٧٥.

٣- سورة النساء، جزء الآية: ٢٢.

٤- انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤٥١.

٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية،

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (٢٠/١)، الناشر: مؤسسة الخافقين،

دمشق، ط ٢/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

الصحابة - ﷺ - ، ومن تبعهم بإحسان ، دون من مال عن منهجهم من الذين انشقوا عن السلف الصالح.

٤ - السلفيون ووجوب السير على طريقتهم

السلفيون : هم أهل السنة والجماعة ، وهم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - على فهم السلف الصالح ، قال - تعالى - : "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (١).

وقد أمرنا رسول الله - ﷺ - باتباع سنتهم ، والاهتداء بهديهم ، والسير على طريقتهم ، فقال - ﷺ - : "فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسکوا بها ، وعضوا علیها بالنواجذ ، وإیاکم ومحدثات الأمور ، فإن کل محدثة بدعة ، وکل بدعة ضلالة" (٢). وقال - ﷺ - فيهم - أيضاً : "خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم" (٣). قال عبد الله بن عمر - ﷺ - : "من كان مستتاً فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد - ﷺ - ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله

١ - سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

٢ - رواه أبو داود في سننه ، ك السنة ، باب في لزوم السنة . (٣٢٩/٤) رقم ٤٦٠٩ ، ورواه الترمذي في سننه ، ك العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، (٤٤/٥) ، رقم ٢٦٧٦ ، وصححه بن حبان (١٧٨/١) رقم ٥ .

٣ - رواه أحمد في مسنده (٤٤٠/٤) رقم ١٩٩٦٧ ، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

خصائص أصحاب المنهج السلفي

مدخل

إن التأمل في خصائص المنهج السلفي يعرف عظمة هذا المنهج وعظمة أصحابه ، عظماء بإيمانهم ، وأخلاقهم ، وأعمالهم ، وعلمهم ، وفكرهم ، عظمة مستمدة من فهمهم وتطبيقهم للإسلام ، وصلتهم القوية بالله - ﷺ - ، واتباعهم لسنة رسول الله - ﷺ - ؛ لذا كان حرياً بالأمة الإسلامية قادة وشعباً أن تتأسى بهم في هذه الحياة ؛ لتنال ما نالوه من رفعة لأنفسهم وعز للإسلام والمسلمين.

فقد كانوا مشاعل من نور ، ونجوماً من سماء الهدى ، وضياء الأرض النقي ، ما أفلح من لم يتبع خطاهم ، معلمهم رسول الله - ﷺ - ، ومن كان معلمه رسول الله - ﷺ - فهو أخرى أن يتبع. ولقد انفرد المنهج السلفي بسمات ومميزات لم يشاركهم فيها غيرهم ، ويمكن إجمال هذه الخصائص في المطالب الآتية :

المطلب الأول :

الاهتمام بمعرفة الدليل ، والتمسك به ، وعدم التعصب للأشخاص ، والمرد عند الاختلاف إلى الكتاب والسنة.

مما يمتاز به أصحاب المنهج السلفي : أنهم يهتمون بمعرفة الدليل ، والتثبت منه ، وفهم النص ، فلم يتدعوا أصولاً وقواعد وأراء فاسدة لم يدلهم عليها كتاب ولا سنة ، ولم يحدثوا عقيدة ولا عملاً ولا سلوكاً ولا منهجاً إلا إذا استقوه من نصوص القرآن والسنة ، فلا يردون منها شيئاً ، ولا

يعارضونها بشيء ، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص ، فمنهجهم قائم على التسليم لنصوص الوحي ، فلم يُقدِّموا على أمر إلا بدليل ، ممثلين قول الله : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (١) ، وقوله : "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (٢) .

وقد أصل أئمتهم هذا الأصل ، قال ابن مسعود : "مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ : لَا أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ - ﷺ - : "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" (٣) (٤) ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْزِمَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَسُنَّةَ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ - ﷺ - وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ وَتَفَرَّقَتْ فِيهِ إِنْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَفْصَلَ النِّزَاعَ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ ، وَإِلَّا اسْتَمْسَكَ بِالْجُمْلِ الثَّابِتَةِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ، وَأَعْرَضَ عَنِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ، فَإِنَّ مَوَاضِعَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ عَامَّتْهَا تَصُدُّرُ عَنْ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى

١ - سورة الحجرات الآية : ١ .

٢ - سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

٣ - سورة ص ، الآية : ٨٦ - ٨٨ .

٤ - رواه البخاري في صحيحه ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، بَابُ {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ} الآية ، رقم الحديث (٤٧٧٤) .

الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى" ^(١)، وهذا الربيع بن خثيم يقول: "يا عبد الله! ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، ولا تتكلف؛ فإن الله - جل وعز - يقول لنبيه - ﷺ - : "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنَّهُ هُوَ إِلَا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" ^(٢) ^(٣)، وقد كان الشافعي - رحمه الله - من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة، وأشد الناس أخذًا للدلائل منهما، كان يقول: "عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صوابًا" ^(٤)، وقال: "إذا صح الحديث فاتركوا قولي" ^(٥)، وقال: "حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام" ^(٦). وقال أحمد بن

١ - الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٦/٤٦٣)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٢ - سورة ص، الآية: ٨٦ - ٨٨.

٣ - جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله النمري، (٢/٢٢٦)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط ١ / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤ - أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المقيري، (٣/٢٦)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١ / ١٩٩٦ م.

٥ - أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول - عليه الصلاة والسلام -، علي ابن سلطان محمد القاري، ص ١٣٠، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١ / ١٩٩٣ م.

٦ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، ص ١٢٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

حنبل - رحمه الله - : سمعت الشافعي يقول : أنتم أعلم بالحديث مني ،
فإذا صح الحديث عن النبي - ﷺ - فقولوا حتى آخذ به ^(١) ، وقال
الشافعي - رحمه الله - : "أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة
رسول الله - ﷺ - لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان" ^(٢) .

وقال الإمام مالك - رحمه الله - : "كلنا رأؤ ومرود عليه إلا صاحب
هذا القبر" يعني رسول الله - ﷺ - ، "أَوْ كَلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ
تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلَ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - لَجْدَلِ هَؤُلَاءِ" ^(٣) . والإمام أحمد
- رحمه الله - يقول : "عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحّته يذهبون إلى
رأي سفيان" ^(٤) ، والإمام أبو حنيفة - رحمه الله - يقول : "إذا جاء القولُ
عن رسول الله - ﷺ - فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة فعلى
الرأس والعين" ^(٥) .

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن السلف اهتموا بالدليل من الكتاب والسنة
على عكس أهل الأهواء الذين لم يهتموا بهذا ، بل أصلوا أصولاً مبنية على
الأهواء وأراء الرجال ، فقال : "السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان ، فلما
حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف ، صار أهل التفرق

١ - أحاديث في ذم الكلام وأهله ، أبو الفضل المقرئ ، (٢٧/٣) .

٢ - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ،

(١١١/٢) ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ / ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .

٣ - المرجع السابق ، (١١١/٢) .

٤ - إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، (١١١/٢) .

٥ - المرجع السابق (١١١/٢) .

والاختلاف شيعاً، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع منازعته عن الاحتجاج بها^(١)، وبين - رحمه الله - أن ما عرفت فاعملوا به، وما جهلتم فردوه إلى عالمه^(٢).

فأصحاب المنهج السلفي اهتموا بمعرفة الدليل، والتثبت من صحته وفقهه، وفهم النصوص على وفق مراد الله ومراد رسوله، فلم يبتدعوا آراء لم يدلهم عليها كتاب ولا سنة، بخلاف غيرهم، فإنهم أصلوا لأنفسهم قواعد حاكموا إليها النصوص، فما وافق منها تلك القواعد أخذوا به، وما خالف ردوه: إما بتضعيف أو تأويل، وإنا لله وإن إليه راجعون.

١ - الفتاوى الكبرى، (١٣/٥٨).

٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ص ٤٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ٢/ ١٣٦٩ هـ.

المطلب الثاني:

اتفاقهم على أصول الدين وعدم اختلافهم فيها

فمع اختلاف الزمان والمكان، تجد أن أصحاب المنهج السلفي متفقون على أصول العقائد، لا اختلاف بينهم في هذا، ف"إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟"^(١).

ولا غرابة في أن يتفق أصحاب المنهج السلفي على مسائل الاعتقاد مع اختلاف عصورهم، وتباعد أمصارهم، وهذا دليل على صحة المنهج، لأنه مستقى من منهل واحد، وصدق الله حين قال: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

١ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن محمد بن الفضل الأصبهاني، (٢/٢٣٩)، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمر المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

مَنْ عِنْدَ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(١)، وقال - سبحانه - : "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٢)".

المطلب الثالث:

البدء بالدعوة إلى التوحيد والأخذ بمنهج التدرج في الدعوة إلى الله
تميز أصحاب المنهج السلفي بأنهم أولوا اهتماماً بالغاً بالدعوة إلى التوحيد؛ لأن هذا هو المنهج القويم الذي شرعه الله - تعالى - لجميع أنبيائه ورسله - عليهم السلام - ، وأمرهم به ، قال - تعالى - : "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"^(٣)، وقال - سبحانه - : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ"^(٤)، فكل الرسل - بمن فيهم نبينا - ﷺ - أصل رسالتهم: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه الإله الحق المستحق للعبادة ، وما عداه باطل.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة لتأكيد على هذا الأصل العظيم والمسلك القويم ، قال - تعالى - : "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"^(٥). وأول كلمة افتتح بها دعوته : "يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا،

١ - سورة النساء، الآية: ٨٢.

٢ - سورة النجم، الآية: ٣ - ٤.

٣ - سورة النحل، الآية: ٢٥.

٤ - سورة الأنبياء، جزء الآية: ٢٥.

٥ - سورة الأعراف الآية: ١٥٨.

وتملكوا بها العرب، وتذل لكم بها العجم، فإذا آمنتم كنتم ملوكاً" (١)، وظل - ﷺ - يدعوا قومه عشر سنين إلى التوحيد، يقول لقومه: أيها الناس اعبدوا رباً - تعالى شأنه - ووجدوا.

ثم جاء السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم فالتزموا بهذه الأولويات في دعوتهم، بل انطلقوا في بناء الشريعة ومكارم الأخلاق من منطلق العقيدة وأصول الإيمان، ومن أمثلة ذلك:

- بدء الصحابة في دعوتهم وفتوحاتهم وجهادهم بالدعوة إلى التوحيد أولاً، من أمثال معاذ بن جبل حينما أرسله النبي - ﷺ - داعياً إلى اليمن، فقال له: "إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ - ﷻ" (٢).

- قادة الجيوش الإسلامية كانوا قبل أن يقاتلوا الكفار يدعونهم إلى التوحيد، ومن أمثلة ذلك قول سعد بن أبي عبيد القاري رسول سعد بن أبي وقاص حين قال لقائد العدو: "ونحن ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولكم ما لنا، وعليكم ما علينا" (٣).

١- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ومختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، ص ٨١، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، الناشر مطابع الرياض

٢- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، بَاب لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ رقم الحديث (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَاب الدَّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وشرائع الإسلام، رقم الحديث ٣١.

٣- فتوح الشام، أبو عبد الله بن عمر الواقدي، (١٨٦/٢)، الناشر: دار الجليل، بيروت.

- اهتم أئمة السلفية ببيان العقيدة الصحيحة في كل زمان ومكان، فإذا رأوا ما يناقض أصل التوحيد قاموا فحذروا منه بالكلمة وبالتأليف، فألفت مؤلفات كثيرة، من أمثال: السنة للإمام أحمد - رحمه الله - ، والسنة لابن أبي عاصم، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللاكائي، والعقيدة الطحاوية، والعقيدة الواسطية، وأصول السنة، وكتاب التوحيد، وغيرها كثير في القديم والحديث.

- تركيز أئمة السلفية في كل زمان ومكان على الدعوة إلى التوحيد، وبيان ما يناقضها بكل الوسائل والأساليب المشروعة، وذخائر تراث أئمة السلفية التي بين أيدينا خير شاهد على ما نقول.

المطلب الرابع:

ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم فيه ، واتفاقهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم:

عادة أهل الأهواء أنهم يتقلبون ويتغيرون، أما أصحاب المنهج السلفي فإنهم ثابتون على الحق، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة"^(١)، ومن جميل ما يُذكر في هذا الباب قول حذيفة - رضي الله عنه - : "إياك والتلون في دين الله - تعالى - ، فإن دين الله واحد"^(٢).

١- مجموع الفتاوى، (٥١/٤).

٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، (٩٠/١)، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

وتجد من سلك غير مسلك السلف ، فابتعد عن نصوص الوحي واتبع مسلك أهل الأهواء ، ينتقل من طريق إلى طريق ، ويتقلب من مسلك إلى مسلك.

وتحدث بعضهم بعد أن هداه الله فرجع إلى مذهب السلف ، فأقر بما أقرؤا ، وأعرض عن المخالفة لمنهجهم في أمور كان يعتقدونها ، ويقطع بها بعد أن تبين له فسادها وعدم صحتها ، فكانوا في نهاية حياتهم من أتباع أهل العلم من السلف ، ومن هؤلاء : الرازي ، حيث قال : "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ؛ فما رأيتهما تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" (١) ، "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ" (٢) ، وأقرأ في النفي : "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (٣) ، "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (٤) (٥) ، وقال أبو المعالي الجويني : "يا أصحابنا ! لا تشغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ؛ ما اشتغلت به" (٦) ، وقال عند موته : "لقد خضت البحر الخضم ، وخلت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن ؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته ؛ فالويل لابن الجويني ، وها أنا ذا أموتُ على عقيدة أُمي - أو قال : على عقيدة

١- سورة طه ، آية ٥.

٢- سورة فاطر ، الآية : ١٠.

٣- سورة الشورى ، الآية : ١١.

٤- سورة طه ، آية ١١٠.

٥- شرح العقيدة الواسطية ، ويليهِ ملحِق الواسطية ، محمد بن خليل حسن هرّاس ، ص ٣٠٧ ، تحقيق : علوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الخبر ، ط ١٤١٥/٣ هـ.

٦- المرجع السابق ، ص ٣٠٧.

عجائز نيسابور- ، ومن يصل إلى مثل هذه الحالة ، إن لم يتداركه الله برحمته ، وإلا تزندق"^(١).

أما أصحاب المنهج السلفي فتجد أنهم ثابتون على الحق يوم أن عرفوه والتزموا به إلى أن لقوا ربهم ، وما أخبار أئمتهم في كل زمان ومكان عنا ببعيد. كذلك اتفق أئمة أصحاب المنهج السلفي على أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم والأسلم والأحكم ، لا كما يدّعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في ردّ هذه الفرية: "وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"^(٢).

المطلب الخامس:

الوسطية والاعتدال

إن مما يمتاز به الإسلام أنه وسط في عقيدته ، وشريعته ، وعباداته ، وسائر أنظمته بين الغلو والتقصير ، والإفراط والتفريط.

وأغلب الفرق والتيارات تدور في منهجها ودعوتها بين الغلو والتقصير ، والإفراط والتفريط ، ولما كان من خصائص الدين أنه وسط كان جديراً بالبقاء

١- المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

٢- الفتوى الحموية الكبرى ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ، تحقيق: د/ أحمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي ، الرياض ، ط ٢ / ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

والاستمرار على مر الأزمان ، والسبب أن الناس لا تستقيم لهم حياة في ظل نظم تتسم بالتفريط أو المغالاة والتشدد.

ومن رحمة الله بخلقه أنه جعل الشريعة تتفق وتتلاءم مع قدرة العباد ، فلم تأت بتكليف الخلق بما لا يطيقون ، قال - تعالى - : "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" ^(١) ، "يُرِيدُ اللَّهُ يَكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يَكُمُ الْعُسْرَ" ^(٢) ، والإسلام دين الله ، دعا إلى الوسطية والاعتدال في العقيدة والشريعة والعبادة والسلوك والأخلاق ، ومدح الله عباد الرحمن بقوله : "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" ^(٣) ، فامتدحهم الله لأنهم اعتدلوا ، وكانوا وسطاً في الإنفاق ، فلم يسرفوا ويذروا في الإنفاق ؛ ولم ييخلوا ويشحوا ويقتروا ، ولكن كانوا وسطاً.

والتأمل في النصوص الشرعية يجد كثرة النصوص التي تدل على أن منهج الإسلام وسط في كل شيء ، في التصور والاعتقاد والتعبد والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع ، وقد فهم السلف هذا ، فعاشوا في دنيا الناس بهذا الفهم ، ودعوا إليه.

فمما تميز به المنهج السلفي أنه وسط ، وأضرب ثلاثة أمثلة فقط في العقائد تدل على وسطيتهم ؛ لأن المقام لا يتسع للتفصيل في كل الجوانب :

- توسط منهجهم بين المرجئة الذين غلبوا نصوص الوعد ، فحملوا العباد على التواكل ، وترك العمل ، وبين الوعيدية الذين غلبوا جانب

١- سورة الحج ، جزء الآية : ٧٨.

٢- سورة البقرة ، جزء الآية : ١٨٥.

٣- سورة الفرقان ، آية : ٦٧.

التخويف والترهيب ، وأهمّلوا نصوص الرجاء ، فحملوا العبد على اليأس والقنوط ، ورحم الله ابن تيمية حين قال : "فإن الفقيه كل الفقيه لا يئس الناس من رحمة الله ، ولا يجزئهم على معاصي الله ، واستحلال المحرمات كفر واليأس من رحمة الله كفر" ^(١) .

- توسّط منهجهم بين المرجئة الذين قالوا بأنّ مرتكب الكبيرة كامل الإيمان ، وبين الوعيدية الذين حكموا بكفر مرتكب الكبيرة ، وخلوده في النار ^(٢) .

- توسّط منهجهم بين أهل التعطيل الذين عطّلوا أسماء الله وصفاته ، وبين أهل التمثيل الذين شبهوا الخالق بال مخلوق ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "ومذهب السلف بين مذهبين ، وهدى بين ضلالتين : إثبات الصفات ، ونفى مماثلة المخلوقات" ^(٣) .

فوسطية المنهج السلفي أنتجت شخصية إسلامية متزنة في شمول فهمها واعتدال منهجها ، وسلامة سلوكها من الإفراط والتفريط ، ومن الشطط في أي جانب من جوانب الدين.

المطلب السادس :

التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة ، واتباع النبي - ﷺ - ، والالتزام بهديه ، وتطبيق سنته في واقع حياتهم :

١- الاستقامة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (٢/١٩٠) ، تحقيق : د. محمد رشاد

سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

٢- انظر : عقيدة أصحاب الحديث ، ص ٧١ .

٣- مجموع الفتاوى ، (١٩٦/٥) .

إن مما يمتاز به المنهج السلفي ، وينفرد به عن غيره : أن أصحابه كانوا مثلاً فريداً في التمسك بالكتاب والسنة ، ومتابعة الرسول - ﷺ - ، والسير على هدايه ، فاتبعوا سنة النبي - ﷺ - ، واقتفوا أثره ، والمتبع لأصحاب هذا المنهج يجد هذا الأمر واضحاً.

وقد أعلن كبار أصحاب هذا المنهج وفقهاء أئمتهم أنهم متبعون لهدي النبي - ﷺ - ، وليسوا مبتدعين ، فهذا الصديق - ﷺ - يقول : "إن الله اصطفى محمداً على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ، ولست بمبتدع" ^(١) ، وقال : "أيها الناس ، إنما أنا متبع ولست بمبتدع" ^(٢) ، وقال : "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله - ﷺ - يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى أن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ" ^(٣) ، وقال - أيضاً - : "والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله - ﷺ - يصنعه فيه إلا صنعته" ^(٤).

وقال الفاروق - ﷺ - : "ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ما نضل ما تمسكنا بالأثر" ^(٥) ، وقال : "إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط

١ - تاريخ الطبري ، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، (٢/ ٢٤٤ - ٢٤٥) ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ.

٢ - الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع ، (٣/ ١٨٢ - ١٨٣) ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط الأولى / ١٩٦٨ م. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، رقم ١٤٠٧٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م.

٣ - رواه البخاري في صحيحه ، ك فرض الخمس ، باب قول النبي - ﷺ - : "لا نورث ، ما تركنا صدقة" ، رقم (٣٠٩٣) ، ومسلم في صحيحه ، ك الجهاد والسير ، باب قول النبي - ﷺ - : "لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة" ، رقم (١٧٥٩).

٤ - رواه البخاري في صحيحه ، ك فرائض ، باب قول النبي - ﷺ - : "لا نورث ، ما تركنا صدقة" ، رقم (٣٠٩٣) ، ومسلم في صحيحه ، ك الجهاد والسير ، باب قول النبي - ﷺ - : "لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة" ، رقم (١٧٥٩).

٥ - خطب الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد عبده ، ص ٥٨. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

حظه، ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة، وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النهج^(١)؛ ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة، أصاب أمره، وظفر بحظه، وذلك بأن الله - ﷻ - يقول: "وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"^{(٢)(٣)}، وقال - ﷻ - : "لوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلمكم إلا بالعمل"^(٤).

وقال عثمان - ﷻ - : "ألا وإني متبع، ولست بمبتدع"^(٥)، وقال علي - ﷻ - : "وعهد إلي رسول الله - ﷺ - عهدا، فلست أحيده عنه"^(٦)، وقال - أيضا - : "ما كنت لأدع سنة النبي - ﷺ - لقول أحد"^(٧)، وقال - أيضا - : "ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم"^(٨)، وقال - أيضا - : "كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثا فنعني الله منه بما شاء أن ينفعني"^(٩).

- ١ - طريق نهج: بين واضح. لسان العرب (٢ / ٣٨٣). والمراد الطريق البين الواضح.
- ٢ - سورة الكهف: جزء من آية ٤٩.
- ٣ - تاريخ الطبري (٢/٤٣٥).
- ٤ - تاريخ الطبري (٢/٤٣٥).
- ٥ - تاريخ الطبري (٢/٦٩٣).
- ٦ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، (١/٣٥٣)، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٧ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي (٥/١٤٧)، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي.
- ٨ - البداية والنهاية (٧/٣٩٢)، كنز العمال، رقم ٣٦٣٩٩، الشفا للقاضي عياض (٢/٥٥٦).
- ٩ - البداية والنهاية، (١٠/٢٧٧).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في رسالته للشيخ
السويدي أحد كبار علماء العراق، قال: "إني - والحمد لله - مُتَّبِعٌ، ولستُ
بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة،
الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"^(١).

فلقد تميز أصحاب المنهج السلفي وانفردوا عن غيرهم بتسليمهم المطلق
لنصوص الكتاب والسنة، واتباع النبي - ﷺ - ، والالتزام بهديه، وتطبيق
سنته في واقع حياتهم، فساروا على هداه، واتبعوا سنته، واقتفوا أثره،
وضربوا أروع الأمثلة التي سجلها لهم التاريخ، وتكتب بماء من ذهب في
التمسك بالكتاب والسنة ومتابعة الرسول - ﷺ - .

المطلب السابع:

الاهتمام بالعلم تعلمًا وتعليمًا، وعملاً به، ودعوة إليه، وبذل الجهد في
نشره.

من خصائص المنهج السلفي: أن أصحابه يولون اهتمامًا بتعلم العلم
وتعليمه والعمل به، والدعوة إليه، ونشره بين الناس.
وقد أعلن أصحاب هذا المنهج ذلك قولاً، وطبقوه في واقع حياتهم عملاً،
ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ الكثير من أعلام هذا المنهج، لكن
سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أصحاب هذا المنهج.

١- انظر مؤلفات الشيخ، القسم الخامس الرسائل الشخصية، ص ٣٦، طبع جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية، ط / ١٣٩٨ هـ.

فالمأمل في تاريخ كبار أصحاب هذا المنهج يجد أنهم قد حثوا أتباعهم على الاجتهاد في طلب العلم، وكانوا لهم قدوة عملية، فكانوا أول الممثلين لهذا الأمر.

فهذا الصديق - عليه السلام - يحث الرعية على تعلم العلم، وتعليمه ونشره بين الناس، فيقول: "تعلموا العلم، وعلموه الناس" ^(١)، وهذا الفاروق - عليه السلام - ينصح الرعية بتعلم القرآن بتدبر آياته، والتخلق بأخلاقه، وإتباع الأوامر، والابتعاد عن الزواجر، فيقول: "يا معشر المسلمين! تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، وتعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا بما فيه تكونوا من أهله، فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله" ^(٢)، وقال: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، ولتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، ولا يقوم علمكم مع جهلكم" ^(٣).

وقد حث أتباعه على سؤال أهل العلم إذا لم يعلموا؛ فقال عليه السلام: "من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله تعالى جعلني له خازنا

١ - كنز العمال، رقم ٢٨٨٦٤، وعزاه إلى: آدم بن أبي إياس في العلم، والدينوري في المجالسة، وابن منده في غرائب شعبة، والآجري في أخلاق حملة القرآن، وابن عبد البر في العلم.

٢ - الشيخان أبو بكر وعمر ص ٢٥٠. كنز العمال، رقم ٤٤١٨٧.

٣ - الزهد لابن حنبل (١/١٢٠).

وقاسما^(١). وقد كان الفاروق قادراً على توجيه الرعية توجيهها مفيداً وتعليمهم ما يجب عليهم، فبعد أن تعلم وعمل وعى ووجه.
ومما يدل على اهتمام الفاروق بتعلم العلم والحرص عليه قوله: "وما أصبحت نادماً على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته"^(٢).

وهذا علي عليه السلام كان يحث على العلم والعمل به وكان هو قدوة لهم في ذلك، فقد قال: "تعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما مضلل مشور"^(٣). وقال عليه السلام: "تعلموا العلم تعرفوا به واعملا تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل أواب منيب، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم"^(٤).

- ١ - سنن البيهقي الكبرى، ك الفرائض، باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة في علم الفرائض، (٢١٠/٦) رقم ١١٩٦٩.
- ٢ - كنز العمال، رقم ١٤١٨٤، وعزاه إلى: أبو حسين بن بشران في فوائده، وأبو أحمد الدهقان في الثاني من حديثه، واللالكائي.
- ٣ - البداية والنهاية (٣٤١/٧).
- ٤ - البداية والنهاية (٧/٨).

وقد حَصَّل علي عليه السلام علماً كثيراً في القرآن وعلومه فقال عن نفسه: "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً سؤولاً"^(١)، وكان علي عليه السلام يرى أن العالم لا يسمى عالماً حتى يعمل بعلمه، لذلك كان يخاطب حملة العلم قائلاً: "يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اْعْمَلُوا بِهِ فَإِنَّمَّا الْعَالِمُ مَنْ عَمَلَ بِمَا عِلْمٌ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حَلَقاً فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدْعَهُ أَوْلَيْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ"^(٢).

وكان عليه السلام يحرص على بذل العلم لصحابته، وكان يقول لأصحابه: "ألا رجل يسأل فينتفع ويتنفع جلساؤه"^(٣). "سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم جبل"^(٤).

هذه أقوال كبار أصحاب أئمة السلف يظهر منها اهتمامهم بالعلم والتعليم، والعمل بالعلم، وبذل الجهد في نشره.

١ - الطبقات الكبرى (٢/٣٣٨).

٢ - سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، (١/١١٨) رقم ٣٨٢، دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى، تحقيق فواز أحمد، خالد السبع.

٣ - مصنف ابن أبي شيبة (٥/٣١٢) رقم ٢٦٤١٩.

٤ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي (٢/٣٧٥)، دار الكتب العلمية.

المطلب الثامن :

بين النظرية والتطبيق

إن كان أصحاب المنهج السلفي قد أصلوا هذه الأصول السابقة نظرياً فإنهم طبقوها في واقع حياتهم عملياً ، ولن يتسع المقام للتفصيل في كل العناصر التي سبقت ، لكن سأكتفي بالكلام عن عنصرين فقط يتبين لنا منهما ما ذكرت.

أولاً : اتباع النبي ﷺ وتطبيق سنته في واقع حياتهم

إن كان أصحاب هذا المنهج قد أعلنوا اتباعهم لرسول الله ﷺ قولاً فإنهم طبقوا ذلك في واقع حياتهم عملاً ، ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ أعلام هذا المنهج ، لكن سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أئمة أصحاب هذا المنهج.

فهذا صديق هذه الأمة يتبع النبي ﷺ في كل شيء ، وسأضرب مثالا من حياته العملية على ذلك ، وهو إنفاذه جيش أسامة بن زيد امتثالاً لأمر النبي ﷺ رغم معارضة كثير من الصحابة لذلك ، ويتبين من فعل الصديق ﷺ أنه متمسك بأوامر رسول الله ﷺ عاضاً عليها بالنوذج ، وقد ألزم نفسه بذلك ، واتضح هذا من خلال هذه الموقف مرات عدة :

• لما طلب المسلمون إيقاف جيش أسامة نظراً لتغير الأحوال وتدهورها أجاب بمقولة خالدة : " والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني

لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته" (١).

• لما استأذن أسامة في الرجوع بجيشه من الجرف إلى المدينة خوفاً على الصديق وأهل المدن لم يأذن له ، بل أبدى عزمه وتصميمه على تنفيذ قضاء النبي ﷺ بقوله : "لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ" (٢).

• عندما طُلبَ تعيين رجل أقدم سناً من أسامة أبدى غضبه الشديد على عمر بسبب جرأته على نقل هذا الاقتراح ، وقال له : "ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه" (٣).

• اهتمام أبي بكر بإتباع النبي ﷺ في خروجه لتشجيع الجيش ومشيه مع أسامة الذي كان راكباً ، ولقد كان أبو بكر مقتدياً بالنبي ﷺ حين بعث معاذ ابن جبل إلى اليمن ، "فلما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري ، فبكي معاذ جشعاً" (٤) لفراق رسول الله ﷺ ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال : إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا" (٥). وقد فعل

١ - تاريخ الطبري (٢/٢٤٥) ، البداية والنهاية (٦/٣٣٦).

٢ - تاريخ الطبري (٢/٢٤٦).

٣ - تاريخ الطبري (٢/٢٤٦).

٤ - أي : فزعا ، والجشع : الجزع لفراق الإلف. النهاية في غريب الحديث (١/٣٠٤).

٥ - رواه أحمد في مسنده (٥/٢٣٥) رقم ٢٢١٠٥. وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح.

أبو بكر بأسماءه مع صغر سنه كما فعل النبي ﷺ مع معاذ، فقد شيع أبو بكر أسامة ماشياً وأسماء راكباً اقتداءً بما فعله رسول الله ﷺ مع معاذ.

• ظهرت عناية أبي بكر ﷺ بالاقتداء بالرسول الكريم ﷺ في قيامه بتوصية الجيش عند توديعهم، حيث كان رسول الله ﷺ يوصي الجيوش عند توديعهم. ومعظم ما جاء في وصية أبي بكر لجيش أسامة كان مقتبساً من وصايا النبي ﷺ للجيوش.

أما الفاروق ﷺ فقد كان يتبع خطا الحبيب ﷺ ويضرب لنا أروع الأمثلة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله ﷺ، فقد ثبت أنه "جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك" (١).

وعن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مِنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا (٢). أي: "لا عامدا ولا مختارا" (٣). وَعَنْ عَاتِكَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ أُمِّ رَأَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَأْذِنُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَسْكُتُ، فَتَقُولُ:

١ - رواه البخاري في صحيحه، ك الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧).
ومسلم في صحيحه، ك الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، رقم (٦٦٤٧)،
ومسلم في صحيحه، ك الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم (١٦٤٧).

٣ - فتح الباري (٥٣٢/١١).

وَاللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ تَمْنَعَنِي فَلَا يَمْنَعُهَا^(١). وفي رواية أنها: كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقليل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قالت: يمنعه قول رسول الله ﷺ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"^(٢). فرغم أن غيرة الفاروق على أهله شديدة إلا أنه أبى أن يخالف أمر رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب كان لا يغير شيبته في الإسلام فقليل له: يا أمير المؤمنين ألا تغير؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة وما أنا بمغير شيبتي"^(٣).

وأما عثمان رضي الله عنه فكان مثل صاحبيه في اتباع لقول رسول الله ﷺ يسير على دربه ويهتدي بهديه، وصل اتباعه للنبي ﷺ أنه كان يروي أحاديث النبي ﷺ كلاً في مجلسه ومناسبته، ومن أمثلة ذلك:

- ١ - رواه مالك في الموطأ (٢٧٧/٢) رقم (٦٧٦).
- ٢ - رواه البخاري في صحيحه، ك الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، رقم (٩٠٠)، ومسلم في صحيحه، ك الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد رقم (٤٤٢).
- ٣ - كنز العمال (٦٨٩/٦) رقم ١٧٤٢٤. وعزاه إلى: أبي نعيم في المعرفة، ورواه الطبراني في الكبير، (٦٧/١)، رقم الحديث (٥٨). المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء، الموصل، ط / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م. وصحح الألباني الجزء الأول من الحديث وهو قول النبي ﷺ: "من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة". انظر حديث رقم: (٦٣٠٧) في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، برقم (٢٦٨١).

عن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن عثمان : دعا بماء فتوضأ ومضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ، وذراعيه ثلاثا ثلاثا ، ومسح برأسه وظهر قدميه ثم ضحك ، فقال لأصحابه : ألا تسألوني عما أضحكني ؟ فقالوا : مم ضحكتم يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله ﷺ دعا بماء قريبا من هذه البقعة فتوضأ كما توضأت ثم ضحك ، فقال : ألا تسألوني ما أضحكني ؟ فقالوا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه ، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك ، وإن مسح برأسه كان كذلك ، وإذا طهر قدميه كان كذلك ^(١) . "ودعا عثمان رضي الله عنه بماء وهو على المقاعد ، فسكب على يمينه فغسلها ، ثم أدخل يمينه في الإناء فغسل كفيه ثلاثا ، ثم غسل وجهه ثلاث مرار ، ومضمض واستنشق واستنثر ، وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه " ^(٢) . وهذا يتضح منه تقليد عثمان للنبي ﷺ في الوضوء ، وفعله كما كان يفعل .

وروي أن عثمان رضي الله عنه اشترى من رجل أرضا فأبطأ عليه ، فلقيه فقال له : ما منعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبنتني فما ألقى من الناس أحدا إلا وهو يلومني ، قال : أو ذلك يمنعك ؟ قال : نعم . قال : فاختر بين

١ - رواه أحمد في مسنده (٥٨/١) رقم ٤١٥ . قال شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره .

٢ - رواه أحمد في مسنده (٥٩/١) رقم ٤١٨ . وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح .

أرضك ومالك. ثم قال : قال رسول الله ﷺ : "أدخل الله عز وجل الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومقتضياً"^(١). فهذا من أروع الأمثلة في السماحة في البيع والشراء ، وفعل عثمان رضي الله عنه متابعة لقول النبي ﷺ فهذا هو الدافع له من حسن المعاملة ، ويدل على ما جبل عليه عثمان من الكرم وعدم التعلق بالدنيا فهو يستعبد الدنيا لخدمة مكارم الأخلاق التي أهمها الإيثار، ولا تستعبده الدنيا فتجعله أنانياً يؤثر مصالحه الخاصة وإن أضر بالناس، والأمثلة على متابعة عثمان للنبي ﷺ كثيرة.

أما عن رابع الخلفاء الراشدين فقد كان رضي الله عنه من أحرص الناس على تطبيق كلام رسول الله ﷺ فهو القائل : "كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعني منه"^(٢). وكيف يكون الانتفاع بأحاديث رسول الله ﷺ إلا بتطبيقها والعمل بمضمونها.

لقد كان رضي الله عنه من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ﷺ حتى في أصعب الظروف ، حيث علم رسول الله ﷺ علياً وفاطمة دعاء ما قبل النوم بقوله : «أَلَا أَعْلَمُكُمْ خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمْ أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ خَادِمٍ». قَالَ عَلِيٌّ : مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، قِيلَ لَهُ وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ؟ قَالَ : وَلَا لَيْلَةَ صَفِينٍ^(٣). وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ - رواه أحمد في مسنده (٥٨/١) رقم ٤١٠. وقال شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره.

٢ - رواه أحمد في مسنده (٨/١) رقم ٤٧. وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح.

٣ - رواه مسلم في صحيحه ، ك الذكر والدعاء والتوبة ، باب التسييح أول النهار وعند النوم ،

رقم (٢٧٢٧).

شرب قائماً فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون أن أشرب قائماً فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قائماً، وأن أشرب قاعداً فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قاعداً^(١). لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام شديد الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ، وحياته العملية خير شاهد على ذلك.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه من أهم خصائص منهج السلف الصالح متابعة رسول الله ﷺ والسير على هدايته، فقد كانوا مثلاً فريداً في اتباعهم لسنة النبي ﷺ واقتنائهم أثره، ولقد اتضح هذا الأمر من خلال أقوالهم وسيرتهم العملية.

ثانياً: حرصهم على العلم والعمل به والدعوة إليه.

أعلن أصحاب هذا المنهج اهتمامهم بالعلم تعلماً وتعليماً ودعوة إليه قولاً وطبقوا ذلك في واقع حياتهم عملاً، وليس شيء أدل على ذلك من نبوغ كثير منهم في هذا الميدان، من أمثال الخلفاء وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة، والشافعي وأحمد بن حنبل، والزهري والأعمش رحمهم الله، وغيرهم كثير.

ولن يتسع المقام لاستقصاء نماذج من تاريخ الكثير من أعلام هذا المنهج لكن سأكتفي بضرب أمثلة من كبار أئمة هذا المنهج.

إذا تأملنا في سيرتهم العملية وجدنا أنهم كانوا يحرصون على ذلك فالدارس لحياة الصديق الخليفة الأول لرسول الله ﷺ يجد أنه قد حرص على

١ - رواه أحمد في مسنده (١٠١/١) رقم ٧٩٥. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

تعلم العلم والعمل به والدعوة إليه ، وقد لازم النبي ﷺ حضراً وسفراً يتعلم منه العلم ، ولم يفارق النبي ﷺ حتى توفاه الله حتى صار من أعلم الصحابة .

وقد اهتم الصديق بتعلم العلم فحفظ القرآن الكريم وفهم معانيه ، فقد كان يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه ، قال النووي رحمه الله : "الصديق أحد الذين حفظوا القرآن كله"^(١) . وتقديم النبي ﷺ له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وهو دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم ، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيُؤْمِّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيُؤْمِّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًا ، وَلَا تَوْمَنَ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَا تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ أَوْ يَأْذِنَهُ »^(٢) .

وكان الصديق أعلم الصحابة بالسنة^(٣) ، فكان كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع برز عليهم بنقل سنة عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها وليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واطب على صحبة

١ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقه ، (١/٢٤٥) .

٢ - رواه مسلم في صحيحه ، ك المساجد ومواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة ، رقم (٦٧٣) .

٣ - وربما يتبادر إلى الذهن سؤال : إن كان الصديق من أعلم الصحابة فلماذا لم يروا عنه أحاديث كثيرة كغيره من الصحابة الذين اشتهروا في نقل الحديث؟ والجواب هو : "إنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي ﷺ ، وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا ، ولم يترك الناقلون عنه حديثا إلا نقلوه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم" . الصواعق المحرقة (١/٤٨) .

النبي ﷺ من أول البعثة إلى الوفاة حتى صار أعلم الصحابة وأفقههم لمراد رسول الله ﷺ، ثم بعد أن تعلم العلم عمل به، هذا الخلق الحميد تحلى به الصديق، وقد حرص على تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ، واجتهد في العمل بالعلم، فقد كان سباقاً للخيرات حريصاً عليها، حريصاً على العمل بما علم. فقد قال النبي ﷺ ذات يوم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِيناً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). وروى أنه: "ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق ﷺ فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه. فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟ فقال: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً"^(٢)، والروايات في هذا الباب كثيرة، يتضح منها أن الصديق كان عاملاً بعلمه. ورحم الله الشيخ محمود شاكر حين قال: "وعلى الرغم من قصر مدة خلافة الصديق إذ لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها، ولترسيخ معاني الإسلام في قلوب أبنائه إلا أن تطبيقه العملي وإصراره على ما اعتقد. كل ذلك كان يدل على وعي تام بالإسلام وعزيمة ثابتة راسخة كالجبال بالإيمان، وهذه الأمور هي التي

- ١ - رواه مسلم في صحيحه، كفضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، رقم (١٢٠٨).
- ٢ - رواه أحمد في مسنده (١١/١) رقم ٦٥، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، عبد الله بن المؤمل ضعيف.

رسخت الدعائم وأثبتت المفاهيم ، وكان بعيد النظر في الأمور كلها ، واسع الأفق" (١).

أما الفاروق فقد كان مثل صاحبه يحرص على تعلم العلم من رسول الله ﷺ ليكون على بصيرة بأمر دينه ، وحتى يحصل الفاروق العلم من النبي ﷺ أكثر من ملازمته وأكثر من سؤاله وأتقن ذلك.

وقد ضرب الفاروق مثلاً رائعاً في حرصه على طلب العلم والهمة العالية في تحصيله ، فقد قال : "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك" (٢).

وقد أصبح الفاروق في مقدمة الفقهاء من الصحابة ، وقد أفرد العلماء فقه الفاروق بالتأليف والجمع (٣). وأفرد بعضهم أوليات الفاروق ، أي : ما انفرد به الفاروق دون غيره بناءً على علمه وفهمه. ولقد أصبح الفاروق فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة. وقد شهدت الأمة للفاروق بغزارة العلم وبأنه فقيه

١ - التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر (٦١/٣).

٢ - رواه البخاري في صحيحه ، ك النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، رقم (٨٩).

٣ - منهم : د/ رويحي بن راجح في مؤلفه فقه عمر بن الخطاب ، إصدار معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

من فقهاء الأمة في الصدر الأول. وقد تتبع الفاروق رعيته بالتوجيه والتعليم، وأنشأ في المدينة دارا لتعليم العلم وتخريج الدعاة والولاة والقضاة^(١).

وقد كان عثمان رضي الله عنه مثل صاحبيه يهتم بتعليم العلم والعمل به ونشره، وكان صاحب قدرة عالية على التوجيه والتعليم. وقد لازم أمير المؤمنين عثمان رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعلم منه العلم حتى كان من كبار علماء الصحابة وفقهائهم. ومما يدل على ذلك ما تركه من اجتهادات فقهية في المجال القضائي، والمالي، والجهادي، فقد ترك الخليفة الراشد أحكاما فقهية في مجال القصاص، والجنايات، والحدود، والتعزير، والعبادات، والمعاملات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على علم عثمان. وقد أفرد بعض فقه عثمان بالتأليف والجمع^(٢). ذكر فيه ما تركه الخليفة الراشد من أحكام فقهية في جميع المجالات وهي تدل على سعة إطلاعه وغزارة علمه وعمق فهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

وإن كان الخليفة عثمان رضي الله عنه حريصا على تعلم العلم حتى صار من فقهاء الصحابة فإنه كان حريصا على العمل به، يستجيب لأمر الله وأمر رسوله ويسير وفق منهج الله عز وجل. فقد قال عن نفسه: "أما بعد: فإن الله بعث محمدا صلّى الله عليه وآله بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به،

١ - من أراد الاستزادة في معرفة الدار التي أنشأها الفاروق في المدينة ونشاط هذه الدار فليراجع في ذلك: المدينة المنورة فجر الإسلام (٢/٤٥ وما بعدها). والمدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشد (٢/٤٧ وما بعدها).

٢ - ممن أفرد فقه عثمان بالتأليف: د/ محمد رواس قلعجي، في مؤلفه: موسوعة فقه عثمان، دار النفائس، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

وهاجرت الهجرتين كما قلت ، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل" (١).

وقد كان علي عليه السلام يحرص على تعلم العلم والعمل به وتعليمه. فكان يحرص على الاجتهاد في تحصيل العلم والتحري في قبوله وبذل السؤال في طلبه. ومما يدل على ذلك قوله : "ما دخل نوم عيني ولا غمض رأسي على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل من حلال أو سنة أو كتاب أو أمر أو نهى ، وفيمن نزل" (٢). وقال أيضا : "لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أو حلفت ألا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن" (٣).

وقد كان من أحرص الناس على تطبيق ما يسمعه من رسول الله ﷺ حيث يقول كما مر : "كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعني" (٤). والانتفاع لا يكون إلا بتطبيق ما علم والعمل بمضمونها. ومما يدل على عمل علي عليه السلام بما عمل أنه في أصعب المواقف طبق ما تعلمه من رسول الله ﷺ ، حيث علمه النبي ﷺ هو وفاطمة زوجة علي وبنت النبي ﷺ دعاء ما قبل النوم.

- ١ - رواه البخاري في صحيحه ، ك فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان ، رقم (٣٦٩٦).
- ٢ - مسند الإمام زيد بن علي ، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادي ، ص ٤٣ ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية/١٤٠٣هـ.
- ٣ - حلية الأولياء (٦٧/١) ، الطبقات الكبرى (٣٣٨/٢).
- ٤ - رواه أحمد في مسنده (٢/١) رقم ٢. والترمذي في سننه ، ك الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة ، (٢٥٧/٢) رقم ٤٠٦ ، وأبو داود في سننه ، ك الصلاة ، باب في الاستغفار ، (٤٧٥/١) رقم ١٥٢١. وقال الترمذي حديث حسن.

وأحب أن أختتم بحثي هذا بقول الدارمي رحمه الله: "فإن كنتم من المؤمنين، وعلى منهاج أسلافهم، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدى في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إماماً كما رضي بها القوم لأنفسهم إماماً، فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار على ما ترون، فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين وقال الله تعالى، "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"^{(١)(٢)}، وقول ابن أبي حاتم رحمه الله: "فكانوا - أي: الصحابة والتابعين - عدول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقله الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال: "وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"^{(٣)(٤)}.

- ١ - سورة النساء، آية: ١١٥.
- ٢ - الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، ص ١٢٦ - ١٢٧، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر دار ابن الأثير، الكويت، ط ٢ / ١٩٩٥ م.
- ٣ - سورة النساء، آية: ١١٥.
- ٤ - الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ / ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

النتائج

لعل من المتأكد أن أختتم هذا البحث بإيراد النتائج التي تم التوصل إليها من خلاله ، ثم أتبعها بذكر جملة من التوصيات ، أما النتائج فأذكرها على النحو التالي :

- ١- السلفيون : هم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية.
- ٢- لفظ السلفية ، يطلق على ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ومن يقتدون بهم في طريقته.
- ٣- المراد بالسلفيين جميع الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.
- ٤- منهج السلفية هو منهج الإسلام الصحيح الذي هو دين الله.
- ٥- حفظ الله الدين فقيض له من يحمل همه ويدافع عنه ويبين محاسنه ، وهم أصحاب المنهج السلفي.
- ٦- تميز أصحاب المنهج السلفي بخصائص ومميزات جعلتهم في الصدارة.
- ٧- أصحاب المنهج السلفي متفقون على أصول العقائد لا اختلاف بينهم في ذلك.
- ٨- يمتاز أصحاب المنهج السلفي باهتمامهم بمعرفة الدليل والتثبت منه وفهم النص.
- ٩- أصحاب المنهج السلفي وسط في فهم الدين بين الغلو والتقصير ، والإفراط والتفريط.

- ١٠ - ركز أئمة السلفية في كل زمان ومكان على الدعوة إلى التوحيد وبيان ما يناقضه بكل الوسائل والأساليب المشروعة.
- ١١ - أصحاب المنهج السلفي ثابتون على الحق لا يتقلبون ولا يحيدون عن منهجهم.
- ١٢ - اتفق أئمة أصحاب المنهج السلفي أن طريقة السلف الصالح هي الأعلم والأسلم والأحكم.
- ١٣ - أصحاب المنهج السلفي كانوا مثلاً فريداً في التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، والتمسك بهما، ومتابعة الرسول ﷺ والسير على هداه.
- ١٤ - من خصائص المنهج السلفي أن أصحابه يولون اهتماماً بتعلم العلم وتعليمه والعمل به، والدعوة إليه ونشره بين الناس.
- ١٥ - أصل أصحاب المنهج السلفي أصولاً نظرية وطبقوها في واقع حياتهم عملياً.

التوصيات

- ١- أوصى جميع العاملين في مجال الدعوة بالدعوة إلى أصول المنهج السلفي بمفهومه الصحيح بكل الوسائل المتاحة والأساليب المشروعة ، مع الحرص على التمسك به.
- ٢- أوصى قادة الأمة الإسلامية بتطبيق المنهج السلفي ، ففيه سعادة العالم أجمع ، وحل لجميع مشاكله.
- ٣- أوصى جميع المسلمين بالتمسك بالمنهج السلفي ، وحث من تحت سلطانهم بذلك.
- ٤- أوصى جميع المسلمين ونفسي بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتمسك بهما والعض عليهما بالنواجذ ، وجعلهما المرجع الأول والأخير في كل شؤون الحياة.

أهم المصادر

- è- أحاديث في ذم الكلام وأهله، أبو الفضل المرقئ، تحقيق : د.ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١/ ١٩٩٦م.
- é- أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، علي بن سلطان محمد القاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١/ ١٩٩٣م.
- ê- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (١٩٠/٢)، تحقيق : د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- ë- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط ٣/ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- î- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ٢/ ١٣٦٩هـ.
- í- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، حققه علي شيري، دار إحياء التراث العربي.
- Î- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري أبي جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ
- ï- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله النمري، تحقيق : أبو عبد الرحمن فواز أحمد، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط ١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ö- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١/ ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ÿ- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- èè- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، ط الرابعة/ ١٤٠٥هـ.

èé- خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة، د/ أحمد عبد الهادي شاهين، ط الأولى / ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

èè- خطب الفاروق عمر بن الخطاب، محمد عبده، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

èè- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر دار ابن الأثير، الكويت، ط ٢ / ١٩٩٥ م.

èì- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

èí- سنن أبي داود، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي بيروت.

èî- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله ابن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢ هـ.

èï- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

èð- شرح العقيدة الواسطية، ويلييه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، ط ٣ / ١٤١٥ هـ.

éç- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان أبي حاتم التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٩٩٣ م.

éè- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية.

éé- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى / ١٩٦٨ م.

éê- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

ëë - الفتوى الحموية الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق: د/ أحمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصمعي، الرياض، ط ٢ / ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

éì - فتوح الشام، أبو عبد الله بن عمر الواقدي، الناشر: دار الجليل، بيروت.

éí - فقه عمر بن الخطاب، د/ محمد رواس قلعجي، إصدار معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى مكة المكرمة.

êì - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩ م.

ëì - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط الأولى.

ëð - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق، ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

êç - مؤلفات الشيخ، القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ٣٦ طبع جامعة الإمام، ١٣٩٨ هـ.
êè - مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د/ محمد بلتاجي، د/ سيد حجاب، الناشر: مطابع الرياض.

êé - المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسن شراب، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط الأولى / ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

êê - مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

êë - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

êì - المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، مجمع اللغة العربية، ط الأولى / ١٩٦٠ م.

éí - موسوعة فقه عثمان، د/ محمد رواس قلعجي، دار النفائس، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م.

êî - الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط
الأولى / ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.